الى القارئ

آفاق العمل العربي الافريقي
من اجل التحرر والتنمية

حضرت (1) ـ تلبية للدعوة الشخصية التى وجهتها الى الحكومة السودانية مشكورة ـ الندوة المنعقدة من 7 الى 11 جانفى المنصرم بالخرطوم ، عاصمة السودان ، أرض النيلين وملتقى الحضارتين العربية والافريقية ، لاستطلاع آفاق العمل العربى الافريقى من أجل التحرر والتنمية ، والتمهيد الى حوار ايجابى متواصل فى كافة المجالات وعلى كل المستويات من أجل تعميق الوعى بوحدتنا وضبط الخطة الكفيلة بحسن استثمار مواردنا الطبيعية ومقدراتنا البشرية لما فيه صالح شعوبنا ، وتنسيق الجهود للتخلص من رواسب الاستعمار وتفادى جهلنا بعضنا لبعض ، واخطائنا بعضنا فى حق البعض ، ماضيا وحاضرا ، وتطويع امكانياتنا لفائدة اخواننا الذين لا يزالون يناضلون فى قارتنا وفى وطننا العربى من أجل الاستقلال والحرية ، والاتفاق على المسار الامثل والمنهج الاوفق لتجسيم تضامننا هدفا ومصيرا .

وشارك فى هذه الندوة نخبة من المسؤولين السياسيين والمفكرين الأفارقة والعرب، وممثلو الحركات التحريرية فى افريقيا، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ونواب عن جامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، واتحاد الجامعات الافريقية ، واتحاد وكالات الانباء العربية ، واتحاد الاذاعات العربية ، واتحاد

---

(1) وتشرفت برئاسة جلسة يوم 9 جانفى المخصصة لدراسة موضوع التنمية والتعاون الاقتصادى ، المتفرع بدوره الى أربع مسائل هى :
1) التعاون العربى حاضرا ومستقبلا ، 2) التنمية الزراعية والتعاون العربى الافريقى ، 3) الوحدة القومية واثرها فى التنمية القومية الشاملة ، 4) التعاون المشترك من أجل التنمية ، وقدم البحث الرئيسى صباح ذلك اليوم الاستاذ الشاذلى العيارى رئيس المصرف العربى للتنمية والتعاون الاقتصادى فى افريقيا .

العمال الافارقة ، ومنظمة نساء عموم افريقيا ، ورابطة المرأة العربية الافريقية ، واتحاد الصحفيين الافارقة ، ومؤتمر البحوث الاقتصادية والاجتماعية فى افريقيا ، والمعهد الافريقى للتنمية والتخطيط ، ومنظمة اليونسكو ، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية ، ومركز الاعلام التابع للامم المتحدة بالخرطوم ، والمنظمة العربية للثقافة والعلوم ، وعدد كبير من المراسلين الصحافيين ، وممثلى المؤسسات « ذات الصلة » ، ووكالات الانباء المحلية والعالمية ٠

والذى جعلنى أتعمد ذكر العدد الوافر من بين المؤسسات الرسمية والشعبية المشاركة فى ندوة الخرطوم هو ما لاحظته فيها بكل أسف من غياب الاطارات والخبراء التونسيين الذين أعتقد انه فى امكانهم ـ لو وجدوا التوجيه والتشجيع الكافيين ـ ان يساهموا ، مثل اخوانهم المصريين ، والافارقة عامة ، فى سير وتسيير واشعاع هذه المؤسسات وغيرها ، مساهمة ايجابية ، وهم اليوم ، أكثر من اى وقت مضى ـ متوفرون وأكفاء والحمد لله ، وان يكونوا بذلك خير سفراء لتونس بوصفها دولة عربية وافريقية شاعرة بواجبها ازاء شقيقاتها فى القارة السمراء معتزة بالطابع المثالى لملحمتها النضالية المكللة بالنصر المبين فى دروب الاستقلال والحرية ، فخورة بوضع تجربتها الطريفة الموفقة فى مجال العمل التنموى الجدى من أجل الازدهار والكرامة الحق على ذمة كل الاخوة الذين يتطلعون الى مناهج البناء والتشييد الموصلة من أيسر السبل وبأدنى التكاليف ٠

وان أخشى ما أخشاه هو أن يكون غيابنا فى ساحة العمل العربية الافريقية ناتجا عن انصراف يكاد يكون كليا الى بعدنا الاوروبى والمتوسطى وحده ، يفسره ـ ولا يبرره ! ـ نمط ثقافتنا ونوع « تفتحنا » على العالم وما لا نزال ـ مسؤولين ومثقفين ، وأساتذة جامعيين وشبابا متعلما ورجال أعمال ٠٠٠ نطالعه ، ونسمم افكارنا به ـ من حيث لا نشعر ـ من مقالات و « دراسات » وشهادات تزخر بها بعض الصحف والمجلات الغربية التى لا تخفى ارتباطات البعض منها بالاوساط الصهيونية أو الراسمالية أو الامبريالية العقائدية والثقافية المتعددة المصادر ٠٠٠ ، حول حال القارة الافريقية وما تعانيه من فئوية بشرية ولغوية وما تتخبط فيه من جهل ومرض وفقر ومجاعات ٠٠٠ وحول تخلف العرب رغم بترولهم أو من أجل بترولهم كما يحلو للبعض أن يقول ٠٠٠ وما يقاسونه من تناقضات اجتماعية وحضارية واتفاقهم ٠٠٠ على الا يتفقوا ، وكل ذلك لا يزال ينقض على لا شعورنا لبث

الاحساس بالحقارة في نفوسنا وتبشيع ماضينا وتلويث خيالنا الفردي والجماعي كلما ألم بنا طيف العرب ومرت بخاطرنا صور العروبة ، وجعلنا لا نتذكر من مواكب أيامنا غير حادي العيس ودنيا البداوة ، وداحس والغبراء ، وتناحر بكر وتغلب ، والجانب الماجن اللاهي من ألف ليلة وليلة ... بينما النظرة السديدة والسياسة الحكيمة والمصلحة البعيدة وأبسط معاني الشرف والعزة واحترام النفس تقتضي كلها :

1) الا نهمل ان مسؤولية الاستعمار في تمادي وجود هذا الواقع ، الذي يجب الا يجهل عاقل سلبياته وثغراته ، لا تنكر ولا تغتفر . فهو الذي احتل الشعوب بالحديد والنار واستغل الارض ونهب الزرع والضرع وحال دون مواصلة النهضة التي انطلقت قبل انتصاب الاستعمار ذاته ومواكبة التقدم العلمي والصناعي الذي تدعم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خاصة (1) ، وهو الذي كيف الاطارات والشباب تكييفا يرمي الى مسخها وتشكيكها في نفسها ، ولا يزال في اقطار كثيرة يفرض ارادته بالقوة الغاشمة ويحاول المحال .

2) الا ننظر الى هذا الواقع نظرة قرارية سلبية بل يجب ان يكون موقفنا منه ثوريا فننشد العزم على تغييره ونبذل في سبيل ذلك أكثر مما بذلنا في معاركنا من أجل الاستقلال السياسي .

3) ان نعي الحركية التي تشهدها الآن القارة الافريقية في كل المجالات وان نقدر تقديرا صحيحا آفاق المستقبل العربي الافريقي المليئة بالوعود كما أدركت ذلك الدول العظمى نفسها وبعض الدول الاوروبية التي اخذت تتسابق اليوم الى تركيز حضورها لا اقتصاديا وعسكريا فحسب بل كذلك وبالاخص بشريا وذلك بايفاد أكثر ما يمكن من خبرائها وفنييها وأساتذتها ...

4) ان انصرافنا الى الاهم ـ ونفرض فرضا انه يتمثل حاضرا في توجيه

(1) ففي تونس مثلا ظهرت بوادر النهضة بتأسيس المدرسة الحربية بباردو (سنة 1840) التي تخرج منها خير الدين وهو الذي ادخل اصلاحات جذرية في البلاد وطور التعليم بجامع الزيتونة وأسس بالخصوص المدرسة الصادقية سنة 1875 ـ أي قبل الاحتلال الفرنسي ـ فتخرجت منها نخبة انضمت الى نخب جامع الزيتونة فكانت منهم جميعا أول حركة وقفت في وجه الاستعمار(هي حركة الشباب التونسي)وأشاعت العلوم العصرية..

اهتمامنا الى أوروبا والبحر المتوسط ـ اقتصاديا وثقافيا خاصة ـ لا يعني ترك المهم ، بل ان كلمتنا لن تكون مسموعة ومنزلتنا مرموقة ، اذا نحن لم نرسخ قدمنا في العالم العربي وننتسب قولا وفعلا الى افريقيا ونقرأ الحساب لمقتضيات الجغرافيا والتاريخ . فنحن إزاء الغرب عرب مسلمون وأفارقة ولو فعلنا المستحيل للخروج من جلدنا (1) والتشبه بغيرنا .

* * *

وان أول خطوة في تقمص بعدنا العربي الافريقي وأبسط ما يفرضه أضعف الايمان ليتمثل في معرفة الواقع والوقوف على تطوراته وملابساته وتبيين الروابط التاريخية والجغرافية والحضارية والمصالح الاساسية المشتركة في الثقافة والسياسة والاقتصاد ، وادراك المحاولات المتعددة والمتنوعة التي لا يزال الاستعمار القديم والجديد يبذلها للابقاء على امتيازاته المشطة ، والاستفادة من طاقتنا وموادنا الخام وأموالنا (2) ومواردنا الزراعية والحيوانية وهي السلاح الاخضر الذي غاب عن البعض منا توفره لدينا فارتعدت فرائصهم لما هددنا باستعماله ضدنا بعض « العمالقة » بمجرد أن تجاسرت الدول العربية المنتجة للبترول على طلب الانتفاع الاقصى من ثروتها الطبيعية ...

وهذا معناه انه على القيادات والجامعات والمعاهد العليا وأجهزة الاعلام والمنظمات الجماهيرية ان تبادر ببعث الهياكل المناسبة والتشجيع على

(1) تذكيرا بما قاله المروزي أحد بخلاء الجاحظ عندما زاره في بلده صاحب له عراقي كان أكرمه وبالغ في اكرامه مرات متوالية .
قال الجاحظ : « فلما قدم العراقي مضى نحو المروزي في ثياب سفره وفي عمامته وقلنسوته وكسائه ليحط رحله عنده كما يصنع الرجل بثقته وموضع أنسه ، فلما وجده قاعدا في أصحابه أكب عليه وعانقه فلم يره أثبته ولا سأل به سؤال من رآه قط . قال العراقي في نفسه : لعل إنكاره إياي لمكان القناع ، فرمى بقناعه وابتدأ مساءلته فكان له أنكر . فقال لعله أن يكون إنما أتى من قبل العمامة ، فنزعها ثم انتسب وجدد مساءلته فوجده أشد ما كان إنكارا . فقال : فلعله إنما أتى من قبل القلنسوة . وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل ، فقال : **لو خرجت من جلدك لم أعرفك** » .

(2) التي تكاد ان تكون كلها مودعة في بنوك الغرب التي يسيطر على الكثير منها الصهاينة بطرق ملتوية وخفية .

الاختصاص الضروري قصد « دراسة النظم السياسية والبحث عن الاتجاهات الموجودة والآفاق المنتظرة وعوامل التضامن الراهنة والمستقبلة والتعرف الى الآداب والفنون واللغات والاديان والقبائل المتواجدة في قارتنا وتيسير تعليم اللغات الافريقية للعرب وتعليم اللغة العربية للافارقة في كل من البلدان الافريقية والعربية ، ووضع كتب تدريسية للمدارس والجامعات العربية عن افريقيا ومثلها للمدارس والجامعات الافريقية عن العرب والعلاقات الافريقية العربية والعمل على تخصيص كراس للدراسات الافريقية في الجامعات العربية وأخرى للدراسات العربية في الجامعات الافريقية والسعي الى تقديم آلاف المنح الدراسية للطلبة الافارقة في المدارس والجامعات العربية ... » .

ان هذه الاقتراحات وردت في كتيب أصدرته منظمة التحرير الفلسطينية الباسلة بعنوان « مركز الدراسات الافريقية العربية » الذي بادرت ببعثه وتخصيص جانب من طاقتها البشرية والمادية لانجاحه ، رغم جهادها المستميت لتحرير أراضيها من الغاصب الصهيوني ورغم المضايقات التي لا يبخل عليها بها بعض « ذوي القربى » . ذلك ان الثورة الفلسطينية واعية تمام الوعي لأبعادها العربية الافريقية ومدركة ـ وهي في خضم المعركة القاسية من أجل الوجود ـ أنه لا حرية ولا استقلال ولا تنمية ، ولا مناعة في آخر الامر ، من دون شعور مرهف بضرورة الاتحاد والتضامن والتكامل بين العرب والافارقة ومن دون عمل دائب لتحدي الاستعمار الروحي والثقافي الذي لن تتوقف مساعيه من أجل تفتيت كياناتنا وتبديد طاقاتنا والتسلط على مقدراتنا وتشكيكنا في أنفسنا وفي مستقبلنا المشترك .

* * *

ان عقيدة الوحدة العربية الافريقية ، التي لا تنفي التنوع بل تقوم على أساس التكامل والتضامن والمحبة ، تدعو اليوم اخواننا الافارقة الى مزيد الاقتناع بأن موقفهم المشرف ازاء اسرائيل ليس من باب المجاملة والتفضل بل يمليه عليهم الواجب كما أملى الواجب على البلدان العربية قطع علاقاتها مع الكيانات العنصرية في افريقيا .

ذلك ان النظام القائم في اسرائيل نظام عنصري أساسا ، لأن القوم أخذهم الغرور فراحوا يبررون ايديولوجيتهم العنصرية بكونهم متحصنين بغريزتهم العرقية كما ادعى ذلك « هرتزل » وهم لا يؤمنون بتساوي الارومات البشرية من حيث مقدراتها الذاتية وملكاتها العقلية والشعورية ... ويعاملون

العرب معاملة البيض فى جنوب افريقيا لسكان البلاد الشرعيين عندما يزجون بهم فى المعازل العنصرية (1) .

أليست العنصرية ــ كما جاء فى قاموس العلوم الاجتماعية الصادر باشراف اليونسكو ــ هى « الاعتقاد بأن احدى الجماعات السلالية محكوم عليها من الطبيعة بنقص وراثى بينما تكون مجموعة أخرى مقدرا لها بتفوق وراثى » ؟.

وإذن فانه على اخواننا الافارقة الا ينخدعوا بدعايات اسرائيل والاوساط الاستعمارية عندما يساءلون عما جنوه من جميل العرب بعد قطع علاقاتهم مع اسرائيل ، وعليهم أن يمسكوا اعصابهم حتى لا تطفو حساسيتهم على السطح كلما ذكرهم ذوو « النوايا الحسنة » بسلوك بعض العرب فى افريقيا وتجارتهم بالعبيد وفى هذا المقام يحسن بالدول المتقدمة التى تدعى اعطاءنا دروسا فى المساواة واحترام الانسان أن تهتم بالعود الذى فى عينها قبل القذى الذى فى عين الغير .

ان آداب الزمالة النضالية يجب أن تسود علاقاتنا نحن العرب الافارقة ، ولا بد من شد الخواصر وتوثيق الاواصر كى نحكم الخطة ونبلغ أهدافنا التى نرى ان من أوكدها فى المدى القريب :

1) القضاء على جيوب الاستعمار الباقية فى افريقيا وخاصة فى زمبابوى وناميبيا وجنوب افريقيا ...

2) تحرير الاراضى العربية من قبضة الصهيونية (سيناء ــ الجولان ...)

3) انتصار الشعب الفلسطينى وفوزه بحياة الحرية والكرامة فى وطنه .

---

(1) أحدث دليل على تجانس عنصرية الصهيونية وبيض جنوب افريقيا ما صرح به اللواء نايل ويبستر Neil Webster قائد القوة الدفاعية فى جنوب افريقيا ، معلقا على الوضع الذى أصبحت عليه بلاده بعد تحرر دول افريقية مجاورة وتطور الوضع فى أنغولا ، اذ قال : « ان على سكان جنوب افريقيا ان يتعودوا ــ **مثل الاسرائيليين** ــ التأهب الدائم للحرب ، (لوموند ــ عدد 5 فيفرى 1976) .

4) مقاومة الاستعمار الجديد بكل ألوانه ، وهو الذى لا يزال يستغل العالم العربى وافريقيا رغم رفرفة اعلام الاستقلال فى فضاء الكثير من بلداننا •

5) الاتفاق على المحتوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى يبقى الاستقلال بدونه حبرا على ورق واسما بلا مسمى ، والخروج به من مجرد التعبير عن حسن النوايا ووضعه فى مسار التنفيذ مرورا من مرحلة الخطة الى مرحلة البرامج وانتهاء الى مرحلة المشاريع وتطبيقها •

6) السعى الى ان يكون الاعلام بايدينا فنصنع نحن الرأى العام بواسطته ، ولا تصنعنا اجهزة الاعلام الاجنبية من حيث لا نشعر فاذا بنا مفتوحون من حيث أردنا التفتح (1) •

7) مزيد الوعى والعناية بالعمق الفكرى لحضارتنا وتحسيس رجال الثقافة والاعلام والمربين بضرورة الاضطلاع برسالتهم الريادية فى بناء مجتمعاتهم وتركيز أسباب المناعة المعنوية والمادية فى الاجيال الصاعدة ، وهذا يقتضى خاصة مراجعة الانظمة التربوية •

8) تشجيع الحوار العربى الافريقى مع الشرق والغرب على السواء لاستئصال كل أسباب الغرور والشرور والشحناء والتمهيد الى التعاون الايجابى النزيه من أجل الحضارة الانسانية الحق والسلم المقامة على العدل والاحترام المتبادل •

* * *

هذه بعض الارتسامات والملاحظات التى أوحت لى بها ندوة الخرطوم العربية الافريقية للتحرر والتنمية ، وكم تبدو بعيدة وعزيزة المنال هذه الاهداف التى يتنادى بها اليوم بعض رجال القلم والثقافة ونخبة من المسؤولين فى العالم

---

(1) آخر ما قرأته فى هذا الصدد ما صرح به محمد برباروفيتش وزير الاعلام اليوغسلافى فى ندوة صحفية عقدها بتونس يوم 13 فيفرى 1976 :
« على بلدان عدم الانحياز أن تقضى على الاستعمار الاعلامى المتمثل فى عدم تمكين الشعوب من التعبير عن قضاياها الحقيقية ومخاطبة الرأى العام العالمى بمنطقها وانطلاقا من واقعها » •

العربى وافريقيا . وقد يقابلها بعض « الواقعيين » بابتسامتهم الساخرة الشاكة ، وقد ينصرف عنها بعض الغارقين الى الذقن فى شؤون يومهم لانه لم يعد لهم وقت ... يضيعونه فى الاحلام ... أو أولئك الذين أضاعوا القدرة على الرنو الى السماء والتوق الى فسحة الامل ...

الى أولئك وهؤلاء نقول ان الشباب يطمح دائما الى التزام القضايا البعيدة المنال اذا استهدفت التحرر والعدالة والخير والحق ... وان البؤس المعنوى والمادى الذى كان سائدا على الشعب التونسى سنة 1934 لم يقعد الشباب التونسى وفى مقدمته المحامى الشاب الحبيب بورقيبة عن الامل والكفاح والتضحية طيلة ربع قرن حتى استحال الخيال واقعا والحلم حقيقة .

ان ندوة الخرطوم خطوة أولى فى طريق التوعية والتشاور والتفاكر نرجو أن تتبعها خطوات أخرى مدروسة ومركزة ، كما نرجو أن يكون القادة ورجال الفكر والقلم فى مستوى آمال الشعوب العربية والافريقية التائقة الى الحرية والوحدة والكرامة .

ان الدرب طويل وشائك ، ولكن أليس كل من سار على الدرب وصل .

محمد مزالي

التعاون العربي الافريقي.. حاضرا ومستقبلا

بقلم : الدكتور الشاذلي العياري

رئيس المصرف العربي للتنمية
الاقتصادية في أفريقيا

نشرت صحيفة نيويورك هيرالد تريبون في عددها المؤرخ يوم 23 أكتوبر 1975 مقالا عنوانه (افريقيا السوداء في الامم المتحدة تتساءل عن مدى ونوايا الاعانة العربية) .

ان هذا المقال ، لهو دليل آخر على ما تنشره الصحف الاجنبية التي تستغل كل الفرص للتنديد بالدول العربية ، التي تظهر بمظهر الدول الغنية ، مع أن جل بلدان العالم الثالث، ومن بينها افريقيا، ما زالت تعاني من الفقر والحاجة. ان البلدان الغربية الغنية ، أو البعض منها على الاقل ، تحاول محاولة خبيثة أن تسرب استياءها ازاء العرب للدول النامية ، سعيا وراء تركيز تنافس ، بل أقول حربا حول مسألة البترول ، بين الموردين أغنياء كانوا أو فقراء ، من جهة ، وبين المصدرين لهذه المادة من جهة اخرى ، خاصة دول الاوبيك ، وبهذا تسعى هذه البلدان أن تزج بالدول العربية في قفص الاتهام ، وأن تثير غضب الدول النامية ازاء العرب . وهي لعمري محاولة تمويهية لها خطورة سياسية كبرى ، أصبحت الدول العربية عرضة لها في عدة محافل دولية .

فان انخرام الاقتصاد العالمي والنقدي،والتضخم المفجع والركود الاقتصادي، والارتفاع المشط لاسعار المواد الخام ، وحتى المواد المصنعة ، والنقص الفادح في المواد الغذائية ، والتدهور المستمر في شروط التبادل لغير صالح الدول النامية ، وأخيرا النقص الكبير في التحويلات المالية الانمائية لفائدة الدول الفقيرة .

كل هذا ينسب الى النفط والدول العربية التي أرادوا أن يجعلوا منها المسؤول عن ذلك الانخرام. نعم ان الزيادات المتواصلة في سعر البترول منذ سنتين ، وفي سعر الفوسفات مثلا ، أعطت فرصا ذهبية لبعض الصحف ووسائل الاعلام في البلاد الغربية وحتى في بعض البلدان النامية ، لتسميم الرأي العام العالمي ، والحط من سمعة الدول العربية ، الم يشع مثلا ، أن

مصالح عربية تسببت أخيرا فى فقدان بعض المواد الغذائية كالسكر ، وذلك عن طريق شراءات ضخمة لهذه المادة ؟ وهذا طبعا محض افتراء •

زد على ذلك كل محاولات تغليط الرأى العام الغربى ، وذلك بمناسبة بعض الاستثمارات العربية فى البلدان الصناعية نفسها ، عن طريق شراء سندات مالية أو أسهم فى عدد من الشركات الصناعية فى أوربا وأمريكا •

لنتعرض الآن الى استغلال الاحداث العالمية ، وفى مقدمتها قضية فلسطين• فكثيرا ما يقع تذكير البلدان الافريقية التى ساندت القضية الفلسطينية مساندة تامة بأن تأييدها للقضايا العربية ، لم يجر لها أى نفع ونسمع من هنا وهناك ، ان الاعانات العربية للدول الافريقية تقتصر على المساهمة فى بناء مساجد فى بعض البلدان الافريقية المسلمة •

وفى الحقيقة ، هاته الاراجيف والمناورات التى ترددها بعض الصحف المغرضة ، وتمولها بعض المصالح المناوئة للعرب ، لا تشكل خطرا فى حد ذاتها ، بل الخطر هو فى تسرب واستيطان هاته المناورات داخل البلدان النامية ، وفى مستوى الحكومات والرأى العام والشباب •

ان افريقيا كلها ما زالت تردد هذه الاصداء المسمومة ، كما يلاحظه كل زائر لافريقيا اليوم • ففى افريقيا نفسها ، تجد تلك المحاولة الخبيثة التى تسعى للتفرقة بين ما يسمى بالعالم الثالث الغنى ، ومن ضمنه الدول العربية وبين العالم الرابع الفقير ، ومن ضمنه جل الدول الافريقية • ففى مؤتمر القمة للدول غير المنحازة المنعقد فى الجزائر 1973 ، وفى الجلستين الاستثنائيتين للامم المتحدة حول المواد الخام ، مايو 1974 وسبتمبر 1975 ، وفى الصراع الاخير فى سبيل اعداد مؤتمر اقتصادى بين ما سمى بالشمال ، أى الدول الغنية المصنعة الغربية، والجنوب أى كل الدول النامية، برز التآزر بين الدول النامية وفى ضمنه التآزر العربى الافريقى ، لكن والحق يقال ، لم يبرز للوجود بعد ، أى مشروع تعاونى ، وأى برنامج لفائدة الدول النامية ، رغم ما اعلن عنه فى الجزائر وليما ونيويورك ، من مشروعات ترمى الى اعانة الدول الفقيرة فى نطاق وحدة وتآزر الدول غير المنحازة • فمثلا ما هو مصير اقتراح قمة الاوبيك التى اجتمعت أخيرا بالجزائر ، والمعلوم أن هذا الاقتراح يرمى الى احداث صندوق للتعاون رأس ماله يقدر بـ 10 مليار دولار •

ماذا حدث لمشروع الصندوق الخاص الذى تقدمت به ايران لفائدة الدول النامية ؟ ماذا حصل للصندوق الذى صادقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة

فى جلستها الاستثنائية مايو 1974 ؟ ما هو مآل برامج التعاون التى اقترحت أخيرا اثر اجتماع الاوبيك فى فينا أكتوبر 1975 ؟

نعم لقد ساهمت دول الأوبيك ــ وفى مقدمتها الدول العربية فى اعداد ما سمى بالنافذة الثالثة (1) ، فى البنك الدولى وفى المساهمة فى (التسهيلات البترولية) التى يشرف عليها صندوق النقد الدولى ، وفى الزيادة الرابعة لموارد شركة التنمية الدولية I.D.A. التى تسدى قروضا بشروط سخية للدول النامية تحت اشراف البنك العالمى ، ان الاحصاءات للمنظمات الاقتصادية الدولية الغربية ، كمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية D.E.C.D. والبنك الدولى ، تفيد أن مستوى التحويلات والاعانات المالية الصادرة عن دول الاوبيك ، لصالح الدول النامية فى سنتى 1974 ــ 1975 ، بلغت نسبا وأرقاما تفوق بكثير اعانة الدول الغنية المصنعة ــ الغربية منها والشرقية ــ تلكم الدول التى لها مسؤولية خاصة وكبيرة ودين ازاء تنمية الدول الفقيرة التى ساهمت مساهمة كبرى فى ثراء ورخاء العالم المصنع الغنى ·

كذلك ساهمت الدول العربية فى تمويل الصندوق الخاص لفائدة الدول الافريقية المتضررة من ارتفاع اسعار البترول ، حيث أن هذا الصندوق ، وزع على الدول الافريقية ما يقرب من 200 مليون دولار ، كما سنوضحه فى هذا التقرير ·

وان كانت هاته الاعانات متواضعة ، فانها حقيقة ملموسة قد أعانت على تسديد عجز موازين مدفوعات جل البلدان الافريقية · وأن صناديق التنمية العربية ، كالصندوق الكويتى ، وصندوق أبو ظبى ، والصندوق السعودى ، والبنك الليبى الخارجى ، والحكومات العربية ، سخرت اعانات لا بأس بها لفائدة الدول النامية فى شكل هبات وقروض طويلة المدى ، فكل يوم هناك بعثات افريقية للدول العربية ، وبعثات عربية للدول الافريقية فى كل المستويات تناقش برامج التعاون وتعد التمويلات لمشروعات انمائية متنوعة لصالح افريقيا ، ولكن افريقيا وآسيا الفقيرتين، تصطدمان اليوم بحقيقة،وهى ان مشاريع التعاون الكبرى المقترحة ، فى مؤتمرات الدول غير المنحازة ، أو فى

---

(1) النافذة الثالثة هى نوع من القروض ينوى البنك الدولى تقديمها للدول النامية وتمنح هذه القروض بشروط وسطى ، أى بفائض 4٪ وذلك بجانب ما يقدمه البنك الدولى من تمويلات فى نطاق البنك بفائض 8،5٪ وقروض المنظمة الدولية للتمويل بفائض 0،75٪ ·

مؤتمرات دول الاوبيك ، والتى أعلن عنها أكثر من مرة ولم تبرز بعد للوجود ، ان افريقيا اصبحت اليوم القارة التى تتفشى فيها هذه المناورات والتناقضات الى حد بعيد ، وهكذا أصبحت نوايا الدول العربية ازاء افريقيا محل ريب ٠

ففى كمبالا ، أثناء القمة الثامنة الافريقية ، مرت على التعاون العربى الافريقى الذى قدم بشأنه مشروع الميثاق أزمة خطيرة أدت الى ارجاء النقاش فى مشروع الميثاق لاجل غير مسمى ٠ ولقد أحسسنا بنفسنا عند اتصالاتنا برؤساء الدول وأعضاء الحكومات فى البلدان الافريقية بكمبالا ، كوناكرى ، منروفيا ، باماكو ، لومى ، ابيدجان ، كوتونو ، داكار ، ياوندى ، كنشاسا ، وكذلك واشنطن ، ان التعاون العربى الافريقى تتلبد فى سمائه بعض الغيوم ٠

فان مشروع القمة العربى الافريقى ، الذى يشكل فى الحقيقة انطلاقا حاسما فى تدعيم التآزر والتعاون العربى الافريقى ، أرجىء الى أجل غير معلوم ٠

ولقد عرفت افريقيا أحداثا سياسية أقل أهمية مما ذكرنا ، أبرزت هى أيضا ذلك التردد والريب فى العلاقات العربية الافريقية ، فمثلا بمناسبة اتخاذ رئيس جديد للبنك الافريقى للتنمية بداكار ، مايو 1975 ، انقسمت الدول الاعضاء فى هذا البنك الى شقين متضادين ، الشق العربى الذى كان يساند مترشحا عربيا ، والشق الافريقى غير العربى ، الذى كان يؤيد مترشحا افريقيا غير عربى ، وقد أدلى بعض الوزراء العرب والافارقة بتصريحات عنيفة فى هذا الصدد أحدثت بعض الاستياء ، فكل هاته الاجواء تشكل خطورة سياسية ملموسة ، لا تكون فى صالح التعاون العربى الافريقى ، الذى هو أساس التآزر العربى الافريقى ، فسماء هذا التعاون مكفهرة بغيوم ، وان كان نصيب هام من هاته الازمة راجعا الى سوء التفاهم وقلة الاعلام ، فانه فى نفس الوقت تعوز التعاون العربى الافريقى النظرة الشاملة والاختيارات الجوهرية الاساسية والتنظيم المحكم المنسق ، فان هذا التقرير يتعرض الى تحليل كل هاته المعطيات والملابسات للازمة التى تجتاح حاليا التعاون ٠

كما ان هذا التقرير يقدم حلولا لكل تلك المشاكل قصد دفع عجلة التعاون العربى الافريقى فى طريقه السوى ، وعندئذ يتضح الطريق أمام كل المؤسسات الانمائية العربية العاملة بافريقيا ، وخاصة منها المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، المكلف من لدن الدول العربية بمهمة خطيرة ٠ فان المصرف هذا لا يمكن أن يؤدى رسالته على الوجه الاكمل الا اذا اتصف التعاون العربى الافريقى بالحركية وخلا من المزايدات وتمكن من موارد تكون كما وكيفا

في المستوى المطلوب ، وتعزز برجالات يدفعهم حب العمل والتفاني ، وتركز على مؤسسات ونظم ناجعة ومنسقة ، وسنتعرض لكل هذا في الفصلين الآتيين :

1 ـ الحالة الراهنة للتعاون العربي الافريقي .

2 ـ نظرة جديدة للتعاون العربي الافريقي .

الفصل الأول

الحالة الراهنة للتعاون العربي الافريقي

ان محتوى التعاون العربي الافريقي الحالي ، يصعب كشفه ومعرفته معرفة دقيقة ، وللتعاون العربي الافريقي ميزات ثلاث .

أ ـ ميزات التعاون العربي الافريقي :

1 ـ ان الاحصاءات حول التحويلات والتمويلات العربية منها والخاصة غير مكتملة ، وهذا خلل كبير يفتح الباب لكل منتقدي التعاون العربي الافريقي ومهاجميه ، وان كانت التحويلات والتمويلات العربية الافريقية الصادرة عن الحكومات العربية والصناديق العربية يمكن احصاؤها ، فانه في نفس الوقت ثمة تمويلات واعانات تقرر بمناسبة زيارات مسؤولين عرب أو أفارقة ، ولا يعرف في شأنها الا القليل ، فهذا النوع من الاعانات يكتسي أهمية كبرى ، وفي بعض البلدان الافريقية يتمثل في هبات وقروض بشروط سخية ورغم هذا فهي تبقى غير معروفة ، وغير مكشوف عنها ، عمدا أو سهوا .

وفي أثناء تجوالنا في افريقيا ، فوجئنا كم من مرة بما تحصلت عليه البلدان الافريقية من اعانات عربية دون أن يعرف في شأنها شيء ، مع ان المنظمات الانمائية غير العربية ، والحكومات الغربية والشرقية ، تعطى لكل عمل تعاوني في افريقيا ، اشهارا كبيرا ، وتستغله بكل الطرق والوسائل من الناحية السياسية والاقتصادية . وهذا الخلل في الاعلام لا يمكننا من استغلال الاعانات العربية الافريقية من الناحية السياسية ، في وقت يحتاج فيه التعاون مع إفريقيا ، لمزيد من الدلائل والانجازات ، حتى تواجه الحملات المتعددة التي تشن على العمل العربي في افريقيا .

ان أول الاحصاءات التى وردت فى شأن التعاون العربى الافريقى عن طريق البنك الدولى ، أو منظمات غربية أخرى O.E.C.D رغم نقصانها أطلعت لاول مرة الرأى العام العربى ، والرأى العام العالمى ، على ما تقدمه دول الاوبيك والدول العربية ، لفائدة العالم الثالث ، من معونات وتمويلات • لكن سرعان ما سعت بعض الصحف فى التقليل من المجهود العربى ، اذ انها نشرت ، فيما نشرت ، ان ايران ـ وهو بلد عضو فى الاوبيك ـ كانت قد ساهمت بالقسط الاوفر فى هذه التحويلات المالية لفائدة العالم الثالث ، اذ يقال ان اعاناتها كانت تفوق بثلاث مرات الاعانات الصادرة عن المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة والعراق وليبيا (1) وهذا غير صحيح كما سنبينه بالارقام فى هذا التقرير •

2 ـ هناك ناحية أخرى تتميز بها بعض الاعانات العربية لافريقيا ، كما عرجنا عليه فى هذا التقرير ، وهى اعانات غير مرتبطة بمشاريع مدروسة ، أو برامج اقتصادية محكمة ، فهى تحول لفائدة الدول الافريقية فى شكل اعانات للخزينة أو لموازين المدفوعات ، وحتى فى شكل اعانات شخصية ، وما زالت افريقيا تردد بعض الاصداء السلبية فى شأن هذا النوع من التحويلات فان هذا النوع من التحويلات ، رغم مبرراته لا يترك ، لا اثرا سياسيا ، ولا اثرا اقتصاديا فى البلاد الافريقية المعنية ، كذلك فيما يخص التمويلات ذات الصبغة الخاصة لافريقيا ، التى تسلك مسالك متعددة عن طريق عمليات مصرفية عربية ، او عربية افريقية ، او عربية اوربية ، فلا يعرف فى شأنها الا القليل ، وان كانت هاته التمويلات ذات صبغة تجارية فى معظمها ، فهى مع ذلك تشكل ضربا من ضروب الاعانات ، لانها تواجه فى البلاد الافريقية اخطارا سياسية واقتصادية ونقدية لا يستهان بها • ولهذا السبب نرى من الضرورى ان يدرج هذا النوع من التمويلات ذات الصبغة الخاصة فى التعاون العربى الافريقى •

3 ـ وهناك ظاهرة أخرى تتميز بها التمويلات والتحويلات العربية لافريقيا، عمومية كانت أو خاصة ، هى فقدان العنصر البشرى من فنيين وكوادر يعملون فى سبيل انجاز المشاريع الممولة من طرف الدوائر والمنظمات العربية •

واننا نلاحظ انه فى الحقيقة ، يكاد لا يوجد خبراء وفنيون واداريون عرب يعملون فى افريقيا ، فى نطاق التعاون العربى الافريقى • ونحن نعلم ان التدخل

---

(1) مقال هيرالد تربيون المشار اليه آنفا •

الصهيوني في افريقيا ، هو اصلا مرتكز على العنصر البشرى ، اكثر منه على العنصر المادى ، فالفني او الخبير الصهيوني يؤثر في البلد الذى يعمل فيه اكثر من اى تحويل مالى أو اعانة مادية ، وكلنا يعرف ان الاعانات المالية التى كانت تقدمها اسرائيل لافريقيا زهيدة جدا ، ولا تقارن بما تقدمه الدول العربية من هبات وقروض • غير ان اتصال الفنيين الصهاينة بالادارة والشباب ووسائل الاعلام الافريقية ، مكن اسرائيل من تدعيم ما نسميه : التبشير السياسى لفائدة اسرائيل والقضايا الصهيونية ، وفى آن واحد يسعى هؤلاء الاسرائيليون للحط من قيمة الاعانات العربية ، فيكونون بذلك جوا مناهضا للعرب يتغلغل شيئا فشيئا فى كل الاوساط وفى المدن والقرى والادغال الافريقية •

ب ـ النظم الحالية للتعاون العربى الافريقى

ان الكشف عن النظم الحالية التى توجه عن طريقها التمويلات والاعانات العربية لصالح افريقيا أمر صعب • فهناك عدد متزايد من الصناديق والبنوك والمنظمات المالية ذات الصبغة العامة والخاصة ، التى تهتم كليا أو جزئيا بالتعاون العربى الافريقى •

فان العمل الانمائى العربى فى افريقيا مشتت من حيث هياكله ونظمه ، وهذا يشكل السبب الرئيسى فى عدم تنسيق الجهود العربية فى افريقيا ولفقدان الاحصاءات والمعلومات المتعلقة ببرامج التعاون العربى الافريقى خاصة وان كل هاته المنظمات والمؤسسات العربية الانمائية ، ما عدا المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا لا تخصص الا جزءا من مواردها لفائدة التنمية فى البلدان الافريقية غير العربية •

ولا يمكننا فى هذه الدراسة ان نحصى كل المؤسسات التى تتعاطى التعاون العربى الافريقى وخاصة المؤسسات المصرفية ذات الصبغة الخاصة • وهذا ما يجعل من احصائنا وكشفنا عملا منقوصا • غير انه فى امكاننا ان نتعرض الى كل المنظمات العربية الانمائية ، ذات الصبغة العمومية التى تعمل فى ميدان التعاون الافريقى • وهذا ما يمكننا من ان نعطى نظرة حول التعاون العربى الافريقى ذى الصبغة العمومية ، وهو أهم ضرب من ضروب التعاون ، فهناك نوعان أساسيان من هاته المنظمات :

ـ المنظمات العربية الانمائية للتعاون الثنائى •

ـ المنظمات العربية الانمائية للتعاون المتعدد الاطراف •

1 ـ المنظمات العربية الانمائية للتعاون الثنائي :

لقد أحصينا خمس منظمات عربية انمائية للتعاون الثنائي وهي :

ـ الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ٠
ـ صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية ٠
ـ الصندوق السعودي للتنمية الاقتصادية العربية ٠
ـ البنك العراقي للتنمية ٠
ـ البنك العربي الخارجي الليبي ٠

الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية :

ان الصندوق الكويتي ، أقدم المنظمات العربية الانمائية ، ولقد احدث في سنة 1962 برأس مال يقدر بـ 680 مليون دولار ، أصبح اليوم بعد الزيادة الاخيرة 3،4 مليار من الدولارات ٠ ففي أقل من عشر سنوات ، قدم الصندوق الكويتي أكثر من 30٪ من جملة التمويلات التي قدمها البنك الدولي في مدة 27 سنة لكل الدول العربية ٠ فمن طريق هذا الصندوق سخرت الحكومة الكويتية منذ سنة 1962 بين 15٪ و 20٪ من ميزانياتها السنوية ، و 9،60٪ من منتوج الكويت القومي الخام لفائدة التعاون ولا تحتاج هذه الارقام لمزيد من التعليق ٠

ان شروط قروض هذا الصندوق ، تعتبر من أسخى الشروط المعمول بها في شتى الصناديق والبنوك الانمائية من حيث نسب الفائدة ، ورزنامة الاسترداد والخلاص ٠ فان الصندوق الكويتي يكتسب سنة بعد سنة صبغة عالمية ، فهو يمول مشاريع في كل الاقطار النامية ، ومن بينها افريقيا ٠

صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية :

لقد أحدث سنة 1972 برأس مال قدره 50 مليون جنيه استرليني ، ووقعت الزيادة فيه حتى بلغ اليوم 500 مليون دولار ٠

الصندوق السعودى للتنمية الاقتصادية العربية :

أحدث هذا الصندوق فى مايو 1974 ، وهو يتمتع بموارد تقدر بـ 350 مليون دولار أمريكي • ونحن نعلم أن هذا الصندوق يخصص جزءا من موارده للتنمية فى البلاد الافريقية غير العربية ، ولقد اطلعنا اخيرا فى افريقيا على بعض المعونات الفنية التى يقدمها هذا الصندوق لبعض البلدان الافريقية الواقعة جنوب الصحراء •

الصندوق العراقى للتنمية :

ان النصوص التأسيسية للصندوق العراقى للتنمية تبدو جاهزة لكنه حسب علمنا لم يشرع بعد فى عملياته •

البنك العربى الخارجي الليبى :

ان الجمهورية العربية الليبية توجه قسطا كبيرا من اعانتها لافريقيا ، عن طريق البنك العربى الخارجي الليبى ، وقد فتح بعد هذا البنك فروعا فى عدة بلدان افريقية •

2 ـ المنظمات العربية الانمائية المتعددة الاطراف :

المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا :

لقد صادق الملوك ورؤساء الدول العرب أثناء قمة الجزائر فى نوفمبر 1973 ، على احداث مؤسسة تعنى بالتنمية فى القارة الافريقية ، وهى المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، غير أن هذا المصرف لم تعد نصوصه التأسيسية الا فى يناير 1975 ، وبهذا فهو أحدث منظمة عربية افريقية ، ويقدر رأس ماله بـ 231 مليون دولار ، موزعة على 18 دولة عربية قصد المساهمة فى تمويل مشروعات اقتصادية لاربعين دولة افريقية ولهذا المصرف ميزتان :

الميزة الاولى ــ أنه المنظمة العربية الوحيدة للتعاون مع افريقيا المتعددة الاطراف •

الميزة الثانية ــ ان كل موارده مخصصة لاعانة الدول الافريقية غير العربية•

البنك الاسلامى للتنمية :

لقد اسس البنك الاسلامى للتنمية بالرياض فى يوليو 1975 برأس مال يقدر بـ 1 مليار دينار اسلامى ، أى 1،2 مليار دولار ، تساهم فيه كل الدول الاسلامية ـ عربية كانت أو غير عربية ـ وسيشرع هـذا البنك فى عملياتـه قريبـا ، وسيقدم للدول الاسلامية ، ومن بينها الدول الافريقية والاسلامية غير العربية معونات وقروضا ٠

الصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية :

لقد أنشىء فى يناير 1974 بالقاهرة تحت اشراف اللجنة البترولية لمنظمة الوحدة الافريقية ، والبلدان العربية المصدرة للنفط صندوق خـاص يسمـى بالصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية ٠

ومن المعلوم أن موارد هذا الصندوق تقدر بـ 200 مليون دولار ، وهو معد لتقديم تمويلات للدول الافريقية غير المنتجـة للبتـرول المتضـررة من جراء ارتفاع سعر البترول ، وإن الاعانات المقدمة من هذا الصندوق تتمتع بشروط سخية ، اذ أن الفائض لا يتعدى 1٪ ومدة الاسترداد طويلة جدا ٠

ان موارد هذا الصندوق ، هى اليوم تحت تصرف الجامعـة العربيـة ، باستثناء 20 مليون دولار التى أودعت بالبنك الافريقى للتنمية ، وكما سنبينه فقد استنفدت موارده كلها ، كما سنتعرض الى جملـة من المسائـل تخص مستقبل هذا الصندوق ٠

الصندوق العربى للتعاون الفنى العربى الافريقى :

أحدث صندوق عربى للتعاون الفنـى العربى الافـريقى ، تحت اشـراف الجامعة العربية ، وأودعت به موارد تقدر بـ 25 مليون دولار ، وهو معد لتوفير المعونات الفنية للبلاد الافريقية ٠

محتوى التعاون العربى الافريقى الحالى

لقد ذكرنا آنفا الخلل الاحصائى والاعلامى الذى يعوق التعـاون العربـى الافريقى حاليا ، فيما يخص مستوى التمويلات والاعانات ونوعهـا وشروطهـا ولهذا فان كل الاحصاءات التى نقدمها تبقى غير ملمة بالوضع الحالى ٠

غير أن المعلومات التى سنقدمها ، تلقى أضواء حول ما تقدمه الدول العربية من اعانات وتمويلات للدول الافريقية • وان برامج التعاون العربى الافريقى تكتسى صيغتين اثنتين وهما :

1 ـ التمويلات المقدمة من الصناديق والمؤسسات العربية العمومية لتمويل مشروعات اقتصادية فى افريقيا •

2 ـ الاعانات العربية البترولية لافريقيا •

وهناك اعانات تقدمها الدول العربية للدول الافريقية فى نطاق مقاومة الجفاف ، أو بعض الحالات الطارئة ، لكن هاته الاعانات متواضعة ، والمعلومات حولها غير متوفرة •

التمويلات المقدمة من الصناديق والمؤسسات العربية العمومية لتمويل مشروعات اقتصادية فى افريقيا :

فى الحقيقة ليست لدينا معلومات ضافية تخص نشاط الصناديق العربية الانمائية فى ميدان التعاون العربى الافريقى • ومن جهة أخرى فان نشاط بعض الصناديق ، كصندوق أبو ظبى ، والصندوق السعودى ، والصندوق العراقى ، والبنك الاسلامى للتنمية ، فى ميدان التعاون ، فهو فى الظرف الراهن متواضع نظرا لحداثة بعضها • كما ان نصيبا هاما من الاعانات المقدمة من لدن الدول العربية ، قصد تمويل مشروعات اقتصادية فى افريقيا ، لا تسلك سبيل الصناديق المذكورة آنفا ، ولكل هذا فاننا سنقتصر فى هذه الفقرة على لمحة وجيزة لما يقدمه أكبر الصناديق العربية سنا ، واكثرهم نشاطا فى ميدان التعاون العربى الافريقى ، وهو الصندوق الكويتى ، كما سنتعرض من جهة أخرى لبعض أنشطة المؤسسة الليبية المعروفة بالبنك الخارجى الليبى •

فالبنسبة الى نشاط الصندوق الكويتى فى افريقيا سنة 1974 ، فان التقرير السنوى لهذا الصندوق ، يبين المشروعات التى مولها فى البلاد الافريقية غير العربية • ففى يوغندا وقع تمويل ثلاثة مشاريع فى ميدان تربية الماشية ، وصناعة السكر ، والطاقة الكهربائية ، وفى بناء خزانات ومطاحن وخزانات للقمح ، وفى تنزانيا اتجهت عناية الصندوق الى صناعة النسيج • وفى راوندى

ساعد الصندوق فى تمويل مشروع زراعة الشاى وتصنيعه • وفى مدغشقر للصندوق مشروع بناء الطرقات • وفى مالى اهتم الصندوق بمشروعين يخصان توسيع أراض للرى واعداد مصنع للاسمنت •

كما أن الصندوق اهتم بمشروع كبير وضخم جدا ، وهو مشروع حوض السنغال ، الذى يجمع بين ثلاثة بلدان (مالى ـ موريتانيا ـ السنغال) ، كما أن الصندوق الكويتى يساهم بمعية منظمات انمائية دولية ، كالبنك الدولى ، والبنك الافريقى للتنمية ، والمصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، فى تمويل مشروعات افريقية ، فى ميدان تربية الحيوان ، وميدان مقاومة الآفات فى افريقيا • وخلاصة القول أن الصندوق الكويتى أصبح اليوم أكثر الصناديق العربية الانمائية نشاطا وعملا فى البلاد الافريقية •

وفيما يخص أنشطة البنك الخارجى الليبى ، فمن المعلوم أن هذا البنك قد ساهم فى مشروع ضخم فى زائير ، بمعية البنك الدولى وهذا المشروع هو صناعى يخص تكرير صناعة النحاس ، وكانت مساهمة البنك الليبى فيه بـ 100 مليون دولار •

الاعانات العربية البترولية لافريقيا :

ان الاعانات العربية البترولية لافريقيا سلكت فى الحقيقة مسلكين ، مسلك الاعانات المباشرة ، وذلك عن طريق الصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية ، ومسلكا غير مباشر عن طريق مساهمة الدول العربية فيما يسمى (بالتسهيلات البترولية) التى يديرها صندوق النقد الدولى (I.M.F. Oil Facilties)

الصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية :

لقد وضعت الدول العربية المصدرة للنفط موارد لصالح الدول الافريقية تقدر بحوالى 168 مليون دولار،وزعت على 32 بلدا افريقيا خلال سنتى 1974 ـ 1975 ، ويتراوح نصيب كل بلد من 250 الف دولار الى 7،1 مليون دولار •

ان تقييم هذا المجهود العربى فى سبيل اعانة الدول الافريقية المتضررة من جراء ارتفاع اسعار البترول يرتكز على عوامل ثلاثة :

- مساهمة الدول العربية فى ما سميناه (التسهيلات البترولية لصندوق النقد الدولى I.M.F. Oil Facilities)

- نصيب الدول الافريقية فى هاته التسهيلات ٠

- مدى تأثير البترول على موازين مدفوعات الدول الافريقية ٠

الفصـل الثـانى

نظرة جديدة للتعاون العربى الافريقى

ان التحاليل التى قدمناها فى الفصل الاول من هذا التقرير بينت نقط القوة والضعف فى التعاون العربى الافريقى ٠ وفى آن واحد أشرنا الـى الخطـوط العريضة لبرنامج عمل يعطى للتعاون العربى الافـريقى مكـانته بالنسبـة للعلاقات الدولية كلها ٠ ان الرهان الذى يتضمنه التعاون العربى الافريقى خطير جدا ، وهذا ما يجعل كل الاطراف المعنية فـى هذا التعـاون ، الطـرف العربى والطرف الافريقى ، تنظر الى هذا التعاون نظرة شاملة مركزة علـى اختيارات سياسية واضحة ، وبرامج عمل جديدة ومنسقة ٠ وهكذا يتسنـى للتآزر العربى الافريقى ، الذى ما زال العرب والافارقة فى أمس الحاجة اليه ، أن يصبح قوة سياسية موقرة قادرة على مواجهة المناورات السياسيـة منهـا والاقتصادية ، التى مازال العالم الثالث بصفة عامة ، والعالم العربى الافريقى بصفة خاصة ، يصارعها فى شتى المجالات ٠

أولا : نحن نؤمن بان التعاون العربى الافريقى يجب أن يكون مرتكزا على مبادىء واضحة ٠

ثانيا : يجب كذلك أن يحدد محتوى وبرامج عمل هذا التعاون للمستقبـل خاصة أن تضبط الموارد المالية التى يجب على الطرف العربى ان يضعها على ذمة الدول الافريقية ٠

ثالثا : يتحتم على هذا التعاون ان ينجز عن طريق هيكل نظـامى متجـدد منسق ٠

وهذه العناصر الثلاثة هى مدار هذا الفصل ٠

المبادىء الاساسية التى يرتكز عليها التعاون العربى الافريقى

ان تحديد المبادىء الاساسية التى يرتكز عليها التعاون العربى الافريقى ، يجب أن تكون بعيدة عن جو المغالاة والتعويضات ، اذ انه ليس للعرب ازاء الافارقة ، وليس للأفارقة ازاء العرب ، اى اعتراف بجميل وأى دين مهما كان نوعه .

فما من شك أنه سيبقى للعرب والافارقة وللتعاون العربى الافريقى أعداء مهما كانت العلاقات العربية الافريقية ، ولا يشكل هذا الامر خطورة فى حد ذاته ، لكن الخطورة تتجسم فى فقدان العمل ، والمبادرة وعدم استنباط طرق جديدة فى سبيل بعث التعاون العربى الافريقى ، على أسس وبرامج واضحة ، وهناك ثلاثة مبادىء اساسية تبدو لنا من الاهمية بمكان وهى :

ـ تصفية التعاون من كل ظرفية وانتهازية .

ـ اقحام التعاون فى الميدان العالمى ، حتى يصبح هذا التعاون من خلايا التعاون الاقتصادى الدولى .

ـ فهم التعاون العربى الافريقى كوسيلة لتأمين وتحقيق تنمية الدول الافريقية والدول العربية فى آن واحد .

(1) تصفية التعاون من كل ظرفية وانتهازية :

لقد حاول البعض أن يعطى للتعاون العربى الافريقى طابع الانتهازية والظرفية ، ولقد حذرنا من هذا الرئيس السنغالى ليبولد سنغور فى الخطاب الذى القاه بالخرطوم فى 1975/11/13 . فكل من سعى عمدا أو بلا شعورية أن يجعل من التعاون العربى الافريقى مسألة اعتراف بالجميل من لدن الدول العربية ازاء افريقية ، يقترف فى آن واحد خطأين :

الخطأ الاول ـ هو أن موقفا مثل هذا يشكل اهانة لافريقيا ولشرفها .

الخطأ الثانى ـ هو ان موقفا مثل هذا من شأنه أن يفكك أواصر التآزر والتضامن الذى يجمع الاجيال الافريقية والعربية الحالية والمستقبلية فيكون منها كتلتين متضادتين .

نعم أن موقفا مثل هذا هو بمثابة الاهانة لافريقيا ، لان تأييد افريقيا للقضية الفلسطينية هو تجسيم لما يشعر به الافارقة ازاء كل الشعوب المضطهدة وازاء الاستعمار والعنصرية والقهر ، تلك التى يعانى ويلاتها شعب فلسطين منذ أكثر من ثلاثين عاما • كيف لا ، وافريقيا تجرعت كؤوس الظلم والاستغلال والعنصرية ، فلا غرو عندئذ ، اذا ناصر اليوم الافارقة اخوانهم الفلسطينيين ، ونددوا بسياسة دولة مصطنعة (دولة اسرائيل)،ففى نطاق تضامن دول العالم الثالث ، وفى نطاق التآزر العربى الافريقى ، لم تنفك الدول العربية تساند كل القضايا الافريقية وتندد بالاستعمار والاستغلال والعنصرية المتسلطة على افريقيا وغيرها • فمواقف الدول العربية فى الامم المتحدة ، وفى الجامعة العربية ، وفى منظمة الوحدة الافريقية ، ازاء كل القضايا هى مواقف معروفة •

ان القضية الفلسطينية هى قضية العالم الثالث ، وقضية عربية افريقية قبل كل شىء ، ومن جهة أخرى ليست للعرب أية مسؤولية فيما تعانيه القارة الافريقية من فاقة وجفاف وجوع ، وتدهور شروط التبادل التجارى ، لقد بينا آنفا ما تقدمه الدول العربية بصفة مباشرة وغير مباشرة تحت عنوان الاعانات البترولية للدول الافريقية •

كما بينا أن البترول ليس المتسبب الرئيسى فى موازين مدفوعات الدول الافريقية ، نقول هذا لا تهربا من المسؤولية ، تلك المسؤولية المتجسمة فى بناء مصير موحد بين الدول العربية والافريقية ، لكن نقوله حتى لا يدان العرب والافارقة غلطا ـ سهوا أو عمدا ـ وحتى لا يكون التعاون العربى مسألة تجارية ، أومسألة تعويضات •

(2) اقحام التعاون العربى الافريقى فى الميدان العالمى ومسألة التعاون المثلث

ففى خلال العامين الفارطين ، ما انفكت الدول المصنعة الغربية تنسب الانخرام فى العلاقات الاقتصادية العالمية ، وتدهور اعانتها للعالم الثالث الى ما يسمى بأزمة البترول ، وفى هذا الصدد ، فكل الاهداف التى خططتها العشرية الثانية للتنمية فى الامم المتحدة لم يقع احترامها ، ولقد بينا فى وثيقة أخرى ، كل ما اعترى التعاون بين الدول المصنعة ودول العالم الثالث من تدهور ونقصان (I) •

(I) انظر الى وثيقة (آفاق التعاون العربى الافريقى)

فهناك مناورة جديدة تتجلى يوما بعد يوم ٠ ان الدول الغربية والصحافة العالمية ، تريد ان تضع على كاهل دول الاوبيك بصفة عامة ، والدول العربية بصفة خاصة ، مؤونة تمويل التنمية فى بلاد العالم الثالث ، وهكذا تصبح دول الاوبيك وفى مقدمتها الدول العربية المسؤولة عن تنمية كل الاقطار الفقيرة ٠

انها مناورة خطيرة ، ذلك ان هذا المنطق يسعى لايجاد محور جديد للتنافس والنزاع بين دول العالم الثالث الغنية ، ومن بينها الدول العربية والعالم الرابع ـ عالم الفقراء ـ فان الدول العربية المصدرة للبترول مهما ارتفعت مداخيلها ، تلك المداخيل التى تحصلت عليها بعد صراع مع الدول الكبرى ، هى دولة نامية متخلفة ، مثل دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، وكلنا يذكر ان الدول النامية ، وفى مقدمتها الدول العربية المصدرة للبترول ما زالت تصارع الدول المصنعة فى سبيل اعداد حوار ومناقشات تشمل كل المواد الخام ، وكل مسائل التجارة الخارجية ، عوض الحرب حول البترول ، وايجاد تنافس حول هذه المادة ، وستبين الاشهر المقبلة مدى نجاح او اخفاق محاولة دول العالم الثالث فى هذا الصراع ٠

وان ذكرنا كل هذا ، فلا لشىء ألا لنؤكد بان التعاون العربى الافريقى هو جزء لا يتجزأ من التعاون الاقتصادى الدولى بكماله ٠ وهكذا تصبح الدول العربية والافريقية طرفين من مجموع هذا التعاون الشامل الذى تتحمل مسؤولياته العظمى الدول الغنية المصنعة ٠

وان نادينا اليوم بزيادة الاعانات والتمويلات العربية للبلاد الفقيرة وخاصة افريقيا ، فان هذا النداء اطاره التعاون الدولى العالمى ، واطاره النظام الاقتصادى العالمى الجديد ٠ ذلك النظام المبنى على الحق والعدالة والمساواة ٠٠ وهكذا يتضح السبيل أمام الدول العربية فى ميدان التعاون العربى الافريقى من جهة ، والتعاون الدولى الشامل من جهة اخرى ، ويجرنا هذا لما سمى اليوم بالتعاون المثلث ، الذى هو الجمع بين الموارد المالية والتكنولوجيا وفرص الاستثمار ، والقارة الافريقية مفتوحة لهذا النوع من التعاون ٠

لكن كثيرا ما يفهم هذا التعاون المثلث ، كعملية تضم طرفين سلبيين ، وطرف ثالث ناشط وايجابى ، فالسلبيان ، هما البلدان العربية التى تكتفى

بالتمويل ، والبلدان الافريقية التى تفتح ابوابها للاستثمار والتكنولوجيا الغربية والشرقية ، واما الطرف الايجابى والناشط ، فيتجسم فى البلاد المصنعة التى تمول التعاون المثلث لما يحتاج اليه من تقنية وتكنولوجيا ومواد مصنعة ٠

وهذا مفهوم خاطىء كل الخطأ ، فان اقتصر التعاون المثلث على تمكين البلدان المصنعة من تصدير التكنولوجيا والفواضل المادية والبشرية لافريقيا ، فانها تصبح ضربا جديدا من الاستثمار ـ نسميه الاستعمار التكنولوجى ـ يكون موطنه افريقيا ، ومصدر تمويله البلاد العربية ٠

اننا نعتبر كل الاطراف المعنية فى التعاون المثلث ، اطرافا غير سلبيين ، فالبلدان العربية التى تمول كليا او جزئيا المشروعات المعروضة عليها ، تريد أن توجد فى هذا التعاون وسيلة لضمان وتأمين تنميتها ، كما سنبينه فى هذا التقرير ، كذلك فالطرف العربى فى هذا التعاون ، يسعى ان يندمج شيئا فشيئا فى الحركة والخلق التكنولوجى الذى يحدثه هذا التعاون ، وذلك عن طريق تكوين كوادره داخل الشركات الصناعية الكبرى فى الغرب والشرق ٠

أما البلدان الافريقية نفسها ، فيجب ان تتمتع بالحرية فى اختيار المشروعات وبرامج التنمية التى تمول فى نطاق التعاون العربى الافريقى من جهة ، والتعاون المثلث من جهة اخرى ، ولا يمكن لهذا التعاون ان يسلط على افريقيا نموذجا خاصا تصدره اليها البلدان المصنعة ، حسب مصالحها الخاصة ـ تجارية كانت او اقتصادية او سياسية او استراتيجية ٠

ففى اختيار المشروعات الافريقية قصد تمويلها ، فى نطاق التعاون العربى الافريقى ، يجب على الدول العربية تأييد الدول الافريقية تأييدا كاملا ولا يتسنى هذا الا اذا تحصلت منظمات التعاون العربية على الكفاءات الفنية والخبرة اللازمة ، حتى تقدم للبلدان الافريقية الاعانة الفنية والبشرية المطلوبة ٠

فالمصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، يصبح عندئذ مخبرا فنيا للعمل الانمائى العربى فى افريقيا ـ كما سنبينه فى هذا التقرير ـ والطرف الثالث فى التعاون المثلث ـ البلدان المصنعة ـ يجب ان تكيف سياستها وبرامج عملها حسب مصالح البلدان الافريقية لا حسب مصالحها الخاصة ٠ فان الالتجاء الى البلدان المصنعة ، لا يكون باعتبارها مصدرة للفواضل التكنولوجية تلك التى فى بعض الاحيان لا تلائم حاجات افريقيا ، لكن إقحام هذه البلدان المصنعة فى التعاون المثلث ينتظر منه أن يلعب دور المنشط للتنمية الافريقية وذلك باثراء وتصنيع المواد الطبيعية الافريقية ، وادخال افريقيا فى عجلة التنمية والتقدم ٠

وهكذا تكون للتعاون المثلث قواعد ومبادىء يجب احترامها والسير على هديها • فالمصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، يعتزم اعداد مبادىء للتعاون المثلث فى ميدان التعاون العربى الافريقى •

(3) فهم التعاون العربى الافريقى كوسيلة لتأمين وتحقيق تنمية الدول الافريقية والدول العربية فى آن واحد

ان الدول العربية كلها هى دول نامية تحتاج الى المزيد من المواد الاولية والمواد الطبيعية ، والاسواق الخارجية ، على غرار الدول الافريقية ولذلك يمكن للتعاون العربى الافريقى ، ان يوفر الوسائل اللازمة لتأمين التنمية فى كل من القطرين ــ العربى والافريقى ــ وذلك بتزويد برامج التنمية فى البلاد العربية والافريقية بما تحتاج اليه من مواد خام ومواد طبيعية هى متوفرة فى افريقيا والبلاد العربية ، وان هذا الفهم الجديد للتعاون العربى الافريقى والتأكيد على على ضرورة تأمين التنمية ، يحتاجان الى بحث عميق وتحليل ضاف •

ان البحث فى مسألة تأمين التنمية العربية الافريقية عن طريق التعاون العربى الافريقى يستلزم دراسات كثيفة حول حاجات البلاد الافريقية والعربية من مواد خام ، ومواد طبيعية • وهذا البحث يخصص ما يسميه علماء الاقتصاد : بالموازين العينية •

وهكذا يتمكن الطرفان من اقحام حاجتيهما من المواد الطبيعية فى الاتفاقات الاقتصادية والتجارية التى يبرمانها فى المستقبل ، وكذلك بالنسبة للاسواق والتجارة ، فيجب ان تفتح البلاد العربية والافريقية اسواقها للخدمات والبضائع التى تنتج بفضل التعاون العربى الافريقى • ان اختيار المشروعات الاقتصادية التى تمول فى كنف التعاون العربى الافريقى ، تصبح خاضعة لهذا الهدف الجديد وهو هدف التأمين المتبادل لتنمية الاقتصاد العربى والاقتصاد الافريقى•

وفى هذا الصدد ، اقترح أن يوضع هذا الموضوع على بساط الدرس فى الجامعة العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، كما نقترح تكوين لجنة لهذا الغرض ، يشرف عليها المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا •

موارد جديدة على ذمة التعاون العربى الافريقى

فبهذا المفهوم الجديد للتعاون الاقتصادى العالمى الشامل ، يصبح التعاون العربى الافريقى المتجدد فى حاجة للمزيد من الموارد والامكانات حتى يؤدى

رسالته ويواجه مسؤولياته • ان ضبط تلكم الموارد الجديدة والتمويلات العربية التى تحتاج اليها القارة الافريقية ، لا يمكن تحديدها الا على ضوء اعتبارين :

– الكشف عن حاجات افريقيا فى المدى الطويل من تمويلات انمائية متوسطة وطويلة المدى •

– معرفة برامج التعاون والتحويلات المالية من البلاد الغربية المصنعة وكبريات المنظمات الانمائية الدولية لصالح افريقيا •

فعلى ضوء هذا نتمكن من الكشف على ما يحتاج اليه التعاون العربى الافريقى فى السنوات المقبلة من تمويلات اضافية لصالح التنمية الافريقية • وبفضل هذه الطريقة يتسنى للدول العربية تحديد استراتيجية التعاون فى افريقيا بصفتها طرفا من جملة الاطراف المعنية المهتمة بالتنمية فى القارة الافريقية •

(1) حاجات افريقيا من تمويلات انمائية متوسطة وطويلة المدى (1975 – 1980)

ان التكهن بحاجات افريقيا من تمويلات ورؤوس اموال انمائية للخمس سنوات المقبلة (1975 – 1980) أمر غير يسير ، فان الخلل الاحصائى الذى يعوق الاقتصاد الافريقى ، والخلل فى هياكل التخطيط داخل افريقيا ، والعوامل الخارجية المتعددة ، وتقلبات الاقتصاد الدولى ، تجعل من كل تكهن بحاجات افريقيا من تمويلات انمائية ، أمرا صعبا • ورغم هذا فانا سنحاول قدر الامكان ان نلقى اضواء على حاجات افريقيا من تمويلات انمائية فى المستقبل •

تكهنات البنك الدولى للانشاء والتعمير :

لقد اعد البنك الدولى للانشاء والتعمير ، دراسة حول حاجات افريقيا من تمويلات انمائية للفترة ما بين 1975 – 1980 باستثناء – طبعا – الدول الافريقية المنتمية الى الاوبيك أى الجزائر ، ليبيا ، نيجيريا • ولقد اسفرت هذه الدراسة عن تحديد حاجات افريقيا للتمويلات الانمائية بما قدره 2،5 مليار دولار سنويا ، فيما بين 1973 – 1976 ، وبما قدره 3،5 مليار دولار سنويا فيما بين 1977 – 1980 ، وهاته المقادير تخص التمويلات الصافية اى دون اعتبار ما تحتاج اليه البلدان الافريقية من تمويلات معدة لخلاص الفوائض واسترجاع القروض التى حان اجلها •

وان كانت هذه الاحصائيات تضم عددا من الدول الافريقية العربية ، كتونس، والمغرب ، ومصر ، والسودان ، وموريتانيا ، فانها تبين بصفة واضحة مـدى احتياجات البلدان الافريقية غير العربية من تمويـلات انمـائية • ان هـذه التكهنات تعتمد على افتراضات خمسة :

1 ـ ان نسبة التنمية السنوية للبلدان الافريقية المعنية تكون 5،5٪ فيما بين 1975 ـ 1980

2 ـ ان سرعة الزيادة فى صادرات هذه البلدان الافريقية تكون بين 7،3٪ و 8،4٪ فيما بين 1975 ـ 1980

3 ـ ان نسبة نمو المنتوج الخام فى البلدان المصنعة الغربية تكون 44،3٪ سنويا فيما بين 1975 ـ 1980 • والمعلوم ان الميزان التجارى للدول الافريقية ، استيرادا وتصديرا ، مرتبط كل الارتباط بالحركية والنمو الاقتصـادى فـى البلاد المصنعة •

4 ـ ان نسبة التضخم السنوى فى البلدان المصنعة الغربية ينزل من 10٪ فى سنة 1976 الى 7٪ سنة 1980 •

5 ـ ان نسبة الزيادة فى اسعار البترول تكون مماثلة لنسبة التضخم اى 7٪ ، لكن هذه الافتراضات من المحتمل ان تتطور بصفة غير صالحة لافريقيا ، وعندئذ تصبح حاجات افريقيا من التمويلات الانمائية تفوق تقديرات البنـك الدولـي •

وهناك احصاء آخر يؤيد ما اقترحناه اعلاه ، فقد درس البنك الدولى حالـة موازين المدفوعات المنتظرة من 1976 الى 1980 لـ 18 دولة افريقية ، أى نصف الدول الاربعين التى تهم مصرفنا •

واسفرت الدراسة على ان مجموع عجز موازين المدفوعات لـ 18 بلدا هاته المدة المتراوحة بين 1976 ـ 1986 تقدر بحوالى 11 مليار دولار، أى 2،2 مليار دولار سنويا • والمعروف ان هاته المقادير التى يبرزها موازين المدفوعات ، لا تغطى كل حاجيات التمويل للمشاريع الانمائية ، فلكل هاته الاسباب ، وعلى ضوء كل هاته الدراسات ، نعتبر ان مستوى التمويلات السنوى الضـرورى للبلدان الافريقية حسب تقديرات البنك الدولى تكون على الاقل 3 مليارات سنويـا •

تكهنات نادى داكار لعام 2000 :

ان نادى داكار الذى يشرف عليه السيد محمد دياوارا ، وزير التخطيط فى جمهورية ساحل العاج ، كان قد قدم ايضا تقييما لحاجات جزء من افريقيا ، وهى افريقيا الغربية من التمويلات الانمائية فيما بين 1972 ــ 2000 ولقد قدرت التمويلات الضرورية 114 مليار دولار لمدة 28 سنة ، أى 4 مليار دولار سنويا ، وذلك حسب افتراضات تخص الزيادة فى المنتوج الخام الفردى للبلدان المعنية بمرتين ، وبثلاث مرات ، وأربع مرات ، وخمس مرات ، ولو استعملنا طريقة نادى داكار لاحصاء حاجيات الدول الافريقية الاخرى من تمويلات انمائية لتحصلنا على أرقام مهولة جدا ، ولكل هذا نعتبر أن تكهنات نادى داكار تفضى الى أرقام مهولة جدا ، وبعد النظر فى اقتراحات نادى داكار نعتبر أن تكهناته لحاجات افريقيا من رؤوس الاموال الانمائية تقدر سنويا بحوالى 4 مليار دولار الى موفى سنة 1980 ٠

(2) معرفة برامج التعاون والتحويلات المالية من البلاد الغربية المصنعة وكبريات المنظمات الانمائية الدولية لصالح افريقيا

لقد اكدنا اكثر من مرة فى هذا التقرير على المسؤولية العظمى الدولية التى تضطلع بها الدول المصنعة الغربية والمنظمات الدولية الانمائية ازاء التنمية الافريقية ، وذلك لاسباب تاريخية واقتصادية واضحة ٠

ففى الماضى اتضح أن التحويلات المالية الصادرة عن هاته الهيئات لفائدة افريقيا ، لم تكن فى المستوى المطلوب ، اذ انها أقل بكثير من امكانات هذه الدول والمنظمات من جهة اخرى ، وسنسعى هنا ان نعطى بعض المعلومات حول برامج التعاون المالى لهاته الدول الغربية والمنظمات الانمائية لفائدة افريقيا فى مدة الخمس سنوات 1975 ــ 1980 ٠

التمويلات الغربية ذات الصبغة الثنائية لفائدة افريقيا :

ان آفاق التعاون الثنائى بين بلدان الغرب المصنعة من جهة ، كالولايات المتحدة ، وكندا ، وفرنسا ، والمانيا الغربية ، وبريطانيا العظمى ، والدول الاسكندنافية ، وبين افريقيا من جهة أخرى غير معروفة٠وهنالك تسعة بلدان من مجموع البلدان الغربية المصنعة ، أى بلدان السوق الاوروبية المشتركة ، مرتبطة بكل البلاد الافريقية عن طريق اتفاقيات تعاون ٠ وهذا الوضع من شأنه

أن ينقص من المجهود الثنائى لفائدة البلدان الافريقية ، غير انه كما سنرى بعد ـ لم تسخر بلدان السوق الاوروبية المشتركة تمويلات كافية لصالح الدول الافريقية .

ومن ناحية اخرى ، فان الصعوبات الاقتصادية الداخلية والعالمية التى تواجهها هذه البلدان المصنعة، لا تشجع على الزيادة فى المجهود الثنائى لفائدة الدول الافريقية . ولكل هاته الاعتبارات ، تكون التحويلات المالية الثنائية ذات الصبغة الانمائية الصادرة عن الدول الغربية المصنعة لفائدة افريقيا ، متواضعة كما سنرى ذلك ، ولقلة الاحصاءات والمعلومات اكتفينا بدرس حالات ثلاث :

ـ التعاون الثنائى الفرنسى مع افريقيا

ـ التعاون الثنائى الالمانى مع افريقيا

ـ التعاون الثنائى الكندى مع افريقيا

ان فرنسا وألمانيا وكندا ، من أهم الدول الغربية المصنعة التى لها علاقات اقتصادية ثنائية مع افريقيا ، ولم نتحصل على برامج التعاون المنتظرة من بعض البلدان الغربية الكبرى ، كالولايات المتحدة وبريطانيا العظمى واليابان والدول الاسكندنافية . لكن نظرا لما يعترى سياسات تعاون هاته البلدان مع العالم الثالث من صعوبات وضغوط ونقصان ، فان اقتصارنا على درس حالات ثلاث لا يغير كثيرا صورة آفاق التعاون الثنائى الغربى لفائدة افريقيا .

(1) التعاون الثنائى الفرنسى الافريقى :

ان فرنسا التى تربطها علاقات تاريخية واقتصادية بجزء كبير من افريقيا ، تعتبر من الدول التى تضطلع بأكبر المسؤوليات فى القارة الافريقية . ان الاعانات الاقتصادية الفرنسية لافريقيا ، والتى تقدم عن طريق الصندوق المركزى للتعاون الاقتصادى ، بلغت فيما بين 1969 ـ 1973 ، 1،5 مليار من الفرنكات الفرنسية أى 350 مليون دولار فى مدة خمس سنوات ، وذلك لصالح ثمانية عشر دولة افريقية ، وان اعتبرنا أن هذه الاعانات ستزداد بمقدار 50٪ فى المدة الخماسية المقبلة ، فان التمويلات الثنائية الفرنسية لافريقيا لا تتعدى 500 مليون دولار فيما بين 1975 ـ 1980 .

(2) التعاون الثنائي الالماني الافريقي :

ان الاعانات الثنائية التي تقدمها المانيا لافريقيا بلغت الى موفى 1974 ، 6 مليار من العملة الالمانية Deutch Mark أي 30 مليون دولار ، وزعت على 30 دولة افريقية غير عربية٠وان سلكنا نفس المنطق الآنف،أي ان الزيادة في حجم التمويلات الالمانية لافريقيا تكون حوالى 50٪ فتكون مستوى الاعانات الالمانية لافريقيا من 1975 الى 1980 ، 45 مليون دولار ٠

(3) التعاون الثنائي الكندي الافريقي :

لقد قدمت الوكالة الكندية للتنمية الدولية ، احصاءات حول الاعانات الكندية لافريقيا ، فيما بين 1970 ـ 1975 ، ففي هذه المدة قدمت كندا 600 مليون دولار كندى لافريقيا ، أي 17٪ من جملة الاعانات المقدمة من الوكالة الكندية للتنمية الى كل العالم الثالث ٠ وان استثنينا البلدان الافريقية العربيـة التي تحتـل مكانة كبيرة في التعاون الكندي الافريقي ، يكون نصيب افريقيا غير العربية أقل مما ذكرناه آنفا ٠

وعلى ضوء هذا ، وبافتراض زيادة تقدر بـ 50٪ من الاعانات الكندية لافريقيا غير العربية، فان مستوى الاعانات الكندية المنتظرة لفائدة الدول الافريقية غير العربية لا يتعدى 600 مليون دولار كندي لمدة الخمس سنوات المقبلة ، وهكـذا تكون جملة الاعانات والتمويلات الثنائية لافريقيا ، المنتظرة من هاته البلـدان الغربية الثلاثة ، حوالى 1 مليار دولار للخمس سنوات المقبلة ٠

التمويلات المقدمة من المنظمات الدولية :

ان التمويلات الانمائية المقدمة من المنظمات الدولية لفائدة افريقيا ، تسلـك مسالك ثلاثة رئيسية :

- البنك الدولي وفرعه المنظمة الدولية للانماء ٠
- الصندوق الاقتصادي للانماء للسوق الاوربية المشتركة ٠
- البنك الافريقي للتنمية ، وفرعه الصندوق الافريقي للتنمية ٠

البنك الدولي وفرعه المنظمة الدولية للانماء :

ان تمويلات البنك الدولي وفرعه المنظمة الدولية للانماء خلال الخمس سنوات الماضية لفائدة الدول الافريقية غير العربية ، مقابل 1،2 مليون دولار فى المدة المتراوحة بين (1965 ـ 1969) أى بزيادة 130٪ ، وفى نطاق هذه التمويـلات ، قدم فرع البنك الدولي ـ المنظمة الدولية للانماء ـ وهو فرع يسدى تمويـلات بشروط سخية لافريقيا غير العربية ما قدره 987 مليون دولار (1970 ـ 1974) أى 40٪ من جملة القروض والتسهيلات المالية المقدمة لافريقيا من هاته المنظمة الدولية ٠

دور المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا :

ان إحداث المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا، يرمى أولا وبالذات الى تنسيق الجهود العربية فى ميدان التنمية الافريقية فبدون منشآت مصرفية عربية من هذا النوع ، يصبح متحتما على كل بلد عربى ، وعلى كل منظمة عربية للتعاون ، أن تحدث بنفسها جهازا اداريا وفنيا وبشريا مختصا فى الشـؤون الاقتصادية الافريقية ٠

وان إعداد أجهزة مثل هذه ليكلف مصاريف باهظة ، فان اردنا ان نجعل من التعاون العربى الافريقى تعاونا ناجعا ، فيجب أن نقتصر الوقت ، واقتصـار الوقت لايكون الا بتركيز هياكل ومؤسسات انمائية وعربية ذات صبغة جماعية ، مثل مصرفنا ٠

اننا لا ننفى ضرورة التعاون العربى الافريقى الثنائى ، لكن كذلك تـؤدى المؤسسات المتعددة الاطراف مهمة هامة فى سبيل تنسيق الجهود العربية فـى افريقيا ، واكسابها النجاعة والفاعلية المطلوبة ٠ فاننا نرمى الى تحويل المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا الى مخبر للتعاون العربى الافريقـى ، ومجمع للمعلومات حول التنمية الافريقية ، وخلية لتكوين الكوادر العربية فـى ميدان التنمية الافريقية ٠

كل هذا يعطى للمصرف مكانة مرموقة ويجعل منه أداة أساسيـة لانجـاز برامج التعاون العربى الافريقى ٠ وهذا ما تتمناه الدول الافريقية نفسها ، التى عبرت عن ذلك أكثر من مرة ، اذ انها تجد فى المؤسسات ذات الصبغة الجماعية

طريقا أيسر لتقديم مشروعاتها الانمائية ، وللحصول على الموارد الضروروية لتنميتها •

ان المصرف العربى للتنمية الاقتصادية في افريقيا ، يصبح صوت افريقيا لدى الدول العربية وصوت العرب فى افريقيا ، فى آن واحد ، أى انه يكون جسرا ممتدا بين الدول العربية والدول الافريقية •

مسألة التنسيق بين المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا والمنظمات العربية الانمائية :

ان المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، يشكل خلية من خلايا اسرة المنظمات القومية والدولية ، التى تهتم جزئيا أو كليا بالتنمية فى افريقيا وخاصة منها المؤسسات العربية ، ولقد بادرنا بعد عقد اتفاقيات تعاون مع عدد من تلك المنظمات ، كالبنك الدولى للانشاء والتعمير ، والبنك الافريقى للتنمية ، والصناديق الاوربية للتنمية ، كما تدارسنا مع عدد من المنظمات الانمائية العربية كالصندوق الكويتى ، وصندوق أبو ظبى ،والصندوق السعودى ، والبنك الاسلامى للتنمية ، آفاق التعاون والتنسيق فى ميدان تمويل المشروعات الافريقية •

ولقد وجدنا لدى كل هاته المنظمات العربية استعدادا كاملا لتدعيم أواصر التعاون والتنسيق ، ونحن باتصال مستمر مع كل هاته المنظمات لهذه الغاية •

ولقد اقترحنا بأن يلتقى مسؤولو تلك المؤسسات العربية بصفة منتظمةقصد تدارس برامج العمل العربى الانمائى فى افريقيا ، واعداد مخططات منسقة فى هذا الصدد حتى نعطى للتمويلات العربية فى افريقيا اكثر نجاعة من الناحية الاقتصادية ، ومن الناحية السياسية ، ونأمل ان أول اجتماع بين رؤساء هذه الصناديق والمؤسسات العربية الانمائية يلتئم فى أول سنة 1976 قصد برمجة عملنا المشترك فى افريقيا ، وقصد برمجة وضع خطة طويلة النفس للتعاون العربى الافريقى ، على ضوء دراسات ومعطيات كنا قدمنا جانبا وافرا منها فى هذا التقرير •

ولا شك انه فى هذا الظرف الذى يصعب فيه الحصول على الخبرة والتقنية فى ميدان التنمية الافريقية ، يجدر بكل المؤسسات العربية الانمائية ان تستوعب

امكانياتها الفنية والادارية معا للسيطرة على مشاكل التنمية والتمويل فى افريقيا •

ونريد هنا أن نتعرض الى موضوع مزمن وهام ، وهو موضوع الصندوق العربى لتقديم الاعانات للدول الافريقية ، فلقد بينا آنفا مهمة هذا الصندوق ، والتمويلات التى يقدمها للدول الافريقية غير العربية،لكن نرى ان انجع السبل فى ادارة هذا الصندوق ، وفى جعله أداة تعاون لصالح افريقيا ، يتمثل فى اقحامه داخل منظمة اقتصادية عربية ، حتى نضمن لهذه التمويلات والاعانات الفاعلية والتأثير العميق على اقتصاديات افريقيا •

ورغم ما قيل فى هذا الصدد ، فان المجهود الذى قامت به الجامعة العربية لادارة هذا الصندوق هو مجهود جبار ، يذكر فيشكر ،لكن من المعقول ان نوحد النظرة فى شتى برامج الاعانات العربية لافريقيا ، ونسلط على سياسة توزيع هذه التمويلات ، مقاييس اقتصادية وعلمية تمكن من توجيه هذه الموارد أحسن توجيه • والمعلوم ان الدول العربية أودعت لدى الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالكويت ، ما خصصته من اعانات بترولية للدول العربية ـ 80 مليون دولار ـ وبذلك يتسنى لهذا الصندوق أن ينسق التمويلات والاعانات داخل البلاد العربية ، سواء كانت تمويلات ذات صبغة انمائية ، أو تمويلات لتسديد عجز موازين مدفوعات الدول العربية المتضررة من ارتفاعات سعر البترول • ونأمل ان تتوخى الدول العربية نفس السبيل بالنسبة الى التعاون العربى الافريقى ، يعنى أننا نحبذ ارجاع ادارة الصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية ، الى المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، فيتمكن مصرفنا من تنسيق جهوده فى المجالين : مجال تمويل المشروعات الاقتصادية الانمائية ، ومجال تمويل عجز موازين المدفوعات فى افريقيا ، ذلك العجز الذى يعوق المسيرة الانمائية فى البلاد الافريقية ومن المعقول أن تكون ادارة هذا الصندوق داخل المصرف ، ادارة مستقلة خاضعة لمقاييس خاصة ، وبذلك يتسنى لمصرفنا أن يواجه المشاكل الاقتصادية فى افريقيا ، من جميع نواحيها •

لقد قيل ان هذا الصندوق له صبغة سياسية ، لكن الجواب هو أن كل التعاون العربى الافريقى له صبغة سياسية لانه مرتكز أصلا على نظرة شاملة لمستقبل العلاقات العربية الافريقية ، وعلى اختيارات سياسية جوهرية كما ذكرناه سابقا فى هذا التقرير ، فكل المؤسسات الانمائية العربية ـ ثنائية كانت

أو غير ثنائية ـ مكلفة بانجاز سياسة الدول العربية فى القارة الافريقية فى نطاق التآزر والتضامن العربى الافريقى ٠

غير أنه يتحتم على كل مؤسسة انمائية عربية ، وعلى كل صندوق عربى ان يسلك مسلك التقييم الاقتصادى العلمى فى توزيع الاموال المتوفرة لديه ٠ فهى بهذا الاساس تحقق للتمويلات العربية مهما كان نوعهاومستواها،الواقعين السياسى والاقتصادى العميقين فى افريقيا ، ونأمل ان يزود هذا الصندوق بموارد جديدة بداية من السنة المقبلة بما قدره 300 مليون دولار ، وأن يحول هذا الصندوق الى المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، كما ترغب ذلك الدول الافريقية وجل الدول العربية ، الذين اعربوا لنا عن تلك الرغبة ٠

ولا نشك أن استشارة الجامعة العربية ، لا بالنسبة لهذا الصندوق فحسب ، ولكن بالنسبة لكل مظاهر التعاون العربى الافريقى ، لهى ضرورية ٠

هذا ما اردنا أن نقدمه اليوم حول مسألة التعاون العربى الإفريقى حاضرا ومستقبلا ، وهى دراسة أولى تحتاج للمزيد من التحقيق ، غير انها مبنية على نظرة شاملة للتعاون العربى الافريقى ، تلك النظرة التى تمكن من اعداد استراتيجية طويلة النفس فى نطاق نظام اقتصادى عالمى متجدد (*) ٠

ش٠ ع٠

(*) نعتذر للاستاذ الشاذلى العيارى وللقراء الكرام لما اضطررنا اليه من حذف للجداول التوضيحية المرقمة نظرا لضيق المجال ٠

(الفكـر)

تنمية الموارد البشرية والتعاون الافريقي العربي

بقلم : الدكتور محيي الدين صابر

رئيس المنظمة العربية للثقافة والعلوم

(1) افريقيا طبيعة وبشرا وجود قديم في الحياة ... وما تزال الاكتشافات الأنتربولوجية والأركيولوجية تكشف في كل يوم عن جديد ، في عراقة هذا الوجود . وقد أبدعت افريقيا الحضارة البشرية ابداعا ، ففي وادي النيل قامت حضارة من أقدم الحضارات وأكثرها أصالة وأبعدها أثرا في فكر البشرية ووجدانها وخبرتها ، فوضعت بذلك أساس الحضارات الكبرى التي تلتها في آسيا وفي أوربا ...

وافريقيا ، وهي تبدع الحضارة ، تبادلت الخبرات وانشأت العلاقات مع شعوب العالم المتحضر حولها في كل حلقات التاريخ القديم والوسيط والحديث، على اختلاف في طبيعة تلك الحضارات ومستواها . لم تكن الصحراوات ولا البحار ، مانعات افريقيا وبخاصة في أطرافها من أن تمتد الجسور الحضارية بينها وبين العالم من حولها ، فقد وفدت اليها جماعات بشرية ، واستقبلت افكارا ، وانتشرت فيها ديانات وقيم ، وتبادلت المهارات والتكتيك ومارست التجارة مع العالم الخارجي وفيما بين اجزائها المترامية ، وعرفت النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في عصرها ، لم تكن افريقيا منعزلة عن حركة التقدم والتطور الانساني ، بل كان لها دورها الكبير والرائد في كثير من الأحيان في ذلك التقدم والتطور وذلك بحكم موقعها الجغرافي وقربها من قلب العالم المتحضر .

(2) وقد بلغت افريقيا في القرون الوسطى مرحلة متقدمة ، في النشاط الفكري والسياسي والاجتماعي ، فقامت فيها دول كبيرة وقوية ، وجامعات ذات تأثير كبير على الفكر العالمي ، ذلك حين استقبلت الحضارة الأسلامية والفكر الاسلامي وتفاعلت معها على قاعدة قديمة قائمة من الصلات التاريخية والحضارية بينها وبين المنابت العربية وبخاصة في اجزائها الشرقية والشمالية

وبدأت مشكلة افريقيا ، كما بدأت مشكلات آسيا وغيرهما من المجتمعات البشرية مع التوسع الأوروبى فى حركة الملاحة عبر المحيطات ، واختراع البارود وظهور العهد التجارى . فمنذ خمسمائة عام ، منذ أن وطىء شواطئها الملاحون الأجانب ، وصورة افريقيا تتعرض لمسخ منظم ، وتاريخها يحرف عن قصد ، وقيمها ومعنوياتها وحضاراتها تظلم ، ثم أنها تعرضت لاكبر محنة مرت على البشرية وعلى كرامتها فى تاريخ الانسان ، حين كان هذا الاتصال مدخلا لعهد الرق وامتهان الانسان وبيعه ، مما أفقر افريقيا بشريا وماديا وحضاريا ... وكان نتيجة لهذا كله ، أن بدأت صورة افريقيا تتغير وتشوه فى كتابات الملاحين والمغامرين والرحالة والتجار ، وأصبحت تسمى القارة المظلمة ، والقارة السوداء . والأفريقيون منذ ذلك الحين ، يوصفون بأحط الصفات ، ويوسمون بأنهم متوحشون وأنهم أكلة لحوم البشر ، بل أن صورتهم الطبيعية كانت تصور على نحو قريب من الشيطان ، فيقدمون على أن منهم بشرا لهم أذناب وقرون.. الخ . ولم ينته القرن التاسع عشر حتى كانت افريقيا قد تقاسمتها الدول الاستعمارية لقمة سائغة ، ووضعت لها خريطة سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية مصطنعة ، غريبة عن الماضى ، وغريبة عن المستقبل .

وهكذا بدأت رحلة المتاعب لهذه القارة العظيمة ، فى وسط سياسة محكمة لتفريغ محتواها الحضارى وتمزيق وحدتها ، وافقار طبيعتها ، واذلال انسانها ، ثم لانهاء وجودها التاريخى ...

(3) عانت افريقيا ، اذن ، من ضياع سيادتها سياسيا ، ومن الحركات الوطنية والتحررية ، وهزم السلاح النارى الجديد ، والفن العسكرى الأوروبى ، شجاعتها ، وسلباها حريتها ، فأصبحت القارة كلها واقعة بصورة من الصور تحت السيطرة الأوروبية . وامعانا فى تمزيق وحدتها ، وطمس شخصيتها بدأت الكتابات شبه العلمية تتحدث عن افريقيا السوداء ، وافريقيا البيضاء وعن افريقيا جنوب الصحراء ، وعن العناصر الزنجية والحامية والسامية وعن افريقيا الزنجية وافريقيا العربية ، لبث الفرقة بين أبناء القارة ، وشرعت السياسات المصممة لطمس معالم الشخصية الأفريقية، بنشر المسيحية ، ونشر اللغات الأجنبية ، ليس كنمط حضارى تثرى به الأفريقية ، ولكن كبديل تاريخى لها ، وعلى حسابها وشوه تاريخ افريقيا فى المدارس التبشيرية القليلة ، فكان يتعلم الافريقيون فيها كيف يحتقرون تاريخهم ، الذى كان يقدم على أساس أنه حصيلة بدائية من الخرافات

والجهالات وان الحياة الأفريقية قائمة على السحر ، وأن الديانات الافريقية وثنية وحديث خرافة Fétichisme وان الفكر الأفريقى فكر غير عقلانى. ولا يخضع للمنطق الانسانى الذى يعتبر نموذجه الأعلى الفكر الاغريقى وما نتج عنه ٠٠ الخ ، وان الأفريقيين كان يبيع بعضهم بعضا ، ويسخر بعضهم بعضا ، وان افريقيا لم تعرف الانسانية والمنطق الا فى ظل حماية الرجل الأبيض حامل الرسالة المدنية ، وان الأفريقيين لا نجاة لهم الا بالاندماج فى حضارة السادة الحاكمين وفى ثقافتهم وفى لغتهم وفى نمط حياتهم ، وكان معنى هذا كله حجبا منظما للأفريقيين عن ماضيهم العظيم ٠٠ الخ ، وعن كل ما يذكر بالامجاد التى صنعها اجدادهم ٠٠

كذلك فان عملية الاستيطان الاقتصادى بدأ الى جانب الاستيطان السياسى وبدأ الأفريقيون ، وقد حرموا من ثروتهم الطبيعية التى نشأوا عليها ، والتى اغتصبها الأوروبيون المستعمرون وقنع الأفريقيون ـ أهل الثروة ـ بأن يكونوا عمالا مسحوقين مأجورين أجرا هو أقرب الى السخرة والأحسان الشحيح ، منه الى الحق الطبيعى ، وليتهم وجدوا ذلك فى كل حين !!

وفوق هذا كله ، بل ومعه ، مورست التفرقة العنصرية واللونية ، فى أرض افريقيا على أهل افريقيا ، بصورة لم يسبق لها فى التاريخ البشرى مثيل ، وبمنطق هو مستحيل ، بكل المقاييس الانسانية ٠

(4) أن هذا الذى عانت منه افريقيا ، عانت من مثله مجتمعات أخرى فى مختلف قارات العالم وأجزائه ، فى صور متعددة ، ولكن معاناة افريقيا ، سوف تظل نوعا فريدا لانها شملت قارة كاملة ، وحضارة بأسرها ، وتركت من الآثار الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ما يشكل عبئا ثقيلا على حركة التنمية الأفريقية فى مختلف المجالات ٠٠٠

وحين نقرر هذه الوقائع التاريخية ، فاننا لا ندعو من جانبنا الى عنصرية افريقية ، فافريقيا لم تعرف فى حضارتها غير التسامح الانسانى العظيم ، وعاشت فى وحدة متآلفة مع الطبيعة والأحياء ، ولكننا نشهد على نظام سياسى واقتصادى عرفته أوروبا ، وأفرز هذا النمط من السلوك العدوانى والأنوى ، والاستغلالى ، ونحن لا ندين الشعوب الأوروبية التى كانت هى نفسها مسخرة فى هذا النظام ، ونذكر بالفضل المفكرين والأحرار من الأوروبيين الذين دافعوا فى شجاعة ونبل ، وفى موضوعية وبصيرة ، عن الانسان الافريقى ، وعن حريته ، وعن الحضارة الافريقية وقيمها ٠٠٠

وافريقيا وهى جزء من حركة العالم الحى ، بدأت تثور على قيودها التى فرضت عليها ، ولم ترض بها فى يوم من الأيام ، وفى تضامن مع نضال البشرية ضد الاستعمار ، وبالثمن الغالى ، بشهدائها وقرابينها للحرية استطاعت أن تنتزع حريتها ، وتستعيد مقومات شخصيتها وتملك ارادتها كما فعلت معظم شعوب العالم المعاصر ، ولكنها فى العلاقات الدولية المعقدة وفى اطار التزاماتها الجديدة ، ومسؤولياتها السياسية والاجتماعية تواجه مشكلات سوف تعايشها لاكثر من جيل ، غير أن هذا الجيل الذى كان له شرف الانتصار فى معركة الحرية السياسية ، ما تزال امامه معارك لا تنفصل عن معركة التحرير ، فى مجالات البناء الاجتماعى والاقتصادى ، وفى الارتفاع بقدرة الانسان الافريقى الى مستوى قدرة الطبيعة الافريقية ، لتصوغ حضارتها الانسانية ولتشارك فى بناء الرخاء والسلام فى العالم ٠

(5) ومع أن جزءا عزيزا من افريقيا ما يزال تحت القهر ، فان القارة قد امتلكت ارادتها السياسية ، واستردت حريتها ، وهى بتلك الارادة ، وهذه الحرية تناضل لتحرير الشعوب الافريقية التى تعانى من القهر والاضطهاد ٠

والآن فما هى صورة المشكلات الجديدة ، وما هى نوعية تلك المشكلات التى يعرضها وضع افريقيا بعد الاستقلال والحرية ؟

وهذا بطبيعة الحال موضوع يستغرق المجلدات ذوات العدد ، ولكننا هنا . نحاول أن نشير الى بعض القضايا الهامة والمجالات الكبرى لتكون موضوعات للحوار والمناقشة ٠٠

ولهذه المشكلات جانبان ، جانب سلبى ، وهو ما تخلف عن تخريب تم على يد النظام الاستعمارى فى مجالات الفكر ، ومجالات الاقتصاد ٠٠٠ والاجتماع ٠٠٠

وجانب ايجابى ، وهو ما تفرضه واجبات الدولة الحديثة تجاه حقوق المواطنين ، تنمية ورخاء وأمنا ، وما تقتضيه المسؤوليات القارية والعالمية من التزامات ومن تعاون لخير البشرية واسعادها ٠٠٠

والمشكلات التى خلفها الاستعمار هى من أخطر المشكلات لانها تتناول الانسان الافريقى ، وتتناول شخصيته الحضارية وقيمه ٠٠

فتاريخ افريقيا السياسى يجب أن تعاد كتابته كتابة موضوعية وعلمية فى اطار تاريخ العالم ، بحيث يبرز فيها دور الانسان الأفريقى فى صناعة الاحداث وفى التعامل معها ٠

كذلك فان الحضارة الأفريقية الغنية ، بألوان الفكر ، وأنواع الفنون التشكيلية والموسيقية ، والآداب الأفريقية فى اللغات الأفريقية ، والديانات التى أثرت فى الوجدان الأفريقى وفى المصير الأفريقى ، كل ذلك يجب أن يكون من الهموم الأساسية للجامعات ومراكز البحوث الأفريقية والأفراد العلميين من الأفريقيين ٠٠٠

وفى كل حال ، فانه ينبغى أن نقرر أنه كان هناك أمام هذه القضايا منهجان كلاهما من الناحية العلمية غير سليم ٠

المنهج الأول ، وهو المنهج الذى كان غالبا فى الماضى ، وبخاصة فى القرن التاسع عشر وجزء صالح من القرن العشرين ، وهو المنهج المتجنى الذى كان لا يرى شيئا حسنا يستحق الحياة فى الحضارة الأفريقية ، وهو المنهج الذى سلف فيه قول فى هذا العرض ، وقد أدى مثل هذا الموقف الى تبنى فكرة إدماج الحياة الافريقية فى الحياة الأوروبية تخلصا من وجود حضارى لا قيمة لـه ٠

أما المنهج الثانى ، فهو منهج رومانتيكى ينـزع الى استملاح الغـرابـة Exotisme ويغالى فى إضفاء خصائص وصفات مثالية على الحضارة الأفريقية ، ويحاول أن يجعل منها نمطا فريدا ومتفوقا فى بعض الأحايين ، وقد انتج مثل هذا الاتجاه نوعا من التعصب الفكرى الأفريقى وبخاصة حول فكرة الزنوجة " Négritude .. " وهى اتجاه واكب مرحلة التحرر الوطنى فى افريقيا ، ولعب دورا ايجابيا فى حشد القوى المثقفة الأفريقية ، واستهوت عددا من الكتاب الأجانب ، ولكنها فى بعض جوانبها ، تضيق من رحابة أفق الفكر الأفريقى ، وتحدد وعاءه ، وهو ينتهى فى بعض مسالكه الى اضعاف التضامن الأفريقى قاريا ، والتضامن الأفريقى عالميا ٠٠٠

المنهجان ، يبعدان عن الموضوعية ، ويقودان ، بحسن نية حينا ، وبسوء نية أحيانا ، الى مآزق وطرق مسدودة ٠٠٠

ومن هنا ، فان الحضارة الأفريقية ، هى مثلها ، مثل سائر الحضارات الأخرى ، انتاج بشرى لتفسير الحياة فى كل ابعادها ، ولاستغلال مواردها والسيطرة عليها ولتجميلها واغنائها ، وتنظيم علاقاتها الاجتماعية ، وتدريج قيمها ، وتبنى حياتها الروحية ٠ هى فلسفة الحياة بكل مهاراتها وجمالياتها وعلاقاتها وفلسفة الموت بكل روحانياتها وقداستها وجلالها وهى حين تدرس

فى موضوعية ، دراسة مستوعبة تتناول أصولها وروافدها ، وطبيعتها ودوافعها ، دون تبخيس مغرض لقيمتها ، ودون مغالاة انفعالية لخصائصها ، مأخوذة فى اطارها التاريخى محليا وقاريا وعالميا، سوف تكون هذه الحضارة حينئذ من أقوى الدعائم لوحدة افريقيا ولاعادة الشقة ليس فى ماضيها وحسب ، بل وفى حاضرها وفى مستقبلها ٠٠ سوف توضع الحضارة الأفريقية فى مكانها الصحيح بين حضارات العالم وهو مكان شامخ ٠

(6) وفى اطار هذه المشكلات ، وهذه الورقة تعنى أساسا ، بالجانب الفكرى فان قضية من قضايا الحضارة الأفريقية لها أهمية خاصة فى هذا السياق ، وهى قضية اللسان الأفريقى الذى لا يمكن فصله عن قضية الفكر الأفريقى ، فاللغة ، ليست مجموعة رموز ، ووسيلة تعبير بها وحسب ، ولكنها طريقة للتفكير أيضا ٠٠٠

افريقيا الآن لا تتحدث الى العالم ، ولا الى نفسها ولا الى ماضيها ولا الى مستقبلها بلغتها ولا بفكرها ٠٠

لقد كان أمرا طبيعيا فى اللقاء الحضارى بين أفريقيا وأوروبا ، أن يتغير كثير من الأوضاع الحضارية ، غير أن هذا التغيير شمل فيما شمل اللغة نفسها ، فعن طريق النظام التعليمى الحديث الذى كان يتم باللغة الأوروبية الحاكمة ، تم على امتداد أجيال ، اعداد طائفة من المتعلمين الذين قادوا الحياة العامة ، واستطاعوا أن يتحرروا من السيطرة السياسية ، وموقف المتعلمين الأفريقيين هذا من الاستعمار ومقاومته من الدلالات على أن اللغة ليست رموزا ، ولكنها فكر وموقف واتجاه ٠

وبعد انتهاء السيطرة السياسية ، استمر النفوذ الفكرى والثقافى ، ولم تجد كثير من الدول بعد الاستقلال السياسى ، الاستقلال الفكرى ، وجدت اللسان ، ولكنها فقدت النطق ، وأصبحت الدول الافريقية ، وهى فى ذلك شأنها شأن كثير من الأمم التى عانت من الاستعمار ، تبحث عن لغتها القومية، حدث ذلك فى الهند وفى سيلان فى آسيا وفى بلاد افريقية ، مثل تنزانيا والجزائر ٠٠٠

وواقع الأمر ان افريقيا كانت تملك حياة ثقافية وفكرية ، وكانت هناك لغات كبرى مكتوبة ، ولها تراث ضخم ، مثل اللغة السواحلية فى شرق افريقيا ، ولغة الهوسا فى غربها ، وكاللغة العربية التى ظلت لغة الفكر

والثقافة الأفريقية لفترات طويلة ، وفى معظم أجزاء افريقيا لفترات طويلة . وهى ما تزال لغة خمسة وتسعين مليونا من الأفريقيين وهى اللغة الرسمية لثماني دول افريقية ٠٠ واستطاعت أن تفلت من الغزو الثقافى الاجنبى ، لاسباب روحية وثقافية ٠٠

ان افريقيا تقسم لغويا ، بين المتحدثين بالانجليزية Anglophone والمتحدثين بالفرنسية Francophone

كيف يمكن تقديم وتصنيف الآثار الفكرية والأدبية التى يبدعها كتاب أفارقة باللغات الأجنبية ، أهى تحسب فى تراث تلك اللغة الاجنبية ، أم تحسب فى تراث جنسية الكاتب الافريقى ؟ ان كل ما يكتب باللغة الأنجليزية هو تراث انجليزى مهما كانت جنسية كاتبه ومثل ذلك يقال عما يكتب بالفرنسية أو بأية لغة أخرى ، وقد رأينا فى افريقيا نفسها لغات أوروبية ورثت لغات أوروبية أخرى ، كاللغة الالمانية التى ورثتها اللغتان الفرنسية والأنجليزية ، وذلك حين زال الاستعمار الالمانى عن المناطق التى كانت تحتلها فى شرق وغرب أفريقيا ٠٠

هذه القضية قضية جوهرية وشائكة ودقيقة ، وهى ما تزال موضع جدل ومثار حوار ٠٠٠

فهناك من يرون ، أن قضية اللغات القومية لم تعد فى نطاق الحضارة والتكنولوجية الجديدة ذات الطابع العالمى ، قضية أساسية وأن اللغات المتعددة إنما كانت وليدة الحضارات النسبية التى تعبر عن نمط الحياة الاجتماعية التقليدية القائم على المجموعات البشرية المحدودة فى نطاق القبيلة ، والتى لها خصائصها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بها ، على حين أن النمط الجديد للحياة المعاصرة نمط كونى يعتمد على التماثل والتوحد فى أساليب الانتاج والأرتفاق ، وأن وسائل الاتصال العملاقة قد أزالت الأبعاد الزمنية والمكانية وجعلت سكان العالم أشبه بسكان قرية الكترونية ، يتسامعون ويتراءون ، ويتقاسمون مصيرا واحدا فى الحرب والسلام وفى الشدة والرخاء ٠٠ وان الدعوة الى اللغات القومية أو المحلية تعتبر نكسة لهذا الاتجاه العالمى للوحدة الفكرية والاقتصادية ، أو على الأقل غير متساوقة مع منطق هذه الوقائع ٠٠

ولهذا الموضوع من جانب آخر صلة بما يسمى فى العلوم الانسانية ، بالشخصية القومية National Character والى أى حد يمكن أن

يسهم التنوع الحضارى فى الوحدة الحضارية ويخصبها ويثريها ؟ وهل يمكن أن يحول الاتجاه الذى تمثله الثورة التكنولوجية فى توحيد نمط الحياة الانسانية ، أو سوف يحول من وجود أيديولوجيات متصارعة ، ومصالح متعارضة ؟ وكيف يمكن أن يحول التاريخ الحضارى الواقعى للشعوب والقوميات ، الى فكرة مجردة ، أو الى معنى عام ، كيف يمكن أن يتجاوز المنطبق الاجتماعى عن مفهوم الأبوة والبنوة ، عن فكرة نسبة الطفل الى أبيه وأمه ، عن نسبة الحضارة الى أهلها ٠٠٠

على أننا نعتقد اعتمادا على الممارسة التاريخية والواقعية ، أنه ليس هناك تعارض بين الاحتفاظ بالشخصية القومية ، وبالمقومات الحضارية الخاصة بها ، وبين الاندماج فى الحضارة العالمية التى تثرى فى الوقت نفسه من هذه الحضارات المحلية ٠

وفى مجا لاللغات فان المجتمعات القومية ذات اللغات المحدودة الانتشار ، انتجت بهذه اللغات، وهى فى الوقت نفسه، تتصل عن طريق نخبة من أبنائها باللغات الأخرى،وأن اللغات الكبرى نفسها يأخذ بعضها عن بعض، وأن بعض هذه اللغات كان تاريخيا لغات لمجموعات محدودة جدا،وانتشرت نتيجة لظروف وعوامل خارجة عن طبيعة اللغة نفسها ، وان لغات كبيرة حجما وكيفا تقلصت، وفقدت مواقع كانت لها نتيجة أيضا لأسباب خارجة عن طبيعتها ، فانتشار لغة أو عدم انتشارها عملية لا صلة لها بطبيعة اللغة نفسها ، وانما ترجع الى وقائع اجتماعية أو فكرية أو اقتصادية أو حربية ٠٠٠ الخ ٠

ومن هنا ، فان الحكم على أفضلية لغة من اللغات فى مرحلة من مراحل انتشارها ليس حكما قائما كله على أسس موضوعية ، فنحن لا نحكم على تفوق اللغة ، ولكن نحكم على تفوق أهل اللغة ، وقد تكون أسباب هذا التفوق أمورا خارجة عن طبيعة اللغة نفسها ٠٠

ومهما يكن من أمر ، فان اللغة بالنسبة لشعب من الشعوب هى مستودع قيمه وحكمته ، وهى الى حد كبير ، رؤيته الى الحياة ، وهى وجدانه ٠٠٠

والى جانب هذا الذى يقال عن عالمية الأتجاه الحضارى ، ونسبية المحافظة على السمات القومية ، وفى مقدمتها اللغة ، تثار قضية أخرى ، هى أن اللغة ليست مقوما من مقومات الوجود السياسى ، فهناك دول كبيرة ، لها وجود سياسى متعدد وهى تتكلم لغة واحدة ، ودول أخرى لها وجود سياسى

واحد ، وتتكلم لغات متعددة ، وهذا صحيح ، ونحن لـم ننظـر الى قضيـة اللغات فى الحضارة الأفريقية فى صلتها بالوجود الوطنى للدول الأفريقيـة بحدودها السياسية القائمة ، فهذه الصورة انما شكلها الاستعمار ، وقام كثير من الدول على أساس ادارى ، وطبقا للمعاهدات التى تقاسم فيها الأوروبيون افريقيا ، وقليل من هذه الدول قام على أساس تاريخى ، نحن هنـا نثيـر حضارة قارة بأسرها ، واغتراب وجدانها الشعبى عن التعبير عن حقائق العصر فهى لا تتلقاها بوسيلة غير طبيعية ، نثير هنا قضية ايقـاف النمـو الحضارى للفكر الأفريقى وافقاره وإجدابه ، والحكم عليه بالفناء ، نثير هنـا قضية الاحلال التاريخى للغات أجنبية بدل لغات طبيعية وأصيلة لها الحق فى أن تنمو ، نثير هنا قضية محاربة لغات أفريقية ذات ماض عريـق ، وذات انتشار عالمى مثل اللغة العربية ليست كلغة ولكن كفكر كان له وما يـزال دور فى الحضارة الأفريقية ··· ومثل التراث العريق الكبير ، فـى لغـة الهوسا واللغة السواحلية، واخراجه من دائرة التعامل الثقافى والتاريخى···

ما تزال هذه القضية من أخطر القضايا الفكرية التـى تواجـه الحضـارة الافريقية اليوم فى هذه المرحلة الجديدة من حياتها السياسية ··

(7) اذا كانت القضايا التى أثيرت هنا تمثل نـوع المشكـلات الفكريـة والثقافية التى تتعرض لها الحضارة الافريقية فـى وضعـها الجديـد ، بعـد الاستقلال السياسى للدول الأفريقية ، فان هناك التزامات جديدة تنبع من طبيعة هذا الوضع الجديد ، وهى تمثل ، فـى مجموعهـا ممارسـة الارادة السياسية الحرة ، فى تغيير العلاقة بين الطبيعة والانسان ، وبين الانسان والانسان فى اطار المواطنة ، وفى عبارة اخرى فى احداث التنمية الشاملة ، وفى تحقيق التكامل التنموى والسياسى على مستوى القارة ، ومباشرة التعاون الخلاق على النطاق العالمى لخير البشرية وسلامها ·

وهذه الشعارات والمبادىء قائمة فى كل دساتير الدول الافريقية ، بصورة من الصور ولكن تقدير أولوياتها والقدرة على ممارستها ، وترجمتها الى واقع هو الأمر الذى يختلف من دولة الى أخرى ·

وليس تناول هذه العموميات ، من هدف هذه الورقة التى تنظر الى القضية من منظور محدد ، هو كيف يمكن أن يكون الأساس الفكرى ، هو المنطلق الحقيقى لتعاون الاقتصادى الافريقى وهذا السؤال يمكن أن يطرح باكثر من اسلوب ، ومن زوايا مختلفة ، لأنه سؤال كبير ·

ولنبدا من الواقع ، واقع الدول الأفريقية حديثة الاستقلال ، بكل مشكلاتها وبكل طموحها • ان هذا الواقع يشير الى أن هذه الدول ، وهى تفكر بعقلية الدولة ، والدولة كيان معنوى مجرد ، هو نظام يختلف عن أفراده المكونين له ، تفكير الدولة هو تحقيق وجودها ، كما تحققها الدول الأخرى ، فى استكمال القوة والرخاء والعدالة والأمن ، والوسيلة المادية التى تتحقق فيها هذه الأهداف ، هى القدرة المالية والاقتصادية ، فهذا هو النموذج الحى القائم فى الدول المتقدمة ، لان تقدمها قائم على هذه القدرة •

وهنا لا بد أن نلحظ قفزة فى التصور ، قفزة تصل الى النتيجة ، دون التحليل الدقيق لعناصر مقدماتها ، والدول الحديثة الاستقلال لها فى مثل هذا التفكير عذرها ، لانها تريد أن تعوض الحرمان الطويـل ، وأن تحـرق المراحل ، وأن تقفز وان تطفر ، لان اتباع طريقة النمو والتطور الطبيعى فى التنمية مع الايقاع المتسارع لحركة الحياة المعاصرة لن يغير من صورة الواقع المتخلف القائم ان لم يزده سوءا •

وواقع الأمر ان القدرة الاقتصادية ، والقدرة الماليـة للـدول المتقدمـة ، وراءهما وأمامهما القدرة البشرية ، وأمامنا أمثلة الدول الغنية بكل المقاييس المادية ، بحساب الدخول القومية والفردية ، ولكنها محسوبة فى عداد الدول النامية لان قدرة الانسان فيها غير مدربة وغير متطورة بالقدر المناسب للقدرة المالية فالقدرة المالية وحدها ليست كافية لتحقيق التنمية والتقدم ، فهى تعين على عملية شراء مظاهر التنمية ومظاهر التقدم ، دون أن يكون ذلك بالضرورة، كافيا لانتاج التقدم وصناعته ، ذلك الانتاج الذى مناطه قدرة الانسان وعلمه وخبرته ودون تفصيل لهذه الحقيقة الأولية ، نصل منها الى الحقيقة التاريخية ، وهى أن الانسان بقدراته المدربة ، هو الذى يفجر موارد الطبيعة ويحولها الى قيمة اقتصادية والى واقع مالى ••

ومن هنا ، فان الأولوية التى تعطى للجانب البشرى فى التنميـة ينبغى أن تكون أولوية مطلقة ، حتى يمكن صناعة التنمية ، وليس شراء مظاهرها ، لتحقيق تنمية عميقة وحقيقية تبدأ بالانسان ، وتنتهى الى الانسان •

وتنمية الموارد البشرية ، هى التعليم والتأهيل والتدريب •

والتعليم ، وهو الى جانب كونه حقا للمواطنين لا يسقطه تقادم العهد عليه، وواجبا على الدولة ، لا يسقطه عجزها ، فهو فى المقام الأول استثمار اقتصادى

واجتماعى من الطراز الأول وهو استثمار طويل المدى ، وخطأ هو شائع ، سياسيا واقتصاديا ، اعتبار التعليم خدمة من الخدمات الاجتماعية أو الفردية

ومقياس التنمية الحقيقية هو نسبة التعليم ، ونوع التعليم ، ومستوى التعليم ، الى جانب المعايير المادية المختلفة التى تذكر فى هذا المقام ...

وحين يكون الحديث عن التعليم ، فانه ينبغى أن تكون قضيتان أساسيتان من بين عدة قضايا موضوعا للدراسة ، هما قضية حجم التعليم ونوعه ومستواه ، وقضية تمويل التعليم ..

أما من حيث حجم التعليم وكمه ، فان ذلك يعنى استيعاب الأطفال بحقهم فى التعليم ، وفى افريقيا فان صورة التعليم وفقا لاحصائيات اليونسكو فيها عام 1975 ، هى أن حجم الأمية فيها يصل الى 73،5 ٪ بمعنى أن الذين يقرأون ويكتبون لا يتجاوزون 26،5 ٪ وأن نسبة الأميات من النساء ممن هن فوق الخامسة عشرة ، داخل هذه النسبة تبلغ 83،3 ٪ بمعنى ان هناك 16،7 من النساء يعرفن القراءة والكتابة بلغة من اللغات ..

ونحن هنا ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار ، بطبيعة الحال ، الفترة القصيرة التى استقلت فيها افريقيا ، وظروف أوضاعها الاقتصادية والمالية ، وقلة الفنيين الذين تحتاج اليهم مهنة التعليم ...

على ان هذه الصورة تكشف بوضوح ، مهما كانت الأسباب ، عن حجم المشكلة التعليمية التى هى أساس عملية التنمية ، وذلك دون الخوض فى نوع التعليم ومستواه ولا فى تنوعه ، وبخاصة التعليم الفنى فى مختلف مستوياته وشتى فروعه التى تتطلبها طبيعة الثروة الأفريقية ، كالزراعة ، بنوعيها النباتى والحيوانى ، وكالتعدين ، الى جانب القضية الأساسية المتصلة بلغة التعليم الذى يجب أن يكون قائما على اللغات الأفريقية ذات التراث وذات التاريخ الثقافى ، وليس هذا دعوة الى عزل افريقيا عن العالم وعن ثقافاته ولا عن حضارته ، ان اللغات الأجنبية الكبرى تعلم فى كل المدارس على المستوى العالمى ، وأنها فى بعض المستويات ، وفى الدراسات العليا ، وفى البحوث العلمية ، بل وفى بعض أقسام الدراسات الجامعية ، تصبح ضرورة للتدريس بها ، وليس فى هذا ضرر يلحق بالشخصية القومية ، ولكن الخطورة أن تكون اللغة الأجنبية بديلة عن اللغة القومية فى التعليم فى مراحله العامة ، لان التعليم يجب أن يكون اعدادا للمستقبل واخصابا للحاضر ، استعادة لمقومات الشخصية القومية ...

ان ميدان التعليم ينبغى أن يشمل الى جانب النمط النظامى ، أنشطة أخرى متنوعة من أنواع التدريب المختلفة فى التوجيه للعمل أو فى اثنائه ، وبخاصة مجال تعليم الكبار الذى يبدأ من الأبجدة ومحو الأمية الى التعليم الجامعى ، مارا بالتدريب المهنى ، وبالتأهيل الفنى ، ومرتبطا بالثورة الثقافية الجماهيرية فى تجديد بناء المجتمع عن طريق الارشاد الزراعى والتعاونى والصحى والنسائى وتنظيم المجتمع ورعاية الفنون الشعبية المختلفة وتطوير الصناعات التقليدية ... الخ

هذا الميدان التعليمى ، وهو مجال التنمية البشرية ، هو الخطوة الأولى فى عملية التنمية الشاملة ، وهو الذى يكون البنى القاعدية .Infrastructure الضرورية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا بالطبع لا يعنى تأجيل عمليات التنمية حتى يتم اعداد القوى البشرية ، ولكن يعنى أن تعطى التنمية البشرية داخل مشروعات التنمية الأهمية الموضوعية لها ، ذلك أن من الأخطاء الشائعة فى البلاد النامية ، تصور التنمية فى صورة صناعات ومصانع تستورد آلاتها ومهندسوها وأحيانا المواد الأولية التى تعمل بها ، وصحيح هى صورة من صور التنمية ، ولكن ينبغى أن تقوم على اساس صالح من الدراسة ، وتقدير أوزان الأولويات البعيدة المدى والمتوسطة والقصيرة .

وفى مجال التعليم ، فان العقبة الكبرى ، هى عملية تمويل هذا التعليم الذى يعتبر من جانب حقا وواجبا سياسيا ، ومن جانب آخر استثمارا طويل الأجل ، بحيث لا يمكن الانتفاع المباشر من معطياته بل أن ذلك قد يستمر ربع قرن ، وهذا التمويل ترتفع تكاليفه عاما بعد عام للارتفاع المتصاعد فى الأسعار العالمية ، وبخاصة فى مواد البناء ، ووسائل المواصلات .. الخ ، وفى أثمان الوسائل التعليمية كالورق والأدوات المعينة الاخرى Audio Visual Aids

وانه لشىء واقعى أن الموازنات العامة للدول النامية ، وفى مقدمتها الدول الأفريقية لا يمكن أن تنهض بتمويل تعليم وطنى شامل وجيد ومتنوع مهما بالغت ومهما خصصت ، وعون المنظمات الدولية ، وهى تواجه متطلبات متزايدة على مستوى العالم لا يمكن الا أن يكون ، بالضرورة ، عونا محدودا .

ومن هنا ، فليس هناك إلا إحدى طريقتين ، أو هما معا لمواجهة متطلبات التنمية البشرية .

الطريقة الأولى ، هى أسلوب الخروج عن الأنماط التقليدية فى التمويل الرسمى ، وذلك بفتح قناة شعبية ، عن طريق العون الذاتى ، بحيث يسهم المواطنون ، والطلاب فى بناء المدارس وانشاء المؤسسات التعليمية المختلفة بالجهد المادى وبالعمل المباشر ، وقد طبقت دول افريقية كثيرة هذا الأسلوب كالسودان وتنزانيا والصومال ، وقد أدى هذا المنهج خدمات اجتماعية كبيرة تتجاوز نطاق نشر التعليم ، فكانت له آثار سياسية واقتصادية ايجابية ، لانه أسلوب من أساليب الالتزام الوطنى ، وترسيخ لمعنى المواطنة عمليا ، الى جانب أن المبادرة الشعبية الخلاقة تؤثر ليس فى البناء المادى للتعليم وحسب ، ولكنه أيضا فى البناء التربوى نفسه ، وذلك باشاعة الديمقراطية فى مناهج التعليم ، وبتيسيره للجنسين ، وبخاصة والمرأة الافريقية تحتاج الى جهد مضاعف لتوسيع فرص التعليم على اختلاف انواعه أمامها ، وللمرأة الأفريقية دور أساسى فى الحضارة الأفريقية ، فهى التى كان يقوم على عاتقها تقليديا ، كثير من عمليات الانتاج والتسويق كما أنها لعبت دورا أساسيا فى حركات التحرير والاستقلال السياسى ، ذلك كله فوق حقها فى التعليم كمواطنة …

أما الطريقة الثانية ، وهى ليست بديلة عن هذه الطريقة الأولى ، كما أن الطريقة الأولى ليست بديلة عن الأسلوب الرسمى التقليدى ، وتلك هى العون القارى والأقليمى وذلك عن طريق انشاء نظام استثمار فى التعليم عن طريق منظمة الوحدة الأفريقية والجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة ، وتستطيع الجامعة العربية أن تقوم بدور نافع فى هذا المجال ، كذلك تستطيع الدول العربية القادرة أن تقدم الكثير فى هذا المجال ، وبخاصة وان اللغة العربية والثقافة العربية لا يمكن فصلهما عن الثقافة واللغة الأفريقية ، فهى أوسع اللغات التاريخية انتشارا وأكثرها حيوية فى الشعوب التى تتكلم بها فى افريقيا …

ان مثل هذا التعاون فى مجال الاستثمار الثقافى والعلمى يجب أن يسير جنبا الى جنب مع التعاون فى المجالات الاقتصادية التى تتطلب بالضرورة خبرات علمية وادارية …

وهكذا فاننا نرى أنه من الصور الممكنة ، والمرغوب فيها ، فى التعاون الأفريقى العربى ، ان يكون المجال الفكرى أحد المجالات الأساسية ، وان يكون المدخل الى التعاون الاقتصادى ، لان ذلك يحقق بناء الانسان الافريقى فى حضارته وعلاقاته وقيمه ، فى الوقت الذى تنمو فيه موارده الاقتصادية

نموا طبيعيا وأصيلا ، وان الالتقاء العربي الأفريقي التقاء تاريخي وحضاري قديم ، وهو وجود مشترك على الطبيعة ، وفي القيم وفي البناء الفكري ، وان تعاونهما في الظروف الجديدة ، لبناء حياة حديثة معاصرة ، يقوم على أسس حضارية وتاريخية مشتركة وأصيلة ٠

(9) استخلاصات :

الحضارة الأفريقية من أقدم الحضارات وأكثرها أصالة وتأثيرا على سير الحضارة البشرية ، وقد لعبت أفريقيا دورا حيا على مدى التاريخ وصنعت الاحداث وشاركت فيها ولم تكن في معزل عن حركة العالم في كل حلقات التاريخ ، ودورها في التاريخ القديم والوسيط دور عظيم في المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية ٠٠

وكان اتصال افريقيا بالشعوب والحضارات الأخرى يمثل عملية اغناء وخصب متبادلة ، كما حدث في اللقاء الاسلامي والعربي في افريقيا ، حيث قامت افريقيا بدور أساسي في بناء تلك الحضارة على أرضها وبجهد ابنائها ، فقامت الجامعات ونشأت الدول الاسلامية الكبرى ٠٠

وتعرضت افريقيا ، في العصر الحديث ، لما تعرضت له الحضارات التقليدية الكبرى في آسيا ، من محنة الاستعمار في كل مراحله ، ابتداء من حركة الكشوف البحرية منذ القرن الخامس عشر ٠٠

ولأول مرة في تاريخ البشرية ، تحدث على أرض افريقيا ولشعب افريقيا كارثة حضارية ، بيعت بها شعوب القارة ومسخ تاريخها ، وشوهت حضارتها ومزقت قيمها ولكن الشعوب العريقة لا تموت ، واستطاعت افريقيا بنضالها أن تسترد حريتها وأن تواجه مسؤوليات كبيرة في اعادة بناء روحها وقيمها وثقافتها وأن تعيش في الوقت نفسه على مستوى المعاصرة الايجابية لحركة الحضارة الجديدة ، وعليها أن تسترد شخصيتها الثقافية ، وأن تزيل الافكار الضليلة التي مزقت وحدتها واشاعت فيها العنصرية ، ولم تترك من افريقيا الا اللون ، فافريقيا أصبحت تعني اللون الأسود ، وافريقيا أكبر من هذا وأوسع من هذا وأعمق من هذا ، افريقيا قارة عظيمة لا تعرف العنصرية والتعصب تجمعها حضارة وقيم وتاريخ واحد ، هو فوق الالوان والمظاهر ، ان فكرة التصنيف البشري القائم على الانثربولوجيا الطبيعية

Physical Anthropology قد انتهت ، ويتجه الانثربولوجيون الى التصنيف الحضارى ، والحضارة حصيلة جهد جماعي وهي كيان حي يؤثر ويتأثر بالحضارات الاخرى ، وحضارة افريقيا صنعها كل الشعوب والجماعات التى عاشت فى افريقيا على مراحل التاريخ المختلفة ۰ وافريقيا مدعوة الآن الى استعادة قيمها الفكرية متمثلة فى لغاتها الكبيرة وفى تراث تلك اللغات لتكون لافريقيا لغاتها التى تتحدث بها وتنتج بها ، مع المحافظة على صلتها بالعالم المعاصر ، وقدرتها على الحوار المثمر معه ۰

وفى هذا النطاق ، فان على افريقيا أن تعطى للتنمية البشرية أولوية خاصة ، وأن تهتم بنشر التعليم كما وتجديده كيفا وتنويعه مجالا ، وأن تمحو الأمية ، وتربط بين حركة تعليم الكبار ، وتجديد المجتمع وتطويره وتنميته وان تعطى المرأة الافريقية مكانا خاصا يتفق مع دورها التاريخى الواقعى والمستقبلى ۰۰

وان التعاون ، فى هذا المجال ، الى جانب الاعتماد على الجهود الشعبية والدولية ، ينبغى أن يكون بصفة أساسية فى نطاق الامتداد التاريخى والثقافى بمعنى أن تكون هناك سياسة على مستوى منظمة الدول الافريقية ، والجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة من ناحية ، وبين الدول الافريقية من ناحية أخرى ، لتكون للاستثمار الثقافى والعلمى أولوية فى مجالات الاستثمار التى سوف تخصب وتثرى من هذه الاستثمارات ۰۰

وان الدعوة موجهة الى المجتمع العربى والمجتمع الافريقى لمباشرة هذا التعاون الطبيعى والتاريخى ، وحين نقول المجتمع العربى والمجتمع الافريقى، فنحن فى واقع الامر نشير الى مجتمع واحد ، جغرافيا وتاريخيا فالذى يجمع بينهما أرضا وفكرا وحضارة وتاريخا ، شىء قهر الزمن على الرغم من كل المحاولات التى تمت لتزييف الحقائق التاريخية ۰

التعاون العربى الافريقى فى مجال الثقافة والاعلام

بقلم : عبد المنعم الصاوى

رئيس اتحاد الصحفيين الافريقيين
ونقيب الصحفيين المصريين

مقدمة عن الثقافة والأعلام

لقد مضى الزمن الذى كان الدارسون يختلفون فيه حول تعريف الثقافة ، ولم يعد هناك خلاف بينهم حول شمول الثقافة ، واتساع مفهومها لتشمل معارف مختلفة ومتنوعة ٠

ولقد اختلطت فى الاذهان ، عبر عصور مضت ، كلمات الآداب والفنون ، والمعارف الانسانية على اتساعها ٠

ومع هذا الاختلاط ، كان تعريف الثقافة يختلف اختلافا بينا ، من حيث ارتباطه بفرع من هذه الفروع ، أو غلبة واحدة منها على الآخر ، عند النظرة الى الثقافة ٠

فاحيانا كانت الثقافة أقرب الى الآداب ، ومرة كانت ترتبط بالآداب وبالفنون معا ٠ ولم يتم اتساع مفهوم الثقافة ، بحيث تشمل المعارف الانسانية على اتساعها ، الا بعد ما استقرت دراسات علوم الانسان ، وأكدت صلة الثقافة بأنواع السلوك الانسانى وتأثيرها عليها ٠

ومنذ اتجهت دراسات علوم الانسان ، الى تحديد أنماط السلوك الانسانى ، وبيان ما بينها من اختلافات ، ظهر على الفور تأثير الثقافة على هذه الانماط ، وتأثر كل نمط بنوع الثقافة السائدة ٠

من هنا اتسع تعريف الثقافة ، فلم تعد قاصرة على الآداب وحدها ، ولا على الفنون وحدها ، ولكنها شملت كل المعارف الانسانية ، التى تشكل العقل والوجدان والارادة كذلك ٠

وأدى اتساع مفهوم الثقافة الى تفسير عدة تعريفات سابقة ، فبينما كان العرب يعرفون الأدب ، بأنه « الأخذ من كل شيء بطرف » ، فانهم لم يكونوا فى الواقع يقصدون الأدب فى ذاته ، ولكنهم كانوا يعرفون الثقافة ، وان اقتصروا على استعمال كلمة الأدب . لقد كان العرب يتصورون الأديب شخصا « آخذ من كل شيء بطرف » ، ومعنى هذا أن الأديب لا يصبح أديبا ، اذا اقتصر علمه بالاشياء على اللغة وتنوع صور التعبير بها ، أو اذا أقتصر على علم العروض ، وقدراته على صياغة الشعر وأوزانه ، أو اذا أقتصر على البديع والبيان والطباق والجناس ، ليخرج للناس نثرا رقيق التعبير ، قوى التأثير ، أو على فنون الخطابة ، وقدرة تأثير الخطيب على المستمعين ، أن الأديب محتاج ـ لكى يكون أديبا ـ الى أن يلم بأشياء كثيرة أخرى ، تكون مجموعة من المعارف ، يستطيع أن يعبر عنها فى شعره ونثره ، ولو لم يلم من كل شيء بطرف ، لما وجد المادة الصالحة لانتاج الأديب ، أو الكافية للتأثير فى الجماعة .

وكان تعريف الأدب على هذا النحو عند العرب ، يعنى أن على الأديب ألا يتخصص فى كل نوع يلم به ، لأنه ان تخصص خرج عن أهدافه ، وقد ينتقل من التعبير بالأدب عن روح الجماعة ومشاعرها ، الى متخصص فى فرع معين من فروع المعرفة ، وقد يفقده هذا التخصص الشمول الواجب ، أو يؤثر فى حاسة الأديب المطلقة من تحكم أى شخص ، والقادرة ـ فى كل الأحوال ـ على أن تمس المعارف على شمولها ، فيشعر الناس ، ممن يتذوقون أدب الأديب أن انتاجه يمس كلا منهم على اختلاف تخصصاتهم ، فيصبح بذلك لسان الجماعة والمعبر عنها ، والضارب على أوتار قلوبها جميعا .

وهكذا كان هناك شعور بشمول الثقافة ، من خلال الأدب ، فى التعريف القديم الذى شاع فى الأدب العربى منذ قدمه .

وأظن أن ذلك يدل على شمول النظرة الى الثقافة منذ القدم ، حتى قبل أن تصل دراسات علوم الانسان الى استقرار ، وقبل أن تستقل عن دراسات العلوم الاجتماعية ، وتهتدى الى أنماط السلوك المختلفة ، وتأثرها باختلاف الثقافات الانسانية .

* * *

وقد يكون من المفيد بعد ذلك ان نضع تعريفا شاملا للثقافة ، يمكن أن يكون أساس البحث ، عندما نتعرض لأثر الثقافة فى تحديد الموقف الانسانى للاحداث الجارية .

واذا كان للتعليم أثره في الثقافة ، فان ذلك لا يعنى أن التعليم وحده هو الأثر الوحيد على الثقافة • واذا كان للتخصص في جانب من جوانب المعرفة ، أثر في الثقافة ، فان التخصص وحده ليس هو الثقافة • واذا كان للعادات والتقاليد أثرها في الثقافة ، فان هذه العادات والتقاليد لا تكون ذات الأثر المطلق على الثقافة •

العلوم كذلك ، وماتسفر عنه من تقدم ، لها تأثير على الثقافة ، لكن العلوم والمخترعات ، ليست هي الثقافة •

ان التكنولوجيا ، وهي في آخر تعريفاتها ، تحويل المعرفة العلمية الى سلعة ، تؤثر على الثقافة ، لكنها لا يمكن أن تكون الثقافة •

ان التكنولوجيا تعطينا مثلا السيارة ، فتستعمل السيارة في اختصار المسافات واختصار الزمن ، ويتأثر نمط حياتنا بهذا الاختصار ، وتتغير نظرتنا الى الاشياء ، بتأثير السيارة ، وتتأثر ثقافتنا بهذا الانجاز العلمي ، لكن هذا الانجاز لا يصبح هو ثقافتنا ، برغم كل تأثير له على هذه الثقافة •

ان الصناعة تنتج لنا الشوكة والسكين لنستعملهما في موائدنا ، ويصبح لهذه الادوات أثرها في عادات الاكل ، وفي تقاليد المائدة ، مما يترك أثره على نمط حياتنا ، ثم على ثقافتنا • لكن لا الشوكة أو السكين تصبح هي الثقافة • وانما طريقتنا في استعمالهما تعكس هذه الثقافة •

والشوكة والسكين في حياتنا المعاصرة ، كالنار عندما اهتدى الانسان للنار ، واستعملها في طهي الطعام • ان النار أثرت على نمط الحياة ، وعلى الثقافة ، ولكنها لم تصبح هي الثقافة ، وانما صار اسلوبنا في استعمال النار ، دليلا على ثقافة عصر اكتشاف النار •

معنى هذا ، ان الثقافة هي المحصلة النهائية لافادة الانسان ،من المعارف والعلوم والآداب والفنون ، ومن التقاليد والعادات ، لتطور ملكاته العقلية ومهاراته اليدوية والفنية ، وصقل وجدانه ، ليحرك كل ذلك ارادته ، في مواجهة الظروف المحيطة به •

وتصبح الثقافة بذلك ، هي الرابطة التي تربط ابناء مجتمع ، لتصبح ردود افعاله ، ازاء موقف معين ، موحدة أو متقاربة ، وتصبح حركتهم واحكامهم متناسقة ، بحكم ما بينهم من قربى عقلية ووجدانية واخلاقية •

وتدخل الثقافة بهذا المعنى ، فى تكوين الانسان من الداخل ، حتى لتكاد ان تقترب مما تعارفنا على تسميته بالضمير العام ٠

وبهذا تكون الثقافة خطأ شائعا بين أبناء المجتمع ، برغم ما قد يكون بينهم من تفاوت فى درجات التعليم وتحصيل المعارف ٠ وبرغم ما قد يكون بينهم من تفاوت فى المستوى الاقتصادى ٠

هذه هى الثقافة بمفهومها المعاصر ، ومن أجل هذا ، فانها تمثل الحد الادنى من الفهم والمزاج والتأثر بموقع الاحداث ٠

وسيكون هناك دائما فرق بين الثقافة بهذا المفهوم ، والعناصر المنتجة لانواع الثقافة ، من الدارسين والباحثين والأدباء والفنانين ٠ ان الثقافة كالغذاء ، يدخل فى تكوين الانسان ، وكل انسان يستهدف الغذاء ويطالب به ويضمر اذا لم يحصل عليه ، لكن انتاج الغذاء ، ليس مهمه كل انسان ، والا لم يجد هذا الغذاء من يستهلكه ٠

* * *

يأتى بعد ذلك سؤال ــ دائما ــ مطروح عن العلاقة بين الثقافة والاعلام ٠

وهنا ، فان كثيرا من الآراء تتناول هذا السؤال ، باجابات متنوعة ٠

أولها أن الثقافة تختلف عن الاعلام ، وترجع هذه النظرة الى أن الاعلام قد اكتسب على الدوام الصفة السياسية ، وهى بطبيعتها سريعة ومتغيرة ومتقلبة ٠

وثانيها أن الثقافة تحتاج الى وقت حتى تستوى على مهل ، ويكون لها تأثيرها فى تكوين مزاج المجتمع ، العقلى والوجدانى ، بينما الاعلام ــ ان تمهل أو تراخى ــ فانه يفقد قيمته وتأثيره ، لانه متعلق بأحداث سريعة ومتغيرة ، يوما بيوم ، بل وساعة بساعة فى كثير من الاحيان ، وقوة الاعلام تعود الى قدرته على ملاحقة الاحداث ، وتأثيره دائما سريع ووقتى ، وقابل للتغيير بنفس السرعة التى تتغير بها الاحداث ٠

وثالثها ان الثقافة وجبة دسمة ، تحتاج الى استيعاب اطول ، لترسخ فى تكوين الجسم ، وتصبح جزءا من مقوماته ، بينما الاعلام يعتمد على رشفات متتالية ، تسد الرمق ، لكنها لا تصلح لبناء راسخ ومستقر ٠

ورابعها ان مجال عمل الاعلام ، هـو جمـاهير الشعب ، حيث يـراعى فى صيغته الخطاب وأسلوبه ومنهجـه ، أن يتنـاسب مـع أبسط المستويـات ، لتتذوقه بالسرعة الواجبة ، ولتقتنع به فى يسر ، دون أن تجهد نفسها فى التفسير أو التأمل ، بينما الثقـافة تفتـرض انهـا تخـاطب الافـراد ، وأن مستهلكها يطلبها عن ارادة واختيار ، وانها تبقى فى حوزته وقتـا أطـول ، بحيث يراجعها مرة ومرة ومرات ، حتى يمتص كل ما فيها من رحيـق ، على دفعات ، فتزداد افادته منها ، وترسخ آثارها فيه ٠

لكن الملاحظ أن تطورات كثيرة حدثت فى تركيب المجتمعـات ، كمـا أن تطورات أخرى حدثت ـ نتيجة تطور أدوات الثقافة والاعلام معا ـ فتغيـرت معالم كل منها ، حتى كادت كل منهما أن تقترب من الاخرى ٠

ان التطور العلمى فى وسائل الاتصال الجماهيرى ، قد تجاوز التطور الى الثورة ، ودخلت المنافسة عاملا من العوامل الهامة ، فأدت الى تطوير كل من الاعلام والثقافة ٠

ان حرب الدعاية قد مد فترات الارسال بالراديو وبالتلفزيـون ، كما أن ثورة وسائل الاتصال قد قضت على الفواصل الزمنية والجغرافية ، فاصبـح الصوت مسموعا من خلال الاثير ، فى كل مكان من العالم ٠

ثم ان اللغة لم تعد عقبة ، بعد ان صار اغلب الارسال مترجمـا الى لغـات عديدة ، بهدف الدعاية السياسية ورغبة النظم فى مد تأثيرها على سواها ٠

كذلك فقد اكتشف رجال الاعلام ، أن الاعتماد على المادة الاعلامية البحتة قد صار اعتمادا على عنصر جاف أو قليل القدرة على الجذب والاغراء ، فعمدت أجهزة الاعلام على الهواء ، الى تقديم مـواد ثقـافية مختلفـة الاشكـال ، والى الاستعانة بالفنون لجذب الاسماع اليها من كل مكان ، ومعنى هذا ان الاعلام بدأ يتخذ الانتاج الثقافى وسيلته الى تهيئة المستمع والمشاهد لتلقى دعاياته ، بالاعلام المجرد ٠

بل ان المادة الاعلامية نفسها ، بدأت تتخذ أشكالا فنية شديـدة الجـذب لانتباه المستمع ٠

أما عن الاعلام المطبوع ـ أعنى الصحافة ـ فقد أدت ثورة وسائل الاتصال ، الى انتشارها ٠ كما أدت الثورة فى وسائل الانتاج ، الى طبع كميات هـائلة

من الصحف ، وأدت المنافسة الى زيادة الصفحات ، فصار حتما على الصحف ، ان تعمد ـ مثلما فعلت أجهزة الاعلام الاخرى ـ الى ادخال أبواب جذابة ، قد تتصل بالاعلام بسبب وقد تكون ثقافية بحتة ٠

ومع الانفجار السكانى ، زادت بزيادة السكان ، اعداد قراء الصحف ، وقد قضت الزيادة بتنوع أمزجة القراء ، فلم تعد كل صحيفة قادرة على أن تتبين بالضبط الطبقة التى تقرأها ولا المستوى الذى يداوم على شرائها ، بعد أن زادت الكميات المطبوعة زيادات مذهلة ، وزادت أعداد القراء كذلك ٠ ومن هنا ، فقد صار ضروريا أن تعمد الصحف الى تنويع مادتها ، وادخال أبواب جديدة ، قد تدخل فى باب الاعلام العلمى ، أو الاعلام السياسى ، ولكنها تدخل كذلك فى باب الثقافة بمفهومها الشامل والعام ٠

الاعلام اذن لجأ الى الثقافة ، ليزين بها صفحاته ، ويضفى على موجاته عبر الأثير الجاذبية والاغراء ، فيشد اليه الأسماع والأبصار ٠

أما من جانب الثقافة نفسها ، فقد أدت التغيرات المختلفة ، الى تغير فى أساليب النشر الثقافى بل وفى طبيعة المادة الثقافية كذلك ٠

وساعد التقدم العلمى ، والتقدم التكنولوجى ، على دفع الثقافة الى سبيل آخر ، قربها من الاعلام بصورة واضحة ٠

ان عصر الشعوب قد صار يحتم ملاحقة الاعداد المتكاثرة من السكان بالمادة الثقافية ٠

وساعد التقدم التقنى فى آلات الطباعة على اصدار الكتب بأعداد هائلة ، ومع ظاهرة زيادة المطبوع من الكتاب الثقافى ، بدأت ظاهرة استرضاء أكبر عدد من القراء ، توجه الناشرين نحو التبسيط ، ضمانا لرواج الكتب ، كما أصبح ضروريا للناشرين كذلك اصدار الكتب الشعبية ، لتكون فى مستوى قدرة أكبر عدد من القراء ، ثم أن اقتصاديات النشر ، مع مراعاة ارتفاع ثمن آلات الطباعة وارتفاع أجور العاملين قد حتم على الناشرين ، اصدار مزيد من الكتب ، ومنها مسلسلات دورية ، تكاد ـ لولا بعد فترات صدورها ـ أن تقترب من المجلات الاعلامية ٠

شىء هام وأساسى حيث فى تطور أجهزة الثقافة نفسها ، هو الرغبة فى نشر الثقافة على أوسع نطاق بين الجماهير ، بعد الانفجار السكانى ٠ وعندما

لاحظ رواد الثقافة ، أن أكبر عدد مطبوع من كتاب جيد ، لا يكـاد يصل الى نسبة ضئيلة مما تطبعه جريدة رديئة ، وعندما وجدوا أن المعلومات العلمية التى يحرصون على نشرها فى دورياتهم ، لا تحقق نسبة تذكر قياسا الى مـا تبثه أجهزة الاذاعة أو ترسله محطات الارسال التلفزيونى • وكذلك الحـال حتى فى فنون المسرح أو الموسيقى أو الفنون التشكيلية ، أو سوى ذلك من أنواع الثقافة الرصينة •

عندئذ اقتنع رواد الثقافة أن استعمال أجهزة الأعلام ، قد صـار ضرورة لنشر الثقافة على نطاق واسع ، فبدأوا يقتنعون بتسجيل حفلات المـوسيقى والمسرحيات ذات المستوى ، لتنتشر عن طريق أجهزة الاعلام ، هذا والى جوار العناية بنشر العلوم عن نفس الطريق •

وكذلك اقتنع رواد الثقافة ، أنه لم يعـد هنـاك بديـل لنشـر الثقـافة الرصينة ، عن طريق الصحف ذات الانتشار الواسع •

وبهذا نجد أن الاعلام قد وجد ضرورة فى الاقتراب من الثقافة ، لتكتسب المادة الاعلامية ، الاغراء اللازم ، لجماهير الصحف والاذاعة والتلفزيون •

وكذلك وجدت الثقافة أنها مهددة بالانعزال عن الجماهير الواسعة اذا هى لم تلجأ لوسائل الاعلام ، لتنتشر من خلالها بين قطاعات المجتمع •

وباستثناء السينما التى تستطيع أن تحقق شعبيتها بنفسها ، فان كلا من الاعلام والثقافة ، قد اقترب من الآخر ، نزولا على طبائع الأشياء • ورضوخا للأمر الواقع ، والمصلحة المشتركة •

الثقـافة والاعـلام وقضايـا التحـرر

بعد هذا الاستعراض العام لواقع الثقافة والاعلام ، فان علينا أن نتبين أثر كل منهما ، أو أثرهما معا مجتمعين ، فى قضايا التحرر الوطنى •

ان الاستعمار يحاول فى كل مستعمرة تطأها قدماه ، أن يسيطر على الثقافة وعلى الاعلام • وما كان الاستعمار يعبأ بهذه السيطرة ، لو لم يكن لهما أثـر بالغ ، فى وقف مخططاته ، أو التأثير عليها فى أقل القليل •

ولقد عمد نابليون بونابرت على سبيل المثال ، أن يستخدم مع حملته على مصر سنة 1798 ، مطبعة عربية ، كما عمد الى استقدام بعض العناصر المستعربة من جزر البحر الأبيض ، ليستعين بهم على وضع نداءات يوجهها الى الشعب المصرى ، حتى يضمن عدم مقاومة الشعب لهم ، من خلال تأكيده للشعب ، أنه حسن النية فى شن حملته على مصر .

كان نابليون فى هذا يقيم الدليل على خطورة الثقافة والاعلام ، وعلى أنهما سلاحان ، يجب أن يحسب لهما كل حساب ، وأن يستعين عليهما بسلاح مشابه .

وبرغم أن المطبعة التى استقدمها نابليون ، قد أدت الى تقدم فكرى على الارض المصرية ، بعد انتهاء الحملة الفرنسية سنة 1801 الا أن نابليون لم يكن قد اقبل بالمطبعة العربية من أجل هذا التقدم ، ولكنه اقبل بها لمواجهة ثقافة مصر ، ببيانات وتأكيدات مزيفة .

وعلى كل حال ، فاننا نكتفى من هذه الواقعة بما لها من دلالة على قدرة الثقافة وقدرة الاعلام على المقاومة ، والمشاركة فى حركة التحرير الوطنى فى كل مكان .

على أن الغزاة لم يكونوا على شاكلة بونابرت ، ولكنهم ـ مع ذلك ـ اتخذوا نفس الاسلوب فى مواجهة ثقافة الشعوب التى يحتلونها ، ومواجهة أعلامها الوطنى كذلك .

مثلا حاول الفرنسيون أبان احتلالهم للمغرب العربى ، وللجزائر على وجه الخصوص ، أن يغيروا من الشخصية العربية لشعوبها .

وتصوروا أن السيطرة على اللغة تعنى السيطرة على الفكر ، وانهم من خلال هذه السيطرة يستطيعون أن يجدوا شعوبا مطيعة ، تدين بالولاء لاصحابها اللغة التى فرضت عليهم .

لكن شعوب شمال افريقيا أخذت اللغة ، وطردت الغزو الفرنسى ، بل أنها استعملت اللغة الفرنسية فى محاربة فرنسا ، واحتلال فرنسا لاراضيها .

وسنجد نفس القصة تتكرر فى مناطق مختلفة عربية وافريقية .

ان افريقيا على سبيل المثال ، أخذت اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية ، ولغات أخرى برتغالية ، وبلجيكية والمانية للتعبير بها عن نفسها ، حين لم

تجد وسيلة للتعليم غير هذه اللغات ، وحين لم تجد وسيلة لتنظيم الادارة غير هذه اللغات ، لكنها ـ برغم فرض هذه اللغات عليها ـ استطاعت أن تتخلص من الاحتلال ، ولم تمنعها اللغة الاجنبية المفروضة عليها بحكم الواقع ، من أن تناضل الغزو ، وأن تتخلص منه ، وأن تحقق استقلالها ٠

هذه الامثلة كلها تؤكد ارتباط الثقافة والاعلام بالتحرر الوطنى ٠

ان الثقافة فى مفهوم هذا البحث ، هى المحطة النهائية لافادة الانسان من المعارف والعلوم والآداب والفنون ، ومن العادات والتقاليد ، لتطور ملكاته العقلية ، ومهاراته اليدوية والفنية ، وصقل وجدانه ، ليحرك كل ذلك ارادته ، فى مواجهة الظروف المحيطة به ٠

ولا شك أن الاحتلال ، هو أصعب التحديات التى توجه الى مجتمع ، وستجد الثقافة ، وهى بنت البيئة ووليدتها ، ومحصلة كل تجارب الانسان ومعارفه وعاداته وتقاليده ٠ ستجد الثقافة نفسها مطالبة بمواجهة هذا التحدى ، بالرفض ٠٠ ثم بالمقاومة ٠٠ ، ثم بالدعوة الى النضال المسلح لاستخلاص الحق المغتصب ٠

ومهما حاول المستعمر ، فان الثقافة تظل جزءا أساسيا من تكوين الانسان ، تطالبه بالحرية والتحرر ، ولاءا للارض ، واحتراما للنفس ، وتلبية لنداء التاريخ ٠

والاعلام هو بالضرورة صوت الجماهير ، ومهما حاول الاستعمار أن يصدر صحفا لحسابه ، أو يخصص برامج اذاعية تدعو له ، فان المشاعر الاصيلة للانسان ، قادرة دائما على أن تكشف الحقيقة من ركامات الزيف ٠

ولقد شعرت حركات التحرير الافريقية بخطورة سلاح الثقافة والاعلام ، فاعتبرت الصحافة المناضلة جزءا من حركات التحرير نفسها ، ليتلاحم الناس من خلال الصحف ، بحركات التحرير ، فيصبح النضال أفعل ، وتصبح نتائجه أعم وأشمل ٠

وفى كل أنحاء الدنيا ، وعلى مر العصور ، كانت الثقافة الوطنية سلاحا من أسلحة التحرير ، كما كان الاعلام الوطنى حامل الراية دائما فى مقدمة حشود الوطنيين ٠

ولقد ضحى كثيرون من أصحاب الأقلام بحرياتهم ، ولم يقبلوا أن يغمسوا أقلامهم فى وحل الخيانة ، وكذلك فعل الصحفيون الوطنيون ، حتى تحررت أوطـانهم ٠

وقد يكون مهما أن يراجع المهتمون بالموضوع تصرفات السلطات الاجنبية ازاء الكتب والصحف الوطنية ، وسيجدون أن هـذه السلطـات كانت تعنى بوضع قوانين للمطبوعات ، كما كانت تعمد الى فرض الرقابة على المطبوعات وعلى الصحف ، وكانت تغلق الصحف والنشرات عن غير الطريق القضائى ، فى نفس الوقت كانت تضطهد صناعة النشر وصناعة الصحافة ، فلا تيسر اقامة المطابع ، ولا تسهل استيراد الورق ، ولا تشجع على تنظيم المهن التى ترتبط بالثقافة والاعلام ٠

بل أن هذه السلطات كانت تمد نفوذها الى ما قبـل ذلك ٠ كانت تحـدد أعداد القراء ، بالتحكم فى المدارس ، ووضع العقبات أمام التعليم ، وفرض المناهج الدراسية على المدارس ، وقصر مهمة التعليم على أجانب يعمـدون الى الالتواء بالتاريخ القومى للمستعمرات ، مع العناية بدراسة تاريـخ الـدولة المستعمرة ، لينموا فى عقل الطفل منذ الصغر ، أن دولة الاستعمار هى الدولة الأم ، وانها هى المثل الذى يجب أن يحتذى ، وأنه لا حياة لـه كفـرد ، ولا لمجتمعه كله ، الا من خلال ما تبسطه دولة الاستعمار من الرعاية والاهتمام ٠

ولقد انعكس كل ذلك على الواقع الذى تحيـاه الـدولة التى قـاست من الاحتلال ، وصارت الثقافة الوطنية والاعلام الوطنى محتاجين الى جهود كثيرة ومكثفة ، للحاق بركب التطور ٠

وقد يكون من المهم بعد ذلك ، وبعد رصد الظاهرة رصدا سريعا ، أن نتأمل أرض الواقع العربى والافريقى ، وما يعانيه من آثار الاحتلال على الثقافة وعلى الاعلام معا ٠

الواقـع الثقـافى فى ارض افريقيـا

اننا ونحن نرصد الواقع الثقافى ، على الساحة العربية الافريقية ، نعود الى الوراء ، حيث انعقد المهرجان العالمى الاول للفنون الزنجية ، فى داكار ، فى المدة من 30 مارس حتى 7 ابريل 1966 ٠

وقد اصدر هذا المؤتمر تقريرا عاما يحسن أن نضعه كما هو ، ليكون تحت انظار المفكرين العرب والافريقيين .

على أننا نرجو أن يرجع المهتمون بالدراسة الى كتاب أصدره بهذه المناسبة ، الاستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، أستاذ الآثار السابق بجامعة القاهرة ، وبين فيه علاقة الفنون الزنجية بالفنون المصرية فى العصور الفرعونية ، وعلاقة هذه الفنون بالفنون الافريقية بصفة عامة .

ولعل هذا التقرير ، والدراسة المقارنة التى قام بها الدكتور أبو بكر ، تجعلنا نتساءل عن وضع الزنجية . هل من المصلحة العلمية والقومية أن يستمر منفصلا عن الفنون الافريقية ، أم تدرس الظواهر العامة لفنون افريقيا ، ثم لا بأس بعد ذلك ، من أن تكون الزنجية أحد فروعها ، وما دامت الفنون الافريقية ، ومنها الزنجية ، ترتبط بسمات مشتركة ، بما فى ذلك الفنون المصرية منذ القدم ، فان الدراسة يمكن أن تؤدى الى سمات مشتركة كذلك بين الفنون الافريقية ، وفنون قديمة أخرى آشورية وبابلية وفينيقية ، لتتأكد صلة آسيا الصغرى منذ العصور القديمة ببقية أجزاء القارة الافريقية على اتساعها .

انه موضوع مطروح للدراسة ، وأكبر الظن أن العلاقات قديمة بين منطقة آسيا الصغرى وافريقيا ، ففى وادى النيل مثلا التقت عناصر من آسيا الصغرى ، بعناصر من الغرب بعناصر من الجنوب ، وأدت موجات الهجرة هنا وهناك ، الى نوع من الامتزاج الثقافى ، هيأ مناخا متقاربا بين هذه البقاع جميعا .

ولو عنى الدارسون بتقصى الظواهر المشتركة عبر أجيال التاريخ ، فقد نصل الى دلالات عميقة الجذور التاريخية تؤكد العلاقات الثقافية بين آسيا الصغرى وقارة افريقيا .

وعلى كل حال ، فاننا نضع تقرير داكار عن المهرجان العالمى الاول للفنون الزنجية كما هو ، لأنه أصبح الآن يمثل وثيقة تاريخية ، يجب أن تدرس ، لما تعكسه عن الواقع الافريقى .

1 ـ اعتبارات عامة

أن من أهم النتائج التى برزت أثناء المؤتمر فكرة أن جميع مظاهر الفن الزنجى من تعبيرات تشكيلية وشعرية وموسيقية وراقصة تكون وحدة لا

تتجزأ ويجب دراستها على أساس هذه الفكرة • فهى تعبيرات مختلفة ترتبط بمنابع وحى مشتركة وبقيم مشتركة وتترجم حياة مجموعة من الناس فى شتى مظاهرها : الدينية والفلسفية وكذلك الجمالية والاجتماعية والعاطفية • ونظرا الى ان أهمية الاديان التقليدية الافريقية كمنبع للفن وكأساس للانسانية الزنجية ـ الافريقية فقد رأى المؤتمر ضرورة عقد مؤتمر خاص لدراسة هذا الموضوع •

ومن جهة أخرى فقد وجه المؤتمر عنايته لمسألة رأى انها تسيطر على حالة الفنون ضمن مضمون ثقافى تحكمه قيم تقليدية سجلت على هذه الفنون طابعها بطريقة مباشرة وعميقة • الا أن هذا المضمون الثقافى يخضع اليوم لتغيرات سريعة • ولذا فمن الضرورى الاحتفاظ بأصالة الفنون الزنجية دون تقييدها فى اطار من المحافظة غير المجدية وتهيئة هذه للعيش فى مجتمع حديث دون تشويه طبيعتها •

وبما أن هذه المسألة لا يمكن أن يحلها أحد غير الفنانين أنفسهم فى الحرية اللازمة للخلق الفنى لذا يرى المؤتمر أنه من الممكن تهيئة الظروف الملائمة لازدهار الفنون الزنجية فى العالم المعاصر •

2 ـ تنظيم الدراسات والابحاث

عن الفن الزنجى والمسائل المتعلقة بالتسجيل

واستنادا الى هذين الاعتبارين الاولين وهما من جهة الصفة الموحدة الاجمالية للفنون الزنجية المرتبطة بأساس مشترك من القيم لا يمكن فصلها عنه ومن جهة أخرى التغيير السريع للمضمون الثقافى ، لذا يبدو من الضرورى العمل سريعا على تنشيط دراسات منظمة وجمعها كلها فى محفوظات مركزية وكذا جميع التسجيلات الموجودة لمعرفة الفنون الزنجية التقليدية •

وبطبيعة الحال فان الهيئات المختصة التى يمكن أن تبدأ فى هذا العمل هى الجامعات ومعاهد الدراسات الافريقية والمتاحف الموجودة حاليا فى افريقيا وهذه يمكنها ان تستخدم ـ على المستوى الوطنى أو على المستوى الاقليمى ـ كأماكن للتجمع ومراكز للدراسة تضم جميع الوثائق والمراجع اللازمة للتعرف على الفنون الزنجية وستشمل هذه المحفوظات السمعية والمرتبة ما يأتى :

(أ) محفوظات مرئية تضم سجلا كاملا لجميع تحف الفن الزنجي المبعثرة فى المتاحف أو المجموعات الخاصة فى الدول الافريقية المختلفة والدول غير الافريقية وتنظيم الوثائق المصورة بحيث تسهل عمليات التبادل والمقارنة ٠

(ب) محفوظات سمعية تشمل تسجيلات إلا ان المظاهر الفلسفية والشعرية والموسيقية مرتبطة كلها ببعضها ارتباطا وثيقا ٠

(ج) محفوظات من الافلام التى تصور الرقصات والشعائر التقليدية المسجلة فى الموقع للتقاليد المتداولة وكذلك الموسيقى ٠ ويجب على هذه التسجيلات أن تقدم كل مظهر من المظاهر الثقافية فى مجموعة وذلك حتى يمكن للباحثين والفنانين أن يجدوا تحت تصرفهم معلومات كاملة عن الاشكال الفنية المختلفة التى يتضمنها مضمونهم الثقافى ٠ وفى التسجيل يجب اعطاء الاولوية للمظاهر التقليدية المهددة بالاختفاء أو بالتغيير ٠

(د) بطاقات تحليلية يضعها متخصصون أكفاء حتى تسمح باستخدام التسجيل المجمع استخداما علميا ٠

وتكوين مثل هذه المراكز للتسجيلات السمعية والمرئية عن الفنون الزنجية أمر بالغ الاهمية لاسباب كثيرة : فهى تضع منابع المعرفة تحت تصرف الباحثين ٠ وتكون أساسا فى التعليم الخاص بالفنون الزنجية ، ثم أنها تقدم الاشكال الحقيقية الاصيلة للفنانين الخالقين الذين يودون أن يستلهموا منها ، علاوة على أنها تعطى معلومات أكيدة ومادة رفيعة لمراكز النشاط الثقافى أو دور الثقافة الآخذة فى النمو حاليا فى افريقيا ٠

3 ـ المراجع الخاصة بالفنون الزنجية

(أ) يجب عن طريق التعاون الدولى وضع مجموعة من المؤلفات التى تقدم سجلا كاملا للاشكال التقليدية للفنون التقليدية ويمكن لهذه المؤلفات أن تستوحى ـ على سبيل المثال ـ الطرق والعرض المتبعين فى « المجلد الجامع للاوانى اليونانية أو المجلد الجامع لفنون ما قبل العهد الكولومى » ويقترح دراسة ثلاث مجموعات ذات أولوية وهى وضع « مجلد جامع للفنون التقليدية » و « مجلد جامع للاشكال المعمارية » و « سجل للفنون التطبيقية » ـ وهذه المجموعات من الاشكال ذات المميزات الخاصة التى غالبا ما تكون مهددة بالزوال تجد اهتماما كذلك لدى المتخصصين فى الفنون الزنجية وكذلك الفنانين الخالقين والمشتغلين بالفن ٠

(ب) ومن الافضل أن يشغل تاريخ الفن مكانا هاما فى مجـال ، تاريخ افريقيا العام ، ويتم اعداده تحت اشراف اليونسكو . اذ ان الفن فعلا يبدو فى نفس الوقت كوسيلة للتعمق فى البحث التاريخى الدقيق وكتعبير ملهم يوضح استمرار الحضارات الافريقية فى الازمنة الماضية .

(ج) ومن جهة أخرى ففى مجال الأدب الافريقى يـوصى المؤتمـر بنشر مجموعة من الكتب تسجل التقاليد المتداولة وتضم نصا أصليا مكتوبا بلغـة افريقية مع ترجمة انجليزية أو فـرنسية لكى تكـون نـواة لمجـموعة كتب كلاسيكية أفريقية .

4 ـ الاتصـال بين الفنـانين الافـريقيين

وقد تحدث الكثيرون أثناء المؤتمر عن عزلة الفنانين الافـريقيين وعـدم وجود اتصالات بين المدارس أو المراكز الفنية التى تكونت فى بعض الدول الافـريقية .

ويجب أن يكون بين الفنانين الافريقيين اتصالات لكى تـدعم التعـارف المتبادل بينهم وتسمح بتبادل التجارب الجارية فيما بينهم . ويبدو ان الجمعية الافريقية للثقافة هى الاطار المنشود لهذه الاتصالات .

والى جانب ذلك يعبر المؤتمر عن أمنيته فى أن تخصص بعثات بعدد وفير تقدم من هيئات دولية وخاصة اليونسكو ومن مؤسسـات خـاصة لصـالح الفنانين والباحثين الافريقيين الذين يرغبون فى التخصص فى دراسة الفنون الـزنجية .

ولتشجيع الروح الخلاق لدى الفنانين الافريقيين يرجو المؤتمر رجاء حارا أن تمنح جائزة سنوية تخصص للفنانين والكتاب من شباب العالم الاسـود وذلك فى المجـالات الآتيـة : الادب فى اللغـات الـدولية والادب فى اللغـات الافريقية والنحت والتصوير والموسيقى والعمارة والحرف الفنية .

5 ـ تنميـة الحـرف

من الافضل أن يكون الخالقون الحقيقيون والفنانون الذين لهم صلة بمنابع فنهم هم الأساس فى تقديم الاشكال التى ينتج منها مجموعات فى المجـالات الفنية المختلفة مثل : النسيج والفخار وصناعة الخيـزران والفنـون الاخرى

الزخرفية • وان التشجيع الذى يوجه للفن الاصلى سوف يقضى على انحراف الفن التجارى وعلى التقليدات المزيفة التى تشوه طبيعة الفن التقليدى • ومن الاجراءات الفعالة فى هذا المجال هو تكوين وحدات مجمعة واتحادات أخرى يمكن لها أن تضمن للخالقين الاصليين والفنانين مستوى معيشة كافية وتضمن الكيف لانتاجهم الفنى وفى الوقت نفسه تضمن انتشارها • ويمكن لمثل هذه المراكز ادخال طرق أو وسائل جديدة مع احترام الاسلوب الخاص بكل حرفة •

6 ـ المحافظة على الممتلكات الثقافية الافريقية

ويرى المؤتمر أن البحث المجدى فى نواحى الفن الافريقى ـ والذى لم يبلغ حتى الآن الا مرحلة أولية ـ يتعلق تماما بالمحافظة وصيانة التحف الفنية والمعمارية والآثار وسائر الاماكن الثقافية فى البلاد الافريقية وأن هذه المحافظة أو تلك الصيانة تقع قبل كل شىء تحت مسؤولية حكومات الدول الافريقية •

وتشمل هذه المسؤولية أولا انشاء متاحف وطنية واذا ما لزم الامر متاحف اقليمية أو اذا كانت هذه المتاحف موجودة فعلا يعمل على تنميتها باعتماد مبالغ مناسبة وتوفير الاجهزة والاشخاص الذين يتم تدريبهم على الطرق الحديثة فى البحث والمحافظة على الاموال الفنية • ويجب على المتاحف حصر مجموعات الاعمال حصرا كاملا وتسجيلها والمحافظة عليها فى موقعها • وفى كل حالة يجب أن تسجل هذه الاعمال على أكمل صورة ممكنة • ويجب ان يضم هذا التسجيل لا مصدرها الحقيقى وأسماءها ومادتها وغير ذلك فحسب بل جميع المعلومات المتعلقة بوصفها ومعانيها ووظيفتها والتى تجمع عن طرق أبحاث مستفيضة فى عالم الاجناس • ويجب أن تحفظ هذه المعلومات فى أقصى درجة من الامن بالنسبة لجميع الاعمال الفنية وتشمل كل الاحداث التى تتعلق بها (بما فى ذلك المعانى المختلفة التى تجمع خلال المعلومات الاولى) ، والتحاليل الخاصة بالاسلوب والطراز والمعلومات التكميلية • ومن أجل هذا يجب على الحكومات أن تستعين بعلماء الاجناس والاثريين والاخصائيين فى حفظ هذه التحف وتسجيلها والخبراء فى الفن الافريقى ويجب من أجل تحقيق هذا التوسع أشراك الافريقيين فى هذه الدراسات •

ويجب وضع تشريع خاص بتصدير الآثار والتحف الفنية فى كل دولة مع مراعاة الاحتياجات الثقافية للدول المعنية وللعالم على وجه العموم •

ويجب على المتاحف بقدر استطاعتها أن تتعدى مرحلة المجال الضيق فى المحافظة والعرض وتعمل على اعادة بناء الآثار فى مضمونها الثقافى كما حدث على سبيل المثال بالنسبة للقصر الملكى بأبومى ومقر مربامادى كانو • كما يجب تشجيع انشاء متاحف فى العراء أو متاحف حية مثل المتاحف المشيدة فى نيامى وفى لاقوس •

وفيما يتعلق بالاجراءات الفنية الخاصة بصيانتها والمحافظة عليها • فيجب العمل على التوصيات الصادرة من اللجان المختصة للمجلس الدولى للمتاحف والمجلس الدولى للآثار والمواقع الأثرية حتى يتم تطبيقها فى المتاحف الافريقية •

7 ـ تعليم الفنون الزنجية

يشمل موضوع التعليم ثلاث نواح : تكوين الفنانين ، وتحديد مكانة الفنون فى البرنامج العام للمناهج والكتب المدرسية ، والعمل الثقافى الذى يهدف الى حث الجمهور على تذوق الفنون الزنجية وتقديرها •

(أ) وفيما يتعلق بتكوين الفنانين فقد درس المؤتمر حالة كل الفنون التشكيلية والرقص والموسيقى •

فى ميدان النحت يرى المؤتمر أنه من الضرورى أن يبقى الفنان على صلة بالمنابع التقليدية • وفى هذا المجال فان المتاحف الافريقية من جهة ومراكز التسجيل المرئية والسمعية من جهة أخرى تكون من أحسن الوسائل التى تسمح للفنان بالتعرف على التراث الثقافى • حقيقة أنه ليس على الفنان أن يكرر أى نموذج بل عليه أن يستوحى من المنابع التقليدية وكذلك من الاشكال الحديثة التابعة للفن المعاصر وستكون له هذه النماذج بمثابة نقطة بداية لخلق جديد يقوم أساسا على مبدأ الحرية •

وفى مجال الرقص فقد أكد المؤتمر أنه من مصلحة الفنان الخالق أن يستفيد بقدر الامكان من التجربة التى ترشده الى التقليد عندما يبحث عنه عند منبعه ذاته • فان الاشكال التقليدية للرقصات المقدسة والرقصات الموسيقية أو غيرها تقدم مجالا واسعا ولكنه مجال آخذ فى الزوال ، والمؤتمر يدعو المراكز الثقافية أو المعاهد الموسيقية (الكونسرفاتوار) التى تضم مدارس للرقص الى البحث عن العناصر الاساسية فى هذه الرقصات •

ومن أجل هذا فان محفوظات الاقلام السابق ذكرها فى القسم الثانى يمكن أن تؤدى مهمة هامة • فهى تضع الرقصات ضمن الثقافة التى عاشها كل جنس من الاجناس أو كل اقليم ثقافى ، وان البحث عن جميع العناصر المحددة الموجودة فى الرقصات التقليدية سوف يسمح باستخراج أشكال جديدة فى الرقص والموسيقى تحتفظ للفنون الزنجية ـ الافريقية بطابعها الاصيل •

وبالنسبة للموسيقى التقليدية فقد أكد المؤتمر أن هناك نقطتين هامتين يجب ذكرهما أولا وهما تدوين الموسيقى علميا وتحليل الالحان الموسيقية والمضمون الثقافى الذى تنتمى اليه •

وأن مسألة جمع ألحان الموسيقى التقليدية وتحليلها يجب أن يشمل أيضا جمع التقاليد المتداولة ، فيجب التوسع فى تكوين الاخصائيين فى هذا المجال الجديد الخاص بفن جمع وتفسير هذه التقاليد المتداولة (تدريبات دولية لهذا التكوين ، تنظيم وتوحيد الطرق) •

وعلاوة على ذلك يبدو من الضرورى خلق تنظيم بين المتخصصين الافريقيين فى الادب الشفهى وذلك حتى يتمكن الباحثون من اعداد أعمالهم بصفة دورية ومقارنة آرائهم •

أما بالنسبة للمسرح الذى يعتبر مظهرا فنيا حيا وشعبيا يجمع بين الفنون الموسيقية والتشكيلية فهو يبدو وكأنه ميدان أساسى لبقاء التقاليد الزنجية ـ الافريقية فى المسرح الحديث •

وبالاضافة الى ضرورة تكوين محفوظات سمعية ومرئية بشأن أشكال الدراما التقليدية واندماج الكلمة بالموسيقى والرقص فان اللجنة تطلب الاهتمام بالمؤلفات المسرحية المكتوبة بلغات افريقية وتود نشر الاعمال المسرحية للمسرح الزنجى الحديث بلغتين •

وان انشاء معاهد للفن المسرحى الافريقى لتكوين ممثلين ومخرجين سيسمح بتبادل ثقافى أكثر فاعلية على المستوى الافريقى أو الدولى •

(ب) يرى المؤتمر ضرورة الاهتمام بالتعليم الفنى فى نطاق البرامج الدراسية • ويهدف هذا التعليم الى تفهم الطفل للقيم الثقافية الافريقية ويشرح له مثلا الرموز التى تساعد على فهم معانى الفن التقليدى ، ويجب أن

تعرض لغة الاشكال التشكيلية وباقى صفات الفنون الزنجية فى كتب مدرسية بطريقة مبسطة تتمشى مع الاحتياجات الافريقية التى يتحتم علينا توفيرها اليوم • ولنفس الغرض يجب اعداد مكان خاص للفنانين التقليديين فى كل فن فى التعليم الرسمى على جميع مستوياته •

وتعليم الفن الزنجى فى المدارس الافريقية لن يكون مادة ثانوية وغير ذات أهمية بل مادة مدمجة ضمن برامج التعليم وبذلك فهى تساهم فى تكوين الذوق والحساسية عند الطفل وتنمية شخصيته •

(ج) ان نشر الاعمال الفنية ومعرفتها فى بعض أقاليم النشاط الثقافى ، من شأنه أن يحث الشعوب الافريقية على تذوق تراثها الثقافى وتقديره •

وهناك وسائل عديدة درست لتسهيل عملية نشر الفنون الزنجية على أوسع نطاق • فبالاضافة الى المحفوظات السمعية والمرئية ومراكز التسجيل والمراكز الثقافية والمطبوعات السابق ذكرها فى الفقرات السابقة فقد اقترح ما يلى :

نشر مجلة للفنون الزنجية ـ الافريقية •

انتاج مجموعات من الشرائط السينمائية وتوزيعها على نطاق واسع وخاصة فى افريقيا •

اخراج أفلام للمدارس ومراكز النشاط الثقافى مشتقة من الافلام التسجيلية وأفلام الابحاث السابق ذكرها •

وبالنسبة للتعليم والنشر فقد اقترح انشاء « دار دولية للفنون الزنجية » ومرفق بهذا التقرير وثيقة تتضمن المعلومات الخاصة بمشروع هذه الدار •

8 ـ الفن المعمارى الافريقى

وبالاضافة الى التوصيات التى تطبق على جميع الفنون الافريقية فقد تقدم المؤتمر باقتراح بشأن الفن المعمارى • فان المسائل الحالية الخاصة بالتنمية قد ادخلت اعتبارات تخص العمارة فى افريقيا على وجه خاص وقد تحتاج هذه الموضوعات لمؤتمر متخصص أو أكثر لدراستها • وتشمل الاقتراحات الخاصة بفن العمارة النقط الآتية :

(أ) فى مجال البحث يجب القيام بأعمال عاجلة تتم بواسطة مهندسين معماريين أكفاء ومعاونة اخصائيين ويكون موضوع هذه الاعمال الفن المعمارى التقليدى المهدد بالزوال السريع . وتشمل هذه الاعمال تسجيلات وصورا فوتوغرافية وتحاليل للمواد والطرق الفنية المستعملة كما حدث فى نيجيريا خلال السبعة أعوام الماضية .

(ب) فى مجال التعليم المدرسى وخاصة بواسطة الفيلم ومعارض النماذج التى تنظم فى المدارس يجب أن يحتفظ للفن المعمارى التقليدى بمكان خاص . وهذا النوع من الفن غالبا ما يكون مهملا اذا قورن بباقى الفنون مثل النحت أو الموسيقى .

(ج) فى مجال المبانى العامة أو الخاصة يكون من الافضل تكليف مهندسين افريقيين ويراعى فى تنفيذ هذه المبانى التصميمات المميزة والاحتياجات الاجتماعية والامانى الافريقية .

(د) يجب اتخاذ اجراءات ـ على المستوى الوطنى والدولى ـ لتكوين مهندسين معماريين افريقيين وتدعيم اللوائح الخاصة بهم .

9 ـ تنمية السينما الافريقية

يوصى المؤتمر الدول الافريقية بانشاء جهاز ادارى افريقى ، مكتب افريقى للسينما يكون من واجبه :

(أ) تسجيل ونشر جميع المعلومات الخاصة بالسينما الافريقية (كتالوجات الافلام ، احصائيات استغلالها ، كشوف تضم الوسائل التكنيكية وأخرى تضم أسماء الفنيين الخ ...) .

(ب) اعداد مشروعات تشريعية تعرض على الدول المهتمة بتنمية السينما القومية .

(ج) العمل على تسهيل الانتاج السينمائى بافريقيا . ويرفق بهذا التقرير التقرير العام للجنة السينما الذى أوضحت فيه الاجراءات التكنيكية المقترحة للتنفيذ .

(د) انتاج مكاتب للشرائط السينمائية الوطنية تضم جميع الافلام التى صورت على أرض الوطن ويستحسن أن تكون من تنفيذ افريقيين .

(هـ) تـدريب خبـراء فى السينمـا وفنيين وممثلين مسرحيين افـريقيين يشغلون درجات المهن السينمائية .

(و) انشاء جهاز لنشر الفيلم الافريقى حتى يصل الاسواق الخارجية وهذا عامل أساسى لتنميته .

(ز) تنظيم اجتماعات منتظمة تسمح للمؤلفين والفنيين والممثلين والخبراء أن يناقشوا اعمالهم ومشاكلهم ويدافعـوا عن حـرية التعبيـر فى السينمـا الافـريقية .

10 ـ انتشـار الفنـون الـزنجيـة وأثـرهـا

تقـابـل الفـن الـزنجـى مـع الثقـافـات الأخـرى

أكد الكثيرون فى المؤتمر وجود تعاون بين الفنون الافريقية الزنجية و دول أخرى من العالم ، ومن المهم أن تراعى دائما هذه النـاحية الـدولية فى دراسة الفنون الزنجية وعرضها . وقد أعطى مؤتمر داكار فرصة لاول مقابلة بين الاشكال المختلفة من الفنون الزنجية .

ورغبة منه فى توسيع النقاش والحديث بين الثقافات فان مؤتمر داكـار يأمل فى أن ينظم اجتماع دولى تتقابل فيه الفنون والآراء الزنجية ـ الافريقية وجميع التقاليد الفنية .

* * *

ويهمنى بادىء ذى بدء أن أوضح أن الواقع الثقافى شىء ، وواقع الانتاج الثقافى شىء آخر .

واذا كان أحدهما يقود الى الآخر أو يفسره ، الا أنـه يجب أن يكـون فى الاعتبار دائما ، أن الواقع الثقافى يمكن أن يفسر الانتـاج الثقـافى ، لكن العكس ليس دائما صحيحا .

ان الثقافة ـ بمفهومها الذى وضحناه ـ تعتبر جـزءا من تكوين الانسان ، وليس الانتاج الثقافى الا بعض الدلالة على هذا الواقـع ، بمعنى أن الثقـافة كامنة فى النفس الافريقية والعربية ، حتى لو لم تكن لها آثار واضحة ، فى انتاج ملموس .

فمثلا الاميون الملايين من العرب والافريقيين ، يتوارثون الثقافة ، جيلا بعد جيل · وثقافتهم تتطور بتطور العلوم والمعارف والصناعات وانجازات التكنولوجيا ، لكن تحول الامية بينهم وبين القراءة ، فلا يتابعون الاعمال الثقافية ، وقد لا يفيدون منها ، فان أفادوا منها ، فبصورة غير مباشرة ، أو عندما تتحول من الكتاب الى وسيلة فنية جديدة ، لعرض الافكار ·

وكذلك يمكن أن نمضى ، لنجد أنفسنا فى النهاية أمام مجموعات من البشر ، تفرح لأحداث بعينها ، وتبتئس لأحداث أخرى · يزعجها موقف مثير يتخذ ، ويريحها موقف آخر مناقض · ترقص وتغنى وتعبر عن نفسها بالالحان · ثم هى تلعب فى طمى النيل أو حجر الجبل أو قطع الشجر أو القماش ، فتكون هذه التصرفات الساذجة تعبيرا عن شىء كامن فى نفوسها· وهذا كله يعكس ثقافتها ، دون أن تقصد الى أن يكون ذلك انتاجا ثقافيا ·

وهذا كله يعنى أن الثقافة كامنة فى نفوس الناس ، مستقرة فى وجدانهم، تحرك مشاعرهم بالحب أو بالكراهية ، وهى ـ مع ذلك ـ لا تقصد الى انتاج ثقافى ، ولا تتأثر بالانتاج الثقافى قبل أن يكون لها هذا التعبير ·

وعلى كل حال ، فانه لا بد من اتخاذ الانتاج الثقافى أساسا للدراسة ، للتعرف على قدرات الواقع الثقافى العربى الافريقى على هذا الانتاج ·

وسنختار هنا وسيلتين مختلفتين للتعبير عن الانتاج الثقافى ، احداهما شاملة تجمع قدرات العقل والوجدان جميعا ، وهى الكتاب · والثانية لها نفس الشمول ، ولكن بأسلوب آخر ، فتبدأ تلقائية ، ثم تستوى أو تنتظم بالدراسة ، وهى الموسيقى وفنونها ·

انتاج الكتاب على المستوى العربى الافريقى :

فى العام الدولى للكتاب ، سنة 1972 ، قال المدير العام لليونسكو فى رسالة مفتوحة وجهها الى كل شعوب العالم والمسؤولين عن الثقافة ، ان العالم يعانى ما سماه« مجاعة الكتاب » ·

وقد يكون من المفيد أن نبين هذه المجاعة على وجهها الصحيح ، فان اطلاق اللفظ على عمومه ، يحمل على الظن ان المجاعة عامة وشاملة ، بينما يشير الواقع الى حدة هذه المجاعة ، فى بلدان العالم الثالث ·

ولنتأمل بعض الاحصائيات على مستوى العالم وسنرى أننا ــ من خلال هذه الاحصائيات ــ أمام حقائق مذهلة ٠

ان 70 % من سكان العالم يعيشون فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، الا أن نصيب هذه القارات مجتمعة من انتاج الكتب لا يتجاوز 12 % ٠

بينما يعيش 30 % من سكان العالم فى قارة أوروبا وأمريكا الشمالية ، ويصل نصيبهم من انتاج الكتب الى 88 % ٠

وكذلك تقول الاحصائيات ما يلى :

يبلغ انتاج العالم من عناوين الكتب 500،000 عنوان ، منها 8،000 عنوان صدر عن افريقيا ، 100،000 عنوان عن آسيا ، و 15،000 عنوان صدر عن أمريكا اللاتينية ، بينما يصدر عن أوروبا 250،000 عنوان كل عام ، و 100،000 عن أمريكا الشمالية ، و 80،000 عنوان عن الاتحاد السوفياتى ٠

وبهذا تصبح نسب انتاج الكتب على الوجه التالى تقريبا :

1،5 % لافريقيا بينما يسكنها 10 % من سكان العالم ٠

18،3 % لآسيا بينما يسكنها 56،6 % من سكان العالم ٠

2،7 % لأمريكا اللاتينية بينما يسكنها 5،2 % من سكان العالم ٠

46،0 % لأوروبا بينما يسكنها 12،8 % من سكان العالم ٠

17،0 % لأمريكا الشمالية بينما يسكنها 8،8 % من سكان العالم ٠

15،0 % للاتحاد السوفياتى بينما يسكنها 6،6 % من سكان العالم ٠

هذه العناوين تترجم الى نسخ عديدة ، وأغلب الاحصاءات عنها تقديرية ، ومع ذلك فان مجموع الانتاج العالمى من الكتب عندما يوزع على قارات العالم فان أنصبة السكان من الكتب تصبح على الوجه التالى :

23 كتابا لكل مليون افريقى ٠

49 كتابا لكل مليون آسيوى ٠

79 كتابا لكل مليون أمريكى لاتينى ٠

535 كتابا لكل مليون أوروبى ٠

280 كتابا لكل مليون أمريكى شمالى ٠

329 كتابا لكل مليون سوفياتى ٠

هذا وتدل الاحصائيات على أن المعدل العالمى هو 150 كتابا لكل مليون انسان .

أما فى العالم العربى ، فان مجموع الانتاج من عناوين الكتب العربية هو 5،000 كتاب كل عام . بنسبة 1 % من انتاج العالم . وبهذا يصل نصيب كل مليون من السكان الى قرابة 50 أو 60 كتابا .

وبمقارنة النسبة بين هذه المتوسطات والمتوسط العالمى ، سنجد أن مستوى الانتاج الثقافى ينخفض عن المعدل العالمى ، بنفس نسب الانخفاض .

والكتاب فى النهاية يمثل بناء حقيقيا فى ادراك الانسان ، فاذا لم نجد هذا البناء كافيا ، فان نوعا من الخلل يستمر يهدد هذا البناء .

ان حملة الجوع للكتاب ، يجب أن تستمر ، على الاخص فى قارتنا ، وعلى الساحة العربية .

ومع اصدار الكتب ، يجب أن يتنبه المسؤولون الى أن من حقائق قارتنا ومنطقتنا العربية ، زحف الامية على جماهير الشعب ، وبغير مقاومة الامية، أو وقف زحفها على الجماهير . فان الكتاب سيستمر محصورا فى دائرة ضيقة بضيق عدد القارئين .

الموسيقى فى افريقيا والعالم العربى :

ان أهمية الموسيقى بين الفنون واضحة ، فهى اللغة التى لا تحتاج لكتابة ولا لقراءة ولكنها تحتاج مع ذلك الى التطور .

والموسيقى فى افريقيا ، وفى العالم العربى ، فن أصيل ، له تاريخه ، وقد أثر فى فنون الموسيقى فى العالم كله ، وانتقل من افريقيا ، ومن العالم العربى ، الى مناطق مختلفة من العالم ، فوجد المناخ مهيأ لتطور عظيم . فأخذت الالحان الافريقية أشكالا وصيغا متطورة ، وكذلك حدث بالنسبة للموسيقى العربية .

بينما ظلت الموسيقى على الساحة الافريقية والعربية على نفس قوالبها التقليدية القديمة ، بلا تطور يذكر .

ومعنى هذا أننا نسمع موسيقات متطورة فى دوائر الدنيا فنعجب بها ، بينما هى تابعة فى الاصل من أرضنا لكن التطور قد صبها فى قوالب جديدة خيلت لنا غرابتها عنا ٠

ولو أننا عنينا بموسيقانا ، وحصرناها وسجلناها وعهدنا بها الى دارسين مقتدرين ، فان التعبير بها عن شخصيتنا القومية ، سيأخذ شكلا آخر ، ينمو نموه المضطرد ، ويأخذ بيدنا معه الى آفاق رحبة وجديدة ٠

لقد بدأت العناية بالموسيقى العربية منذ سنوات محدودة ، وبدأت تلعب دورا كبيرا فى حقل الوجدان العربى ، لكنها لا تزال تؤدى بأسلوبها القديم ، ولا بأس فى هذا ، لنعرف أصولنا ٠ لكن الوقوف ضد القديم لم يعد يكفى لتطور الموسيقى العربية الى آفاق العصر ، حتى لا تضطر أجيال الشباب الى استعمال موسيقى غربية ، للتعبير بها عن نفسها ٠

وكذلك حدث اهتمام بعد استقلال دول أفريقيا بالموسيقى الافريقية وبفنون الرقص والغناء ، لكنها تأثرت فى تطورها الاخير ، ببعض المناهج المستوردة ، وباختلاف مذاهب الحكم ، اختلف الايقاع ، واختلفت فنون الاداء مما صار يهدد بضياع الشخصية الافريقية أو تفريقها على نظريات متفاوتة فى عالم الموسيقى ٠

وقد تجد الندوة أسلوبا جديدا أصلح من الاسلوب القديم ، فى المحافظة على الشخصية القومية من خلال موسيقى أصيلة ، تعرف طريقها الى التطور ، دون أن تضيع أصولها ، أو تتبعثر وفقا لمناهج غربية ، قد تكون حسنة القصد فى مساعدتها لنا ، لكنها فى النهاية غريبة عن أذواقنا وعن طبائع شعبنا ٠

الاعلام العربى والافريقى :

والآن ، وبعد أن اخترنا مثلين على طبيعة الانتاج الثقافى فى افريقيا وعلى الساحة العربية ، فاننا ننتقل الى الاعلام ، لنراه بدوره على أرض الواقع ٠

الاذاعة :

لنبدأ بالاذاعة على اعتبار أنها وسيلة سريعة ومنتشرة ، وتخدم كل الطبقات ، بصرف النظر عن قدرتها على القراءة ٠

ولنأخذ الاحصاءات الدولية أساسا للمناقشة ٠

فى العالم 19،110 محطة اذاعة ، فى افريقيا منها 650 ، وفى جنوب آسيا 950 وهى تضم المنطقة العربية الشرقية ٠

بينما فى أوروبا قرابة 5،000 محطة اذاعة ، وفى أمريكا الشمالية 6،750 محطة ، وفى الاتحاد السوفياتى 410 محطة اذاعة ٠

أما أجهزة الاستقبال ، فقد وصلت فى العالم الى قرابة 700 مليون جهاز ، بمعدل عالمى قدره 250 لكل ألف نسمة تقريبا ٠

من هذه الاجهزة قرابة 16 مليون فى افريقيا بمعدل 50 لكل ألف نسمة ، و 36 مليون جهاز استقبال فى جنوب شرق آسيا ، حيث المنطقة العربية الشرقية ، بمعدل 33 جهاز لكل ألف ٠

بينما تجد فى أوروبا 129 مليون جهاز بمعدل 280 للألف ، وفى أمريكا الشمالية 300 مليون جهاز استقبال بمعدل 1،400 جهاز لكل ألف ، وفى الاتحاد السوفيانى 90،1 مليون جهاز بمعدل 375 لكل ألف ٠

ونحن حين نسوق هذه الاحصاءات ، لا بد من أن نلفت النظر الى أن تعميم هذه المعدلات على كل مناطق افريقيا أو الساحة العربية ، خطأ فاحش ففى مصر على سبيل المثال قرابة 4،500،000 جهاز استقبال، بمعدل 150 جهازا لكل ألف، بينما المعدل فى افريقيا هو 50 لكل ألف ٠ وكما نجد هذه الحقيقة فى مصر فسنجدها كذلك فى مناطق متفرقة من افريقيا والمنطقة العربية ، ومع ذلك فان الصورة الشاملة تعطى مؤشرات بالغة السوء ، بالنسبة لمجموع القارة والمنطقة العربية ٠ بل انها قد تثير تساؤلا حول درجات النمو فى منطقة تحتاج الى نوع من التقارب الفكرى والتقارب الوجدانى بين أبنائها ، ليمكن أن يكون تعاونها أوثق ، دعما لتحررها ، وبناء لمستقبلها ، فى عالم يتصارع فى شراسة ٠

التليفـــزيـــون :

ولقد دخل التليفزيون سوق الاعـلام ، بامكانيـاته الهـائلة وبجـاذبيته السحرية حتى لقد صار ضرورة اعلامية لا يجادل فيها أحد ٠

ولقد نتخذ نفس المنهج فى التعرف على واقعه فى الارض الافريقية ، وفى المنطقة العربية ·

والاحصاءات العالمية تقول ان فى العالم قرابة 1،500 محطة ارسال تليفزيونى ، و 11،000 محطة تقوية ، منها فى افريقيا 112 محطة ، و 30 محطة تقوية ، وفى جنوب شرق آسيا 120 محطة ارسال و 60 محطة تقوية ، بينما فى أوروبا 6،515 محطة ارسال ، 5،510 محطة تقوية ، وفى أمريكا الشمالية 3،050 محطة ارسال و 1960 محطة تقوية ، وفى الاتحاد السوفياتى 1،098 محطة ارسال ·

أما عن أجهزة الاستقبال ، فان مجموعها فى العالم أكثر من ألفى مليون جهاز ، بمعدل 89 جهاز لكل ألف ·

وفى افريقيا 1،1 مليون جهاز ، بمعدل 3،2 لكل الف ·

وفى جنوب آسيا 2،5 مليون جهاز ، بمعدل 2،3 لكل ألف ·

بينما فى أوروبا 865 مليون جهاز ، بمعدل 188 لكل ألف ·

وفى أمريكا الشمالية 85 مليون جهاز ، بمعدل 412 لكل ألف ·

وفى الاتحاد السوفياتى 31 مليون جهاز ، بمعدل 128 لكل ألف ·

ومع التحفظ عن عدد الاجهزة فى الدول العربية والافريقية مفرقة ، فان هذه الارقام تغنى عن التعليق ·

الصحافة :

ان الصحافة تلعب دورا رئيسيا فى توجيه الرأى العام ، لأنها هى الوسيلة المكتوبة التى تبقى مع القراء زمنا أطول ، وتترك فى نفوسهم أثرا أعمق ·

ولهذا فان العناية بها يجب أن تنال كثيرا من الاعتبار ·

وسنمضى على نفس النسق فى تناولها ، معتمدين على الاحصاءات الدولية لبيان موقف الصحافة فى القارة الافريقية والمنطقة العربية ، وبالنسبة للصحافة العالمية ·

فى العالم 7،680 صحيفة يومية توزع 365 مليون نسخة يوميا ، بمعدل 130 نسخة للألف .

فى افريقيا 210 صحيفة توزع 3،8 مليون نسخة ، بمعدل 19 للألف .

فى جنوب شرق آسيا 1،600 صحيفة توزع 17 مليون نسخة ، بمعدل 16 للألف .

بينما فى أوروبا 1،800 صحيفة توزع 67 مليون نسخة ، بمعدل 295 للألف.

وفى أمريكا الشمالية 1،880 صحيفة توزع 67 مليون نسخة ، بمعدل 295 للألف .

وفى الاتحاد السوفياتى 630 صحيفة توزع 5،6 مليون نسخة ، بمعدل 296 للألف .

هذا موقف الصحافة الافريقية والعربية بالنسبة لصحافة العالم ، واذا كانت هذه المعدلات تزيد أو تنقص ، فان السمة العامة أنها محصورة فى نطاق ضيق لا تتعداه نظرا لانتشار الأمية ، ولصعوبة وسائل المواصلات ، ولصعوبة اللغات المتداولة الى غير ذلك من أسباب اقتصادية وثقافية معا .

وقد تصلح احصاءات استهلاك ورق الصحف طوال العام أساسا لعقد بعض المقارنات ، وسنختار من افريقيا مصر ، وسنجد أن معدل استهلاك ورق الصحف للفرد فى حدود كيلو غرام أو أكثر قليلا من الورق ، بينما هو فى المغرب العربى بين 2 و 3 كيلو غرام للفرد ، وهو فى الكويت 2 كيلو غرام للفرد ، وفى لبنان قرابة 1،6 كيلو غرام للفرد .

وسنجد أن استهلاك الفرد لورق الصحف فى أمريكا الشمالية يصل الى 43،6 كيلو غراما للفرد ، وفى بريطانيا 27،7 كيلو غراما للفرد ، وفى السويد 42،7 كيلو غراما للفرد .

كل هذه الاحصاءات توقفنا على وضع الصحافة فى افريقيا والعالم العربى ، بالمقارنة مع العالم .

* * *

فاذا انتقلنا الى وكالات الانباء ، فاننا لا نجد على مستوى القارة الافريقية وكالة اكتسبت الصفة العالمية ، ولكن وكالات الانباء جميعها تكاد أن تكون محلية ومحدودة النطاق ، وبعضها متخلف فيما يستعمله من الوسائل ٠

حصيلة الدراسة :

من هذا العرض السريع ، للواقع الافريقي والعربي في مجالي الثقافة والاعلام واتصال هذا الواقع بقضايا التحرر الافريقي ، نستطيع أن نخلص الى النتائج التالية :

ان الثقافة بمفهومها الذى أثرناه من خلال البحث أصيلة فى التراث العربى والافريقى ، وأنها شكلت وجدان الافراد والجماعات تشكيلا خاصا ، فلم يفقدوا على مر العصور شخصيتهم القومية ، ولا روح النضال من أجل التحرر والاستقلال ٠

لقد سجلت حركات التحرر على الارض العربية والافريقية مواقف رائعة لجماهير المناضلين ، وأدت الى نتيجتها من خلال وحدة الفكر ووحدة المشاعر ، بالنسبة للمواقف الوطنية والقومية ٠

ان النداء بالحرية وتوحيد الارادة ، قد كان يجد أكبر الصدى لدى جماهير الشعب العربى وجماهير الشعوب الافريقية ٠

بل ان اتصال الشعوب فى هاتين المنطقتين ، قد أثبت صلابته فى مواجهة محاولات الغزو من الداخل أو من الخارج ٠

وما من قضية تحرير افريقية ، الا وكان لها أكبر الصدى وأعمقه فى النفس العربية ، وكذلك كانت مشاعر الافريقيين شديدة التعلق بقضايا التحرر الوطنى على الارض العربية ٠

كل هذا قد كان دائما صدى لثقافة متناسقة ومتقاربة ، وللخط التحررى الواحد ، بهدف الوصول الى هدف مصيرى واحد ، يربط العالمين الافريقى والعربى برباط لا ينفصم ٠

ولقد تعرضت القارة الافريقية والمنطقة العربية لالوان من المحن متقاربة ٠

فبينما اتجه الاستعمار الاستيطانى فى جنوب افريقيا ، الى تغيير الشخصية القومية بمواطنين بيض وغرباء عن أرض افريقيا ، فان فلسطين تعرضت لغزو استيطانى استعمارى من نفس النوع ، استهدف احلال عناصر صهيونية متطرفة محل العرب المسالمين ، من أصحاب الارض والحق فى السيادة عليها .

وشعر العرب وشعر الافريقيون ، انهم يتعرضون للخطر الواحد ، وأن الاقوياء فى هذا العالم ، لا يزالون يستضعفون هذه الساحة الواسعة منه ، ويدبرون لها أن تستمر على ضعفها ، حتى تستفيد من هذا الضعف استنزافا لثرواتها ، ووضعها على الدوام فى مكان الضعيف المحتاج الى المساعدات الخارجية .

كل هذه العوامل ، قد كانت عوامل قربى بين الشعب العربى وشعوب قارة افريقيا .

فاذا حللنا عناصر التكوين الثقافى فى الأمتين العربية والافريقية ، فسنجد كثيرا من هذه العناصر متقاربة أو متشابهة ، بل ان بعضها متساو تماما .

ان العاطفية العربية تقابلها عاطفية افريقية .

والاعتداد بالنفس العربية يقابله اعتداد افريقى بالذات ، تجعل المواطن العربى أو الافريقى يفضل أن يجوع على أن يستذل .

والميل نحو الطرق ، وعمق المشاعر الدينية تسرى بين أبناء شعوب هاتين المنطقتين بشكل واضح .

من هنا كان التلاقى سريعا حول المحن التى تتعرض لها هذه المنطقة الواسعة من العالم .

ولقد دلت محنة فلسطين وحرب اكتوبر العظيمة على عمق ما بين شعوب افريقيا والشعب العربى من تآلف وتآخ وكان له أثره الهائل على المواقف المعلنة فى الامم المتحدة ، وعلى مستوى العلاقات الدولية عامة .

لكن كل هذه الايجابيات الثقافية لا تنفى أننا فى وضع الحاجة الى اعادة الصياغة الثقافية والاعلامية على أرضنا .

أما كيف ، فان ندوة الخرطوم مطالبة بأن تضع الحلـول ، وأن تفكـر فى الطرق والوسائل وان تخرج بمخطط واسع يضع أساس المستقبل على قاعدة صلبة ووطيدة ٠

اننا محتاجون الى تقارب دائم ومتصل ، والى تفاهم مستمر حول قضايانا الثقافية والاعلامية لتسرى فى هذه المنطقة الواسعة من العـالم ، دراسـات ثقافية ، تحول المواد الخام على أرضنا وفى نفوسنا ، الى واقع متطور ، قـادر على أن يضيف الى بناء الانسان ما يجعله أقدر على التصدى لمشكلات اليـوم والغـد ٠

ان هذا العالم الذى نحيا فيه لم يعد يسمح بمكان يحتله ضعيف أو منهار ، وفى عصر العلم ، تغيرت الدنيا ، وتوفرت الوسائل التى تمكننا من اقـامة علاقات أرسخ وأفضل ٠

وسأترك الأمر لكم أيها السادة أعضاء نـدوة الخرطوم ، من قـادة الفكـر العربى والافريقى ٠ فلتقولـوا كلمتكـم لتتوجـوا الواقـع بأمل المستقبـل لتصبح افريقيا والعرب ، دنيا واحدة ، ممتدة الساحة ، قوية البنـاء غنيـة بمواردها وبرجالها وبعلومها ٠

ويوم نتحد ، وستتحد باذن الله وتوفيقه ، فسترتفع هامات الرجال ، لا للعدوان ولكن لمزيد من الامن والسلام ، بشرط أن يكون أمنا من غدر العدو ، وسلاما أساسه العدل والرخاء والبناء ٠

وستنطلق الرايات دائما من فكر مفتـوح وقلب يتـدفق بالحب ، وارادة طلية لا تهتز ٠

عبد المنعم الصاوى

تأملات حول الحوار الافريقي العربي

بقلم : د. بطرس بطرس غالي

اتخذ الحوار الافريقى ـ العربى منطلقا له ، البيان الذى تبناه الملوك والرؤساء العرب بالجزائر فى نوفمبر 1973 .

وقد نص هذا البيان التاريخى ان (الملوك والرؤساء العرب المجتمعين فى مدينة الجزائر من 26 حتى 28 من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام 1973 ، وقد بحثوا الوضع الجديد فى الشرق الاوسط الناجم عن العدوان الاسرائيلى وآثاره من الامن الدولى) .

« وأخذوا بعين الاعتبار تزايد حركة التضامن التى عبرت عنها البلدان الافريقية الشقيقة لصالح القضية العربية العادلة والكفاح من أجل تحرير الاراضى العربية المحتلة واستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية ، وهو الكفاح الذى يندرج ضمن المعركة التى تخوضها قوى التحرر ضد قوى الاستعمار والصهيونية ، يؤكدون علنا وبالاجماع ان « التضامن العربى الافريقى » ينبغى ان يتجسد بشكل ملموس فى كل الميادين وبالذات فى ميدان التعاون السياسى والاقتصادى بهدف توطيد دعائم الاستقلال الوطنى وتحقيق التنمية .

ولم يكتف بيان الجزائر بتبنى المبدأ العام للتضامن والتعاون ولكنه تضمن برنامج عمل كامل :

- تعزيز التمثيل الدبلوماسى العربى فى افريقيا .
- قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والثقافية وغيرها من جنوبى افريقيا والبرتغال وروديسيا من قبل الدول العربية التى لم تقم بذلك بعد .
- تطبيق حظر تام لتصدير البترول العربى الى هذه البلدان الثلاثة .
- اتخاذ اجراءات خاصة لمواصلة التموين الطبيعى للبلدان الافريقية الشقيقة بالبترول العربى .

- دعم وتوسيع التعاون الاقتصادى والمالى والثقافى مع البلدان الافريقية الشقيقة ، وذلك على مستوى ثنائى وعلى مستوى المؤسسات الاقليمية العربية والافريقية ·
- انشاء بنك عربى للتنمية الافريقية ·
- تقديم معونات فورية لحركات التحرير الافريقية ·

وكلف الامين العام لجامعة الدول العربية باتخاذ الاجراءات العملية لتنفيذ هذا البرنامج الواسع للتعاون مع الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية ولجنة من سبع دول انبثقت عن منظمة الوحدة الافريقية وتهدف الى تنمية التعاون الافريقى ـ العربى ·

ولهذا فقد دعا الامين العام لجامعة الدول العربية الى اجتماع عقد فى القاهرة فى 22 و 23 يناير 1974 حضره وزراء البترول العرب ووفد يمثل اللجنة السباعية المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية · ولم يخف المسؤولون الافريقيون نفاد صبرهم وحتى خيبة أملهم ازاء بطء الدول العربية فى تنفيذ البرنامج الذى نصت عليه مقررات مؤتمر القمة فى الجزائر · فهم يعتبرون ان هذا البطء هو مماطلة من جانب جامعة الدول العربية والدول العربية · ازاء هذه الازمة الاولى ، قررت الجامعة منح منظمة الوحدة الافريقية قرضا قدره مائتا مليون دولار بغية تخفيف اثر ارتفاع اسعار البترول على اقتصاد الدول الافريقية · وترك لمنظمة الوحدة الافريقية أمر توزيع هذا المبلغ بموجب مقاييس تحددها هى ·

وقد اتضح ان هذا التعاون بين منظمتين دوليتين ناميتين وبشكل خاص ضعيفتين وقليلتى الفاعلية ، هو تعاون بطىء وصعب ومخيب للآمال · فقد شككت منظمة الوحدة الافريقية بنوايا جامعة الدول العربية وطلبت ان يحول المبلغ الى بنك التنمية الافريقى فى أبيجان ، بينما كانت جامعة الدول العربية تنوى ان توزع هذا المبلغ مباشرة بموجب المقاييس التى تضعها منظمة الوحدة ، وهى تحمل بدورها مسؤولية التأخير فى تنفيذ المعونة التقنية والاقتصادية العربية للبلدان الافريقية ·

لم تكن قمة مقديشيو عام 1974 لتسهل أمر الحوار العربى ـ الافريقى · ذلك انه اثر استقالة السيد ايكافجيكى ، الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية ، نشبت معركة دبلوماسية حادة بين الدول الافريقية العربية من

جهة وبين الدول الافريقية غير العربية من جهة ثانية ، حول اختيار أمين عام جديد ٠٠ مما ألحق الضرر بمستقبل الحوار العربي ـ الافريقي ٠

فى ايلول 1974 ، أعطى السيد ويليام أتيكى ، الامين العام الجديد للمنظمة انطلاقة جديدة للحوار العربي ـ الافريقي ، وقد شرح بصورة دبلوماسية التأخر الحاصل من جهة المنظمة بهذه الكلمات :

« ٠٠ تمنينا ان نتصرف بشكل مطابق تماما للروح التى رافقت انشاء الصندوق وتأمين المقاييس الاكثر موضوعية ، والتى تتيح توزيعا أكثر عدالة وتثير أقل ما يكون من الاعتراضات ٠٠ » ٠

وخلال دورته الثانية والستين (1 ـ سبتمبر ايلول 1974) قرر مجلس الجامعة تنشيط التعاون بسماحه للامين العام للجامعة بأن يوقع مباشرة مع بعض الدول الافريقية عقود قروض ٠٠ البعض الآخر يحصل على القروض مباشرة من البنك الافريقي للتنمية ٠ ذلك ان الجزائر دفعت حصتها الى البنك وليس الى الجامعة ٠

وبالرغم من هذه العوائق فان القروض وزعت على 36 دولة افريقية غير منتجة للبترول ، مع الاخذ بالاعتبار ارتفاع اسعار البترول بالاضافة الى مقاييس اخرى كالدخل القومى وآفات الجفاف ووضع الدول التى ليس لها منافذ على البحر ٠٠٠ الخ ٠

بعد ذلك ، زادت الدول العربية ودعمت اجراءات التعاون مع افريقيا بزيادتها رأسمال البنك العربى لتنمية افريقيا وبمضاعفتها حجم منح صندوق المعونة الفنية ٠

بالاضافة الى هذه المعونة الجماعية من الضرورى التنويه بالمعونات الثنائية التى قدمتها بعض الدول العربية وخاصة صناديق التنمية الاقتصادية العربية ٠

فهناك الصندوق الكويتى ورأسماله 3 بليون ونصف البليون دولار ٠ وصندوق أبو ظبى ورأسماله 500 مليون دولار والصندوق السعودى للتنمية ورأسماله الاساسى 2،8 بليون دولار ٠

وبعد ان كانت هذه الصناديق تحصر نشاطها على البلاد العربية ، فقد قررت توسيع عملياتها لتطال جميع الدول النامية وخاصة الدول الافريقية ٠

وأخيرا ، من الضرورى التنويه بالبنك الاسلامى للتنمية الذى لا يزال فى بدايته ولكنه يضم بين الـ 24 دولة مسلمة عددا من الدول الافريقية ومنها التشاد ومالى وموريتانيا والنيجر والسنغال والصومال ٠

تهيئة قناة السويس للملاحة ، اقامة شبكة مائية واستصلاح الاراضى فى السودان ، انشاء محطة كهربائية وموانىء للصيد فى تونس ، ومعمل للنسيج فى تنزانيا استخراج النحاس فى زائير ٠٠٠ هذه هى بعض من الامثلة على المشاريع المختلفة التى تحققت فى افريقيا بفضل الدولار العربى البترولى ٠

ولكن صورة التعاون تبقى ناقصة اذا لم يشر الى التعاون الثقافى والدبلوماسى ضمن اطار المنظمات الدولية الكبرى ، والى التعاون العسكرى والمعونة المقدمة لحركات التحرير الافريقية ٠

لكننا عن قصد لن نتوسع بهذه المعلومات ، وذلك بغية الارتفاع بالمناقشة ومعالجة المشكلات الاساسية التى تعترض انطلاقة هذا الحوار ٠

وانطلاقا من وعى مشترك لاتساع هذه المصاعب ، فان الافريقيين والعرب يمكنهم معا ان يستخلصوا المبادىء الاساسية والوسائل التى تعطى الحوار حريته الكاملة ٠

الصعوبة الاولى هى نفسية ـ دبلوماسية ، أساسها الاتجاه شبه العام الى اعتبار الحوار الافريقى العربى مكافأة تدفعها الدول العربية للدول الافريقية لانها قطعت علاقاتها الدبلوماسية بدولة اسرائيل ٠ وهذا صحيح جدا لدرجة ان الفقرة الاولى فى بيان الجزائر (نوفمبر 1973) تتضمن ان الدول العربية تعرب بحرارة عن تقديرها « لموقف الدول الافريقية الشقيقة لقطعها علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل التى باتت معزولة أكثر فأكثر فى العالم ٠٠ » ٠

بكلمات أخرى ، ان قطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل اعتبر وارتضى اساسا للحوار ٠ وكنتيجة طبيعية لهذا فان تهديد بعض المسؤولين الافريقيين باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع دولة اسرائيل العنصرية يشكل المحرك السرى الذى قد يدفع الدول العربية الى الابقاء على المساعدة المالية ٠

من الواضح ان ابتزازا كهذا ، الذى يشكل الخلفية الفكرية لا حد محركى الحوار هو عقبة نفسية ودبلوماسية ، من الخطأ التقليل من اهميتها ٠

في الواقع، ان قطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع دولة اسرائيل يجب ان يعنى قبل كل شيء بادرة تضامن قاري مع مصر البلد الافريقي ، وضحية العدوان الاستعماري ، والذى لا تزال القوات الاجنبية والعدوة تحتل قسما من أراضيه • هذا التضامن القاري يجد جذوره القانونية في ميثاق أديس أبابا الذى ارتبطت به جميع الدول الافريقية • بينما يجد التضامن مع الشعب الفلسطيني ينابيعه في النضال المشترك ضد الاستعمار والتمييز العنصرى • فالفلسطينيون كشعوب نامبيبا وزمبابوى أو افريقيا الجنوبية ، انتزعت منهم اراضيهم لمصلحة مستوطنين أتوا من أوروبا ، ثم اخضعوا لنظام عنصرى لا يتوافق وحقوق الانسان والحريات الاساسية •

ومن البديهي انه اذا كان الحوار الافريقي العربي يعود الى ينابيع ابتزاز للدولار البترولي وليس الى مبادىء الانصاف والعدل ، فانه من الصعب اعطاؤه - (اذا كانت الحال كذلك) - قوة محركة تحوله الى واقع والى اعمال•

ان الهند التى لم تقم يوما علاقات دبلوماسية مع دولة اسرائيل العنصرية لم تطلب يوما تعويضا عما لحقها من اضرار نتيجة اغلاق قناة السويس عام 1967 أو نتيجة لارتفاع اسعار البترول القاسي عام 1972 مع انها تكبدت خسائر ملايين وملايين من الدولارات •

كما ان الدول العربية لم تفكر بالتعويض على الهند وبمساعدتها ماليا (مع ان عدد سكانها ضعف عدد سكان افريقيا كلها) مقابل التأييد الدبلوماسي والسياسي غير المشروط منذ أكثر من عقدين • ذلك ان التضامن العربي الهندى يتركز على ايديولوجية مشتركة ولهذا فانه نما وقوى خلال السنين بالرغم من المصاعب وحوادث المسيرة •

ان الدول الافريقية ، بقطعها علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل لم تقم الا بواجبها ، واذا كان الحوار العربي الافريقي اتخذ منطلقا انشاء جبهة مشتركة ضد الصهيونية ، لا يجوز ان يكون الابقاء على هذه الجبهة عقبة في وجه مستقبل الحوار لانه كما أوضح الرئيس ليوبولد سنغور « ان الذى يربطنا ببعضنا هو ابعد من التاريخ •• جذوره في ما قبل التاريخ ، ويعود الى عوامل جغرافية ، وعرقية وبالتالي ثقافية • هو سابق للمسيحية وللاسلام وسابق لكل استعمار •• » •

ان الصعوبة الثانية هي اقتصادية • وسببها ارتفاع اسعار البترول الخام الذى كانت له نتائج مدمرة على اقتصاد اغلب الدول الافريقية •

هناك ملاحظتان تفرضان نفسيهما لفهم اساس المشكلة الاقتصادية٠اولا:من الضرورى التوضيح بأن الحديث عن ارتفاع اسعار البترول لا يعنى البترول العربى فقط بل يعنى ايضا بترول فينزويلا ، وايران ونجيريا ٠٠٠ وغيرها ٠ ثانيا : من الضرورى التأكيد بأن ارتفاع اسعار البترول رافقه ارتفاع باسعار المواد الاولية الاخرى والتى تعتبر البلدان الافريقية منتجتها الكبرى ٠ وكما أشار اليه الرئيس يوليوس نييرى فى لقاء معه فى دار السلام عام 1974 عندما قال : « نحن لا نستطيع الا ان نتضامن مع البلدان العربية وان نحيى بادرتها فى زيادة اسعار البترول ٠ هذه البادرة التى أتاحت – الى حد ما – تصحيح وضع التبادل غير المتكافىء والذى أتاح طيلة قرون اغناء الدول الغنية كل يوم أكثر من يوم افقار الدول البروليتارية التى تحولت الى خزان للمواد الاولية ٠٠ » ٠

وخلاصة القول ، ان ارتفاع اسعار البترول سبب – على المدى القصير صعوبات اقتصادية جبرية لبعض الدول الافريقية ولكنه على المدى الطويل يندمج فى استراتيجية العالم الثالث العربى – الافريقى للسيطرة على جميع موارده ومواده الاولية ، حتى يتمكن اخيرا من اقامة نظام اقتصادى جديد أكثر عدالة وانصافا ٠

الى الصعوبات الآنفة الذكر ، تضاف صعوبات أخرى فنية ومالية وتتعلق بتوظيف الدولار البترولى او الدولار العربى ، فى التنمية الاقتصادية الافريقية ٠

ان فائض الدول المصدرة للنفط من صادراتها يمكن تقديره بشكل عام بستمائة بليون دولار عام 1985 ، وهو التاريخ الذى تكون فيه بعض آبار البترول قد نضبت ٠ فاذا وظف ثلث هذا المبلغ فى البلدان المنتجة للنفط نفسها للبلوغ بها الى مستوى الانطلاقة الاقتصادية قبل نضوب مواردها البترولية الخاصة ، واذا وظف ثلث آخر فى البلدان العربية التى ليس فيها بترول ، يبقى حوالى 200 بليون دولار يجب ان توظف خارج العالم العربى ٠

ولكن الدولار البترولى بدلا من ان يأخذ طريقه الى افريقيا ، اتجه شطر أمريكا والمراكز المالية الكبرى فى أوروبا ٠ أكثر من هذا فان الرساميل العربية التى وظفت فى الولايات المتحدة وفى اوروبا الغربية وظفت لفترات قصيرة الاجل فى اسواق النقد الاوروبية ، خاضعة بذلك الى قواعد الاستثمار الكلاسيكية من أمن ومردود وسيولة ٠ باختصار ، ان الرساميل العربية

تفضل ان توظف فى سوق النقد لآجال قصيرة بدلا من ان توظف لمدد طويلة أو حتى متوسطة ٠

ولكن الدول الافريقية هى بحاجة خاصة الى تمويل لمدى طويل وذلك من أجل بناء قاعدة اقتصادية وتأمين تنفيذ مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، لا سيما وان بين الـ 26 بلدا الاكثر فقرا فى العالم والذى احصتهم الامم المتحدة ، 16 منها تقع فى افريقيا ، جنوب الصحراء ٠٠

الصعوبة الثالثة هى سياسية٠ الدول العربية والدول الافريقية لا يعرفون بعضهم ٠ ليس بينهم طرقات اتصال وحتى اليوم فان الاتصالات الثقافية ، والجوية ، والتليفونية بين افريقيا السوداء والعالم العربى تمر عبر أوروبا الغربية وبشكل خاص فرنسا وبريطانيا ٠ العلاقات العربية الاوروبية والعلاقات الافريقية الاوروبية هى أهم بكثير من العلاقات العربية الافريقية٠

سياسيا وثقافيا وتقنيا وتجاريا ، فان داكار وأبيجان هما أقرب بكثير الى باريس منهما الى القاهرة ٠ لوساكا أو نيروبى ، اقرب الى لندن منهما الى بغداد أو الرياض ٠

هذا الوضع المؤسف يجد توضيحا له فى الفترة الاستعمارية او الاستعمارية ـ الحديثة حيث سيطر الاستعمار خلالها على الدول الافريقية كما سيطر على الدول العربية وجعلها تعيش فترة طويلة فى حالة عزلة وغالبا فى حالة صراع ، كما يجد تفسيرا له فى الصراعات القديمة الدامية بين العرب والسود والتى أولدت تجارة الرق ٠

ومع ان تجار الرقيق لم يكونوا فقط من العرب (كانوا بشكل خاص من السود ومن الاوروبيين) فان النزاعات الدامية التى تشكل لحمة التاريخ ، تستخدم اليوم غالبا لاعاقة نمو الحوار العربى الافريقى ٠

ومن جهة أخرى ، فان اتجاه بعض البلدان العربية لاعطاء الافضلية لبعض جوانب التعاون على أساس اسلامى ٠

ومن جهة أخرى ، فان اتجاه بعض البلدان العربية تمييز بعض جوانب التعاون مع الدول الاسلامية ، قد استغل لتغذية تخوف بعض العناصر

المسيحية الافريقية وخلق صعوبات جديدة ذات طابع ديني يمكنها ان تعرقل لا بل تشل التعاون الافريقي العربي لمصلحة التعاون الافريقي الاوروبي ، الذى قد يبدو اكثر فائدة وارضاء لمسيحيي افريقيا •

وانطلاقا من هذه الوقائع فانه يمكننا ان نسجل بعض الملاحظات :

1 ـ يبدو ان الحوار العربي الاوروبي يتضارب أو بالاحرى يتعارض الى حد ما مع الحوار العربي ـ الافريقي • واذا كان هذان الحواران لا يزالان في طريق الولادة ، فمن المحتمل ان تنفيذهما سوف يثير تناقضات والتواءات يكون التغلب عليها بالنسبة للحوار العربي الافريقي أصعب من التغلب عليها بالنسبة للحوار العربي الاوروبي وذلك لاسباب تقنية ومالية قد أشرنا اليها •

2 ـ ان أوروبا الغربية لن تقبل بتنمية محور تضامن وتكامل بين العالم العربي وافريقيا اذا كان هذا المحور يقلل من نفوذ أوروبا سواء في افريقيا او في العالم العربي •

3 ـ يمكن التساؤل في هذه الحال عما اذا كانت أوروبا الغربية تستعد لأن تلعب دور الوسيط بين افريقيا والعالم العربي واذا كانت ترغب في ان تدخل طرفا في الحوار العربي الافريقي •

وبصورة أخرى يمكن القول ان القاسم المشترك بين الحوار العربي الاوروبي والحوار العربي الافريقي ليس فقط الدولار البترولي ولكن التكنولوجيا الاوروبية ايضا •

هذه الرؤية للاشياء بالنسبة للبعض أو هذه السياسة بالنسبة للبعض الآخر يمكنها أن تثير المعارضة على ثلاث جبهات :

ـ معارضة العناصر الراديكالية سواء في افريقيا أو في العالم العربي لأنه لدى هذه العناصر قناعة بأن الحوار الافريقي العربي لا يمكنه ان يكون بناء الا اذا تم بدون وسطاء وبدون أى اشراف خارجي عن العالم الثالث•

ـ معارضة الولايات المتحدة الامريكية التى قد لا تقبل بانشاء كتلة افريقية ـ عربية ـ أوروبية ، قد تهدد سيطرتها وزعامتها الكونية •

ــ معارضة سوفياتية لا تسمح بتحول أو ببعث الاستعمار الاوروبي بشكل جديد في حوار ثنائي أوروبي عربي وأوروبي افريقي ٠

باختصار لقد استعرضنا عددا من الصعوبات الاساسية ذات الطابع النفسي والاقتصادي والسياسي وتشكل عقبات كبرى في وجه تنفيذ التعاون الافريقي العربي ٠

بعد هذا ، فاننا لا نرى حلا آنيا لهذه الصعوبات ٠ ان مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي سوف ينعقد خلال الاشهر المقبلة سوف يعطي بعدا جديدا للحوار العربي الافريقي ولكنه قد لا يستطيع ازالة الصعوبات الاساسية التي تعترض الحوار ٠ ومن جهة ثانية فان الاجهزة التأسيسية والفرق الادارية أو التقنية التابعة لجامعة الدول العربية ولمنظمة الوحدة الافريقية لا يمكنها ان تنهض لوحدها بالتعاون الافريقي العربي وان تعطيه كامل حيويته ٠

باختصار نقول ان التعاون الافريقي العربي ما زال في مرحلة الحمل ٠ وما زالت تنقصه الرؤية الاجمالية التي تكون على مستوى حجم الفائض البترولي الهائل والامكانيات التي لا نهاية لها والتي تقدمها القارة الافريقية للدولار العربي ٠

وحدة انشاء مؤسسة جديدة تتمتع بالارادة الذاتية يمكنها ان تنقذ التعاون العربي الافريقي ٠

لقد تعددت استراتيجيات العمل خلال العقود الاخيرة من مشروع مارشال وحتى برنامج الامم المتحدة للتنمية ، ولكن على العالم الافريقي العربي ــ من خلال هذه المؤسسة الجديدة ــ أن يصوغ استراتيجيته الخاصة التي تعيد الحياة الى الحوار بين العروبة والافريقية ، ان تنفخ الحماس في هذا الحوار ، وان تحمل اليه الديناميكية والتقنية والقدرة على الابداع وهذا ما ينقصه بمرارة حتى اليوم ٠

ب٠ ب٠ غ٠

ديسمبر (كانون الاول) 1975

الصهيونية وجه آخر للعنصرية

بقلم : خير الدين عبد الرحمن

(فلسطين)

لقد صاغ ثيودور هرتزل وآخرون من القادة الصهاينة الوجه السياسي للحركة الصهيونية ، ثم كرسها مؤتمر بال 1897 ، حيث كانت بدايات نشوء الحركة الصهيونية ذات الاهداف العالمية المتلخصة فى السيطرة على العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، والاهداف المحلية التى تتلخص فى تجميع اليهود فى منطقة واحدة ليقيموا دولة دينية عنصرية بعدما ابتدعت الحركة الصهيونية أكذوبة الشعب اليهودى معتبرة أن يهود القارات الخمس لهم من الصفات والمميزات المشتركة ما يصنع منهم شعبا ٠٠ وهكذا راحت الحركة الصهيونية تنمى النزعة العنصرية لدى اليهود وتغذى مناخ الحقد والشوفينية والكراهية للآخرين من بنى البشر معتمدة على تعاليم لا يمكن لانسان متحضر أن يقبلها ، مثال ذلك ما قاله الحاخام يوضاسى : (اليهودى أحب الى الله من الملائكة وهو عنصر الله كالولد من عنصر أبيه فمن صفع يهوديا فقد صفع اللـه) ٠

وقول الحاخام باربانيل : (الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية اما باقى الشعوب فمثلهم مثل الحمير) ٠

وقول الحاخام ابراهام اسحق :

(نحن لا نختلف فقط عن جميع الامم ونتميز عنها بل ننتمى أيضا الى نظام روحى اعظم واسمى بكثير ، ولكى نعرف انفسنا عن حق علبنا ان نعى عظمتنا والا سقطنا فى الحضيض) ٠

وهكذا سعت الحركة الصهيونية الى تعزيز الانكماشية اليهودية والى بلورة وهم أن اليهود يشكلون شعبا ، ثم انهم يشكلون شعب متميزا لا يذوب ولا ينبغى أن يذوب فى باقى الشعوب كما راح منظرو الايدلوجية الصهيونية يبذلون جهدا خارقا لتكريس اسطورة وجود عرق يهودى وجنس يهودى مميز وينشرون مجموعة قيم ومفاهيم تحاول تبرير التزوير الفاحش الذى جبلت عليه الفكرة الصهيونية اساسا ، فعملوا على طرح اطروحة مجافية

للتاريخ ، وعملوا على تصوير الدعوة الكولونيالية على أنها حركة تحرر قومى وجعلوا من العنصرية والشوفينية معادلا وموازيا لمفاهيم التقدم والارتقاء التاريخى ، فطوروا الافكار العنصرية لموسى هيس التى نشرها فى كتابه « روما والقدس ، قراءة فى القومية اليهودية » عام 1862 والذى قال فيه : (ان شعبا واحدا فقط هو شعب اسرائيل استطاع بفضل عبقريته العجيبة أن يحتلى آيات السنة الالهية فى تاريخ الانسانية وكذلك فى المجالات العضوية للحياة)

والذى قال فيه أيضا : (ان هذا الشعب المتحصن بغريزته العرقية وحضارته ورسالته التاريخية لتوحيد البشر كافة باسم مبدع الاكوان الخالد استطاع المحافظة على قوميته متمثله فى دينه)

وهكذا انطلق هرتزل من هذا المفهوم للادعاء بأن الشعب اليهودى المزعوم يتضمن الاصطفاء لتأدية رسالة عالمية اذ قال فى كتابه « الدولة اليهودية » : (الدولة اليهودية ضرورية للعالم ولذلك سوف يتم خلقها)

ووفق هذه المفاهيم جاءت الحركة الصهيونية لتولد عند الجيتو اليهودى وهمين :

الاول : ان اليهود ليسوا مجرد فئة اجتماعية متمايزة بدينها فقط بل هى قومية أيضا ٠ اذن استحال الوجه الدينى وجها قوميا ٠

الثانى : بما أن اليهود يشكلون قومية مثل القوميات الاخرى فان لها الحق فى أرض مستقلة تحقق عليها ذاتها القومية وتحقق بالفعل ذاته انها قومية ٠

من هنا راحت الحركة الصهيونية تعمق المشكلة اليهودية من أجل تبرير وجود الايدلوجية الصهيونية ٠ فعندما سعت الحركة السياسية فى اوربا لدفع الفكر اليهودى المنعزل نحو مناخ جديد يتمثل فى القيم القومية التى نمت فى القرنين الماضيين ، كانت تلك المحاولة فرصة تاريخية ليهود اوربا الذين عانوا كثيرا من محاربة الكنيسة لهم فى اواخر العصور الوسطى نتيجة تعاملهم بالربا ، واستغلالهم اشتغالهم بالتجارة ، من أجل انهاء حالة الانكفاء الذاتى والتقوقع حول الذات التى جعلت اليهودى يعتبر نفسه متميزا عن الآخرين له جزيرة خاصة بلا جسور٠٠لكن الصهيونية التى كانت فى حقيقتها تعبيرا عن طموحات للبرجوازية اليهودية الكبيرة المتلاحمة مع القوى الاحتكارية الرأسمالية اضاعت هذه الفرصة على يهود اوربا اذ عملت على

تسخير واستعمال يهود العالم ليكونوا موالين لها بعد حقنهم بمفاهيم عنصرية مشوهة ٠

لقد كان اليهود بالنسبة للحركة الصهيونية مادة بشرية خاما ضرورية لاقامة مشروع ٠ وهذه المادة الخام تزداد فعالية كلما اصبحت انعكاسا دقيقا للايدلوجية الصهيونية أى أنها قوة تستمد حركتها وإرادتها من الخارج وليس من ذاتها ٠٠ وهكذا يستحيل اليهودى المحكوم برؤية صهيونية الى قناع للايدلوجية الصهيونية يمكن استعماله وتسخيره من قبل قيادته بالشكل الملائم وبسهولة كبيرة ٠

ان الايدلوجية الصهيونية كنظام ميتافيزيقى لا ترى فى اليهود محصلة لظروف الحياة الاجتماعية والتاريخية وانما جوهرا أصم غير قابل للتحول أو التغير ، فهى ترى أن لليهود صفات خاصة مغايرة للآخرين تشكل يهوديته، أى انها تنطلق من مفاهيم عنصرية لا انسانية ٠ فترى اليهودى لا يتحدد بالتاريخ والمجتمع بل هو خارج نطاق التاريخ والمجتمع،ومن هذا المنطلق تجعل مقولتها (شعب الله المختار) نقطة انطلاق فى حملتها التضليلية زاعمة أن اليهود ليسوا شعبا كالآخرين لكنهم (أعلى درجات تتويج الخلق الالهى) وبذلك فان احتكاكهم واندماجهم بالشعوب الاخرى يشكل وصمه للجوهر اليهودى ، فالعزلة ضرورية لحماية نقاء جوهر (شعب الله المختار) ٠

هذه المقولة تقود تلقائيا الى مقولة ميتافيزيقية أخرى هى التناغم والتجانس بين اوساط اليهود ، فالصراع الطبقى مثلا الذى يحكم كل المجتمعات لا يمكن أن يحكم (الشعب اليهودى) ذلك أن الصراع الطبقى مبدأ التناقض فى حين أن (الشعب اليهودى يشكل وحدة منسجمة لا تناقض فيها) على حد قول مارتن بوبر ٠ يضاف الى هذه المقولات العنصرية مقولة لاهوتية هى (أرض الميعاد) عبر عنها روشفالد اذ قال : (ان اليهودى لا يستريح ولا يتخلص من اغترابه الا عندما يعانق أرض الميعاد ، **وأن هذه الارض تلعنه ما دام غائبا عنها)** ٠

وأكثر من ذلك فان ما تزعمه الحركة الصهيونية عن وجود امة يهودية عالمية تتكون من كل يهود العالم ايا كان انتماؤهم المجتمعى والجغرافى ، يتجاوز حد التزوير ومجافاة المنطق والعلم الى حد القول بأن هذه الامة المزعومة تشكل ضمير البشرية وهى ارادة إلهية تتدخل فى الفترة الملائمة لتكبح البشرية عن اتخاذ مسلك خاطىء ، وضمن هذا الاطار فان كل من هو غير يهودى يشكل نقيضا وقامعا لليهودية ٠

فهل نستغرب بعد اذن نتيجة الاستفتاء الذى اجراه أحد اساتذة علم الاجتماع بين طلاب المدارس الصهيونية الذين تتراوح اعمارهم بين تسع سنوات واربعة عشر سنة فكانت النتيجة أن 60 ٪ من بين 1066 طالبا قابلهم هذا الباحث قد ايدوا الافناء الكامل لكل الفلسطينيين المقيمين فى فلسطين المحتلة ، ما دام جابوتنسكى الذى يعد من أكبر رواد الحركة الصهيونية قد قالها بصراحة :

(سوف نطرد العرب من فلسطين وشرق الاردن ونقذف بهم الى الصحراء العربية وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الاردن) ٠٠ وما دام اسرائيل زانجويل مؤسس المنظمة اليهودية للاستيطان قد اعلن أن (من واجب اليهود أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم من الخروج منها) ٠٠ وما دام مناحيم بيجن الوزير الصهيونى السابق وقائد عصابة الاراغون الارهابية الصهيونية قد قال بصراحة فى كتابه « الثورة » الذى طبع فى نيويورك عام 1951 :

(ان قصص مذابح منظمة الاراغون التى كنت اقودها قد ادت عندما تناقلها العرب الى فرار 635 ألف عربى فرارا جنونيا) ٠٠

ونعود الى ارض الميعاد التى عبأت الحركة الصهيونية اليهود من أجل أن يقيموا عليها دولتهم ٠٠ الا تتهاوى أكذوبة أرض الميعاد عندما نجد أن هرتزل وغيره من قادة الحركة الصهيونية قد ترددوا طويلا فى اختيار هذه الارض ففكروا مرة بقبرص وأخرى بالارجنتين وثالثة بأوغندا ورابعة بسيلان قبل ان تلتقى مصالحهم مع مصالح الحركة الاستعمارية العالمية فى أواخر القرن الماضى حول ضرورة خلق كيان صهيونى على أرض فلسطين ٠٠ هل كان هذا الكيان مجرد ملاذ لصهاينة من اربع وتسعين دولة فى قارات العالم الخمس يتكلمون اثنين وسبعين لغة مختلفة ؟

ان هرتزل نفسه لم يخف حقيقة هذا الكيان عندما قال فى كتابه الدولة الصهيونية :

(سنكون لاوروبا هناك قطعة منها مهدا أوروبيا فى وجه آسيا ، سنكون الحصن المتقدم للمدنية ضد البربرية) ٠

فاتفق هرتزل بهذا المفهوم مع شافسبورج الذى كتب الى بالمرستون وزير خارجية بريطانيا مقترحا (فصل الوطن العربى الى جزئين افريقى وآسيوى بخلق دولة يهودية تحميها بريطانيا) ٠ وقد زاد من أهمية خلق هذه الدولة افتتاح قناة السويس ٠

ومثل هرتزل كان ماكسل نورادو واضحا اذ قال :

(لم يكن على الحركة الصهيونية الا أن تظهر والا لكانت بريطانيا مضطرة الى خلقها) ٠

وعلى نفس المنوال قال موسى هيس قبل ذلك :

(ان فرنسا لا يسعها الا أن تأمل بأن ترى طريق الهند والصين فى يد اناس مستعدين للسير معها حتى الموت ، وهل هناك شعب آخر مهيأ لهذه المهمة غير اليهود) ٠

اذن ليس سرا أن بدايات خلق الكيان العنصرى الاستيطانى الاستعمارى **الصهيونى فى فلسطين** قد كانت مطابقة لبدايات خلق الكيان العنصرى الاستيطانى الاستعمارى فى جنوب افريقيا ، وأن الفكر الاستعمارى الذى اخترع اصطلاح (غير البيض) هو نفس الفكر الاستعمارى الذى اخترع اصطلاح (غير اليهود) ٠

لقد قامت الحركة الصهيونية نفسها بنجاح فى اطار المشروع الاستعمارى مثلما فعل رودس وغيره من طلائع الاستيطان العنصرى فى افريقيا ، ولهذا لم تتطابق الصهيونية مع الاستعمار فى المصلحة المشتركة فحسب بل تطابقت معه فى الفكر العنصرى والاساليب الارهابية ٠٠

ولم يكن ضحايا العنصرية الصهيونية شعب فلسطين الذى اقتلع من وطنه وأبعد عنه بالارهاب والقهر والعنف فقط ، وانما أيضا اليهود أنفسهم بالاضافة الى الضحايا المحتملة والمرشحة والتى تشمل كل الشعوب العربية والافريقية وشعوب العالم الثالث ٠٠ لقد كان من اليهود من انتبهوا منذ البداية الى أن اليهود انفسهم سوف يكونون ضحايا الصهيونية فعندما ناقشت الحكومة البريطانيا أمر اصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧ الذى تضمن تعهد الحكومة البريطانية بدعم المشروع الاستيطانى الصهيونى القاضى بانشاء كيان استيطانى فى فلسطين ، كان معظم اليهود البريطانيين ضد هذا الاتجاه الخطير وقد عبر عنهم أودين مونتاجو الوزير اليهودى الوحيد فى الحكومة البريطانية آنذاك عندما قال :

(ان الصهيونية تهدد حقوق اليهود المتساوية ومركزهم فى بريطانيا العظمى والبلاد الاخرى بادخال اليهود اللاإرادى واللااختيارى فى التكوين المزعوم للشعب اليهودى الذى يعمل الصهاينة من أجله ٠٠) ٠

ولم يتردد مونتاجو فى اصدار بيان عنوانه (لاسامية الحكومة الحاضرة) وزعه على زملائه الوزراء وقال فيه :

(أود أن اسجل رأيي وهو أن سياسة حكومة صاحب الجلالة هي سياسة لا سامية من حيث نتيجتها ·· انكم ستجدون سكانا في فلسطين يطردون سكانها الحاليين ويأخذون أفضل ما في البلاد) · وختم بيانه قائلا :

(انه اذا ساعدت الحكومة البريطانية الحركة الصهيونية فان فلسطين ستصبح ڤتو العالم) ·

ومثله قال اليهودي سلفن لوبري :

(انني لست صهيونيا ولا أشاطر الصهاينة آراءهم ولا أجد أي مبرر لقيام دولة يهودية) ·

وكذلك فعل ما يناش حين قال :

(ان اليهود لا يمكن أن يشكلوا امة والقول بعكس ذلك هراء لان تسعة أعشار اليهود العقلاء يعارضونه) ·

الا أن الحركة الصهيونية التي كانت افرازا للحركة الاستعمارية والعنصرية قد طغت على معارضيها من اليهود واسكتت معظمهم بالارهاب والقمع ، ومضت متحالفة مع الاستعمار العالمي في تنفيذ مشروعها الاستيطاني في فلسطين ·· فهل كان باستطاعة هذا المشروع عندما قام الا أن يعزز ويصعد من الروحية العنصرية للصهيونية ؟

لقد كان الارهاب الجماعي هو الوسيلة الاساسية التي استخدمتها الحركة الصهيونية لاقتلاع شعب فلسطين من وطنه وغرس المستوطنين الصهاينة مكانه بعدما غذت روح الحقد والعنصرية لدى هؤلاء المستوطنين ·· ولم يخف قادة الصهيونية هذا فها هو مناحن بيجن في كتابه « الثورة » يقول :

(لقد كان الارهاب الطريق الوحيد الفعال لتأمين الاهداف القومية في فلسطين وقد اشبعت الاساليب الارهابية رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام) كما قال في نفس الكتاب :

(لقد ساعدتنا مذبحة دير ياسين على انقاذ طبرية وحيفا بصفة خاصة ، ولم يبق من العرب الذين كانوا يقطنون المنطقة وعددهم 800 ألف سوى 165 ألفا) ·

ان الارهاب لم يكن مجرد اسلوب مارسته الحركة الصهيونية لتنفيذ مخططها الرامي الى اقامة كيانها الاستعماري الاستيطاني في فلسطين وانما كان ولا يزال السمة الاساسية لتركيب الحركة الصهيونية ولجوهر كيانها الاستيطاني والتعبير الواضح عن الطبيعة العنصرية الصهيونية،هذه الطبيعة

التى تشكل محور تركيب المؤسسات الصهيونية ٠٠ وهذا ما جعل الكثير من المفكرين اليهود يرون ما رآه المفكر اليهودى وليم زوكس مان حين قال :

(ان المرء يصعق بسبب ضخامة الكراهية والحقد التى تفيض كالنهر الذى لا تستوعبه ضفتاه فى كل الصحافة الصهيونية وعلى لسان كل الخطباء الصهاينة) ٠

ان هذه الكراهية وذلك الحقد قد جعلا من القتل الجماعى والطرد والابعاد ومحو اربعمائة قرية ومدينة فلسطينية تماما عن الوجود ونسف ما يزيد عن عشرين ألف منزل للمواطنين الفلسطينيين فى مختلف المدن والقرى الفلسطينية، ومحاولة تصفية الشعب الفلسطينى عبر القهر والمذابح الجماعية، التجسيد المنطقى لنزعة العنصرية الصهيونية والشوفينية والتمييز والاستعلاء وانكار حقوق الآخرين بل انكار وجود الآخرين ٠٠٠ ألم يملأ القادة الصهاينة العالم ضجيجا وهم يقولون : (ليس هناك فلسطينيون على الاطلاق) ؟٠٠٠

ان الحركة الصهيونية هى حركة الغاء الآخرين ، كل الآخرين ٠

ان التفرقة العنصرية التى يمارسها الكيان الصهيونى لا تجد شبيهاً لها فى العالم لقسوتها وتميزها ، ففضلا عن أن قيام اسرائيل اصلا عام 1948 على أساس دينى عنصرى يشكل ظاهرة شاذة وغير طبيعية فى التاريخ ، فان النظام الصهيونى لم يقتصر على منح الحقوق للمستوطنين القادمين من شتى انحاء العالم وحرمان اصحاب الوطن الفلسطينى الاصليين منها بل راح يعامل الفلسطينيين رسميا وبموجب قوانين معلنة كمواطنين من الدرجة الثالثة ٠٠ وكان طبيعيا أن لا يقتصر الاضطهاد والتمييز والارهاب على العرب الفلسطينيين بل أن يشمل أيضا اليهود الشرقيين ، فالتمييز يولد التمييز ، والتفرقة تولد التفرقة ٠٠

لقد أصبح اضطهاد الاشكنازيم أى اليهود الغربيين أمرا يهدد مشروع المجتمع الصهيونى المصطنع فى فلسطين المحتلة بالانفجار من الداخل ٠٠

أليست ظاهرة غريبة أن لا يكون فى الوزارات المتعاقبة فى اسرائيل سوى يهودى شرقى واحد فى كل وزارة رغم أن اليهود الشرقيين والافارقة يشكلون حوالى 65 ٪ من يهود الكيان الصهيونى ؟

أليس غريبا أن يكون معدل الدخل السنوى للمستخدم اليهودى ذى الاصل الغربى 14400 ليرة اسرائيلية فى حين يكون هذا المعدل للمستخدم الذى يتمتع بنفس المؤهلات ويؤدى نفس العمل 10،700 ليرة اسرائيلية ، أما

المستخدم العربى الذى له نفس المؤهلات ويؤدى نفس العمل فمعدل دخله السنوى 8،600 ليرة اسرائيلية

أليست ظاهرة ملفتة للنظر أن تكون نسبة اليهود الشرقيين والأفارقة من تلاميذ المدارس الابتدائية فى الكيان الصهيونى 60 ٪ من مجموع التلاميذ فى حين تصبح نسبتهم فى المرحلة الثانوية 33 ٪ من مجموع التلاميذ ؟

أليس قيام منظمة الفهود السود بين اليهود الشرقيين والافارقة فى الكيان الصهيونى بأعمال العنف والمقاومة المستمرة ضد السلطة الصهيونية وضد اليهود الغربيين المسيطرين على مقادير الامور فى الكيان الصهيونى هو رد فعل طبيعى على سياسة التمييز العنصرى التى يعانون منها ؟

اليس القرار الاخير بعدم السماح لليهود الزنوج والملونين بالهجرة الى فلسطين المحتلة بحجة الحيلولة دون انضمامهم الى الفهود السود عنوانا واضحا لهذا التمييز ؟

ثم اليس التمييز بين اليهود وغير اليهود فى شؤون التوظيف والعمل الزراعى والعمل الصناعى وحتى استئجار المنازل يشكل ظاهرة لا تنتمى الى خلق القرن العشرين ؟

لقد حاول الصهاينة تصوير الكيبوتس وكأنه آخر كلمة فى قاموس الاشتراكة ومنتهى التقدم فى التطبيق الاشتراكى ، وفى نفس الوقت يتفاخر الصهاينة بانه لا يحق الدخول فى الكيبوتس الا لليهود ٠٠ اية اشتراكية هذه التى تقوم على العنصرية ٠٠ اية اشتراكية هذه التى تستولى على أرض المزارع الفلسطينى ثم تستأجر صاحبها للعمل بها كعامل زراعى ٠٠ أية اشتراكية هذه التى لا تسمح للسكان العرب بممارسة العمل النقابى ٠

ثم أى نظام فى العالم غير نظام الصهيونية يحدد اماكن اقامة المواطنين اصحاب الارض الاصليين ولا يسمح لهم بالتنقل الا باذن من الحاكم العسكرى ويحول بينهم وبين زراعة ارضهم أو التصرف بها ويمنع معظمهم من حق التعليم وحرية العبادة والخدمات الصحية ٠

هل يستغرب أحد بعد ذلك أن يكون الكيان الصهيونى العنصرى عبر تاريخه متعاونا مع منظمة الجيش السرى فى الجزائر (.O. A. S) ومع المستعمرين فى الكونغو وموزامبيق وزمبابوى وناميبيا وجنوب افريقية ، ومع كل بقايا وصنائع الاستعمار فى العالم ؟

أليست الروح اللا انسانية التى عبرت عنها جولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيونى السابقة حين قالت :

(ان أكثر ما يقلقها هو الاطفال الفلسطينيون الذين يولدون كل صباح).. أليست هذه الروح هى الاب الشرعى للمذابح الجماعية والاعتداءات اليومية الصهيونية ضد العرب والتحالف الوثيق بين الكيان الصهيونى وبين الانظمة العنصرية المختلفة ؟

وبعد اسمحوا لى أن استعرض معكم بعض ما قاله الدكتور اسرائيل شاحاك استاذ الكمياء العضوية فى الجامعة العبرية فى القدس ورئيس لجنة حقوق الانسان فى الكيان الصهيونى فى كتابه (العنصرية فى اسرائيل) الذى نشر مؤخرا فى باريس ، ففى هذا الكتاب ما يغنينى عن الكثير مما يجب أن يقال حول العنصرية الصهيونية ٠٠ يقول شاحاك :

(اننى انفى أن الادارة الاسرائيلية فى الارض التى احتلت عام 1967 إدارة انسانية بل أصر على انها من اقسى النظم الادارية فى العصر الحديث واكثرها قمعا واضطهادا ٠٠ لقد كان أول عمل قامت به سلطات الاحتلال هو تنظيم عملية طرد واسعة النطاق للفلسطينيين من وطنهم ٠٠ وليست هناك الآن عائلة فلسطينية واحدة لم تعان من تلك السياسة بخسارة أب أو أم أو أخ أو اخت ، متعرضة بذلك الى آلام انسانية يصعب وصفها ٠٠ ان السكان الذين ولدوا فى القدس وعاشوا فيها طوال حياتهم محرومون من حق العودة الى مدينتهم والعيش فيها ٠٠ ان الاحزاب السياسية ممنوعة فى تلك الاراضى منعا تاما وحتى الاتحادات كاتحادات الحرفيين والطلبة والنوادى الثقافية ممنوعة أيضا ، والفلسطينيون محرومون من حق التظاهر والاضراب ويستحيل على الفرد منهم أن يغلق دكانه كتعبير عن الاحتجاج ٠٠ وفوق ذلك كله فان اسرائيل تنتهك بلا حياء كافة مواثيق جنيف فى الاراضى المحتلة ، لنأخذ على سبيل المثال نسف البيوت والعقوبات الجماعية الاخرى ، فعندما تعتقل سلطات الاحتلال متهما وقبل احالته للمحكمة وحتى قبل صدور قرار بتوقيفه احيانا يصدر أمر بنسف الدار التى يسكنها ، وقد تكون الدار دار اهله وقد لا تكون) ٠

ويستمر الدكتور شاحاك قائلا : (ان الحوار الذى يجرى بين الحكومة الاسرائيلية وبين الليبراليين الكاذبين يقتصر على مدى جدوى هذه الاجراءات، ففى اسرائيل لا يسمح لاحد أن يقول أن اعتقال طفل برىء وايقاع عقوبة قاسية به هو تصرف وحشى وهمجى ، فقول كهذا يرتقى الى درجة الطعن

والتذف والتجريح ، إذ انه يجعل الفلسطينيين وغير اليهود بشرا كاليهود تماما بينما يهتم الليبراليون الكاذبون بمصالح اليهود فقط • فيطرحون على أنفسهم السؤال اللاانسانى التالى : (هل اضطهاد الفلسطينيين مضر أم مفيد لصالح اليهود ؟••)

ويتابع الدكتور شاحاك قائلا : (ان الاستيطان اليهودى داخل الارض المحتلة بحكم طبيعته يشكل طردا لاهل الارض وتمييزا ضدهم ويخلق نظاما من الابارثيد • فالارض التى تصادر أو تستملك بالقوة أو الخداع من أجل الاستيطان تتحول الى أراض لا يسمح لغير اليهود بالسكن فيها سواء فى الوقت الحاضر أو المستقبل • أى أن هذه الاراضى تنتزع من اطارها الجغرافى الطبيعى لتتحول الى قواعد امبريالية نموذجية تخدم المصالح الاستراتيجية للدولة الكولونيالية) •

وبعد أن يتحدث الدكتور شاحاك عن الارهاب الجماعى والفردى الذى تمارسه المنظمات الصهيونية والحكومية الاسرائيلية قبل وبعد قيام دولة اسرائيل وعن تفاخرها وتلذذها بممارسة هذا الارهاب وتمجيدها له ، وعن اغتيال القادة للفلسطينيين فى اوروبا والعواصم العربية وقصف المخيمات الفلسطينية والمدن والقرى العربية بالنابالم والقنابل الموقوتة والاسلحة الاخرى المحرمة دوليا يصل الى القول :

(انها مسألة العنصرية اليهودية فمعظم اليهود يؤمنون أن اليهود وحدهم هم البشر وأنهم وحدهم أهل للثقة) •

ثم يقول الدكتور اسرائيل شاحاك : (لكل ما تقدم فانني لا اخشى لا فى هذا الميدان ولا فى ميادين أخرى أن أقارن بين ما هو جار الآن وبين ما جرى للشعب الالمانى فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، ولا اخشى أن أعلن بأن يهود اسرائيل ومعهم معظم يهود العالم يمرون بعملية تحول نازية) •

ان ما قاله هذا الاستاذ الجامعى اليهودى قد أكده الصحفى البريطانى مايكل آدمز فى صحيفة الغارديان حين قال :

ان الموقف الاخير لشعوب العالم فى الامم المتحدة حين قررت أن الصهيونية شكل من اشكال العنصرية ، اسهام عالمى فى تصحيح مسيرة التاريخ ، ولسوف يتعزز أكثر نضال كل الشعوب المحبة للعدل والسلام والحرية وصولا الى اتمام تصحيح هذه المسيرة وخلق العالم الافضل الذى نناضل جميعا من أجل خلقه •

التنوع الثقافى و الوحدة القومية

بقلم : بوتاملوال مادوت رينج

(السـودان)

فى تلك الأنواع من الحقب الثورية التى نعيش فيها اليوم ، فان التفكيـر فى الدور الذى تلعبه الثقافة فى العلاقات الانسانية ينبغى ان يأخذ فى حسبانه، احساس الشعوب بمساهمتها النشيطة فى عملية اتخاذ القرارات التاريخية ، واقلاعها بسهولة عن أساليب الحياة والتقاليد العتيقة ٠ وتنطوى الثقافة على أكثر أوجه التغير تنوعا ، وترابطا فى الاغلب ، فى المؤسسـات السياسيـة والاجتماعية فى المجتمع ، انها عملية تجمع متعددة السببية تلعب فيها عوامل ، وأحيانا حوادث كثيرة، أدوارا حاسمة٠وليس هناك مجتمع يستطيع أن يصمد أمام ضغط هذا العالم سريع التغير دون أن تمضى ثقافاته التقليدية فى عملية تغيير نفسها ٠ ان ضغوط تقنية الانتاج والنظـام الاقتصـادى الذى تقيمـه ، والمناخ المعنوى والثقافى الذى تفرضه على المجتمع المعاصر ، قد وصلت الى درجة من القوة جعلت من الصعب على ثقافاتنـا التقليديـة أن تقاومـه دون تغييرات ٠

ومن المستحيل أن نعكس التنوع ، بل وربما التعدد المتناقض أحيانا ، وفى الاتجاهات الثقافية لاى مجتمع فى دراسة واحدة قصيرة ٠ ولذا فقد اختـرت هنا أن أبحث فى الدور الذى لعبته الثقافة وتلعبه فى المجتمعات السودانيـة المعاصرة ٠ ولقد أعطيت هنا أمثلة عن الدول ذات التعددات المتشابهة كما هو الحال فى فلسطين وافريقيا الجنوبية ، حيث بقيت هناك مواجهـات ثقافيـة وسياسية بين الأهالى الأصليين الشعوب العربية أو الافريقية من ناحيـة ، واليهود أو الاقليات البيضاء المهاجرة من ناحية أخرى ، لكن هـذه الأمثلـة أعطيت بطريقة عابرة ولم يكن الهدف منها احقاق العدل فى هـذه المـواقف البالغة التعقيد والتى قد تتطلب فى حد ذاتها معالجتها فى دراسة منفصلة ٠

التجربـة السودانية :

عندما يتحدث الناس عن الفروق الثقافية فى بلد والصعوبات التى تسببها هذه الفروق لاستقرار ووحدة الامة ، فان الناس دائما ما يرتكبون خطأ شائعا

عندما يظنون أن الثقافة شيء يعتز به الشعب أكثر من اعتزازه بأى ملكية أو ممتلكات أخرى • وتأسيسا على تجربتنا فى السودان وحكما بالمواقف المتخذة فى أماكن أخرى ، حيث توجد سمات ما يبدو أنه تصارع ثقافى ، فان الفروق الثقافية تخدم كاثراء لحياة الامة اكثر من كونها سببا لصراعاتها • وقد ترفض جماعة ثقافية موقفا دينيا معينا لكونه يمثل تهديدا لاسس معتقداتها التقليدية التى بنت عليها نظامها الاجتماعى • وربما تقبل جماعة ثقافية أخرى وضعا اقتصاديا لانه اما انه يعزز هيكلها التقليدى أو أنه لا يشكل تهديدا لايمانها بالملكية الشخصية •

وقد لصقت بالسودان ، فى السنوات التالية مباشرة على الاستقلال وخلال سنوات الحرب الأهلية ، سمعة سيئة باعتبارها بلدا تقوم فيه الحرب بين ثقافتين ودينين ضد بعضهما • وكان يقال ان الاسلام والعروبة قد ضمتا صفوفهما ضد المسيحية والافريقية • ولا أظننى ، بعد أحداث عام 1972 التى أنهت الحرب الاهلية فى السودان ، فى حاجة الى أن أثبت هنا كم كان هذا الاعتقاد خاطئا • ان تسوية مشكلة السودان الجنوبى وتحقيق الوحدة الوطنية فى السودان ، مؤشر على أن التنوع الثقافى يقدم أساسا جيدا للاثراء والاستنارة القوميتين • لكنه، على أية حال، من أجل أن تنجح الاتصالات الثقافية بين الجماعات فى تأكيد الوحدة الوطنية ، فانها يجب أن تقوم على أساس من الاحترام المتبادل للمواقف الثقافية لكل جانب وممارساته • أما اذا فرضت هذه الاتصالات بالقوة أو بوسائل تمييزية كما هى الحال بين اليهود والعرب فى الشرق الاوسط ، أو كالحالة بين البيض والافارقة السود فى افريقيا الجنوبية ، فمن المحتم أن يحدث فشل فى الاتصالات الثقافية •

ان الصورة المشوهة التى ابتلى بها المجتمع الدولى فيما يتعلق بالمشهد الخاص بالوطنية السودانية ، يمكن أن نجد لها تبريرا فى كل من التعقيدات المتصلة بهذا المشهد الوطنى نفسه وفى الاساليب التى حاولت بها الحكومات الوطنية فى ذلك الوقت ممارسة جهودها من اجل تسوية قضايا الخلافات الوطنية • فقد حاولت حكوماتنا الوطنية أن تقيم نوعا من نظام الحكومة التحرى الاوروبى الغربى توجهت فيه الاحزاب السياسية نحو احساس زائف بالقومية • وتم استيعاب الحقوق السياسية للافراد فى الاستقلال كمثل أعلى نبيل • وكنتيجة لهذه التجربة ، فقد كان علينا فى هذه البلد أن نخوض تجربة ماتزينى التحررى الايطالى الكبير الذى منح النظام الليبرالى فى الحكم عناصر موقوته • إن جوزيبى ماتزينى ، الذى نقل الحركة الليبرالية الى أرضية

القومية ، توصل الى ان « المنفى هو حضانة الوطنية ، كما ان الكبت هو مدرسة الليبرالية » • وقد استنتج ان الجماعات الوطنية قد تشترك فى نفس التطلعات الوطنية من أجل الاستقلال ، لكنهم ان لم يشتركوا فى الارضية المشتركة حول الثقافة القومية ، والتنمية السياسية والاجتماعية ، فان كبريات نظريات الليبرالية لن توجد بينهم بالضرورة •

ان فحص النظم السياسية فى حقبتنا الاولى من الاستقلال فى السودان ، تكشف عن ان الاطلاق الذى اعطى لنظرية القومية دون ايلاء تفكير كثير للافراد الذين تكون الامة منهم ، قد انكر كلا من الوحدة الوطنية التى هى نتاج الديمقراطية ، والحرية القومية التى تنتمى الى نظرية الحرية • وكان السودان أمة حاولت أن تجعل المبادىء القومية الهيمنة فوق كل شىء آخر ، وقد تأسست على التفوق المستمر للارادة الجماعية ، التى زاولناها من جانبنا ، رغم أن ذلك لم يكن ضروريا من قبلنا ، والتى كانت شرطا لازما لوحدة الامة ، لا بد أن يختلف معها أى تأثير آخر ، ولم يكن لاى التزام أن يجد أى صلاحية ضدها • وكما لاحظ اللورد اكتون ذات مرة :

« ان مثل هذه الامة مؤسسة على تحدى التحرك المعدل للقضايا الخارجية ، للتقاليد والحقوق القائمة • انها تلغى حقوق ورغبات السكان ، وتستوعب مصالحهم المتشعبة فى وحدة زائفة ، وتضحى بميولهم وواجباتهم المتعددة فى سبيل مطلب الوطنية الاعلى وتسحق كل حقوقهم الطبيعية وكل الحريات المعترف بها من اجل هدف تبرئه نفسها » •

وفى الاحداث المتغيرة فى السودان اقامت ثورة مايو 1969 حكومة مصالحة وطنية • وقد تغير نظام الحكومة نفسه بطريقة تقدمية ، فقد تم احداث توازن بين الاسباب الخارجية للانقسام ، وتحققت الوحدة الوطنية • وكشفت لنا عملية المصالحة عن أن خلافاتنا لم تكن عرقية صرفة ـ كما هو الحال بين العرب والافارقة السود من ناحية ، ولا كانت دينية صرفة ، كما هى الحال بين الاسلام ضد المسيحيين من ناحية اخرى • بل ولا كانت الخلافات ثقافية صرفة كما حاول الكثيرون من المراقبين تصويرها •

وقد نظر بعض الدارسين الى الصراع فى المسرح السودانى فى ضوء آخر وحاولوا على أية حال أن يجدوا أسبابا للصراع فى أشياء اخرى غير الثقافة • وقد كتب البروفيسور على مازورى على سبيل المثال :

« ان تراوح السودان فيما بين العرب والافارقة له علاقة بتراوح العرب أنفسهم فيما بين افريقيا وآسيا » واضاف أن « العرب ، بوصفهم جنسا ،

يعتبرون تحديا للتصنيفات القارية ، لتوزعهم على ما هم عليه على كلا جانبى ما يقسم آسيا عن افريقيا » ٠

وفى المضمون السودانى على الاقل ، فان المرء يجب أن يتفق مع البروفيسور مازورى فى أن العرب كجنس ، لا يمكن تصنيفهم بسهولة كآسيويين أو أفارقة بعبارات مطلقة ٠

والدور العربى فى افريقيا ، على الاقل فى افريقيا المعاصرة ، هو دور المشاركة الكاملة فى القضايا الجيدة فى صالح افريقيا ٠ وقد استطاع اسلافنا السابقون فى حركة التحرر الافريقية والقيادة ، أن يدركوا الدور المفيد الذى لعبه العرب فى التاريخ المعاصر لافريقيا ٠ وفى حديثه عن الدور العربى فى تشكيل حركة الافريقية الشاملة نجد المرحوم توم مبويا الكينى ، وأحد مؤسسى وأعمدة الافريقية الشاملة ، يقول ذات مرة :

« من واقع تجربتى فى المؤتمرات الافريقية الشاملة ، ومن مراقبة اهتمامهم بالشؤون الافريقية الشاملة ، توصلت الى ايمان بان الغالبية العظمى من العرب فى شمال افريقيا ينظرون الى أنفسهم على أنهم أفارقة ٠ وقد حدث من جانبنا اعتراف متزايد وقبول بالعرب كافارقة » ٠

ولاحظ البروفيسور مازورى على نفس موضوع الافريقية الشاملة ، أن تراوح العرب كشعب ، لا هو آسيوى كلية ولا هو افريقى كلية ، كان عاملا حاسما فى اسباغ نوعية التناقض على حركة الافريقيين الشاملة ، بكونها افريقية التمركز فى نواياها وافرو آسيوية فى بعض نتائجها ٠

وقد وجد بعض الدارسين السودانيين ، بالرغم من النقاش الساخن الذى اجتاح البلد خلال الحرب الاهلية ، ان من السهل الاتفاق على الروابط الثقافية والعرقية للجموع العربية والافريقية ، اكثر من الاتفاق على ما قد يجدون فى القضايا الاقتصادية والسياسية للصراع ٠ وقد كتب البروفيسور مدثر عبد الرحيم عن عروبة السودان يقول :

« ان العروبة هى رابطة ثقافية لغوية غير عرقية تربط الاجناس العديدة ببعضها » ٠

ولو ان الدكتور عبد الرحيم ، وغيره من الدارسين السودانيين الذين كانوا يكتبون ابان الصراع فى السودان ، لم يوفروا الرابطة والانسجام اللذين كانا موجودين بين الثقافات داخل البلد ، فقد كانمرد ذلك الى كونهم يعملون تحت

ضغط التحريف الدولى لقضايا النزاع السودانى ٠ وربما كان يبدو ، فى الظروف التى كانت قائمة آنئذ ، أمرا غير طبيعى أن نبحث عن عقلانية وصحة أحكام يطلقها الافراد على أمور محيرة الى هذا الحد مثل الثقافة ٠

وقد عملت السنوات الاخيرة من قوميتنا ، برغم حدة الحرب المتصاعدة ، على تسليط الضوء على الاعتراف الذى توصل اليه الدارسون بحتمية توحد السودان وهو الامر الذى توصلنا فيما بعد الى قبوله ـ سودانا واحدا لا يجرى فيه البحث عن الانسجام السياسى والاقتصادى فحسب ، بل عن وجوب ضمان احترام الميراث الثقافى لكل جماعة عرقية ايضا ٠ وقد اعترف الدارسون السودانيون الشبان بهذه الحقيقة ، مثل الدكتور فرنسيس دينق ، عندما كتب عن التجمع الثقافى فى السودان واى دور يمكن أن يلعبه فى تحقيق الانسجام لا بين السودانيين العرب وغير العرب فحسب ، بل ايضا بين العرب والأفارقة فى القارة الافريقية ، فقال :

« ان الموضوع بالنسبة للسودان ليس انكار العروبة ، وانما التأكيد على الصفات التى توحد ٠٠ ففى حين انتج التعرب والاسلام تطابقا زائدا مع الاسلام والحضارات العربية ، فانهما قد قدمتا توافقا واندمجتا على طول الخطوط الافريقية الموجودة من قبل فى الاديان ، والثقافات ، والاعراق » ٠

وقد ضاعف الدكتور عبد الرحيم الدليل الذى قدمه عن حقيقة ان الثقافة العربية أيضا تنتمى هنا مع التوجه العلمى عن تسوية الخلافات فى داخل البلد وفى الواقع فى داخل القارة وذلك عندما قال :

« يختلف الشمال عن الجنوب فى أنه فى غالبيته المسيطرة مسلم وعربى ، فى حين ان الجنوب « وثنى » أساسا وهو الى حد أقل بكثير اما مسلم او مسيحى ٠ ومع ان ذلك على اية حال قد ينظر اليه عن حق على انه أرضية كافية للمطالبة بوضع خاص للجنوب داخل اطار سودانى متحد ، فانه لا يشكل حجة معقولة لشق السودان الى دولتين مستقلتين ٠ فالدولة الحديثة ، وخاصة فى افريقيا ، ليست ولا يمكن ان تقوم على اساس الدين أو التجانس العرقى أو حتى الثقافى ، لكنها تنبنى ، فوق كل شىء ، على مجتمع مصالح وأهداف أناس ـ برغم أنهم قد يختلفون فى أوجه معينة ـ فانهم فى العصر الحالى قد التقوا عبر حدود قارية وليس عبر حدود قبلية أو دينية صرفة فحسب » ٠

ويضيف الدكتور دينق ، الى هذا الرأى ، مؤكدا بقوله :

« ان الاعتراف بثنائية السودان ، والتركيز على عروبة الشمال ليس على أية حال بالاسس المفيدة للوحدة٠فالعرب وغير العرب،والافارقة والاسيويون، والدول النامية ، وجمهرة من الشعوب الاخرى ، تتعاون وتتحد تحت شعارات تخدم مصالحها المشتركة٠ وتحت مثل هذه الشعارات ، فان الجنوب يسعده أن يصطف مع العرب وان يدعم وحدة السودان مع الدول الاخرى من اجل تعزيز الولاءات الاوسع التى تتطلبها الظروف الحديثة فى افريقيا ، بل الواقع فى العالم ٠ وعلى السودان أن ينمى شعارات توحيدية ، وهناك الكثير من الامور المشتركة بين الجنوب والشمال لا تحتاج الا الى كشفها » ٠

وقد كان من المستحيل ، حتى مع سياسات المقاطعات المغلقة التى اتبعها البريطانيون تجاه الجنوب ، كبح التأثيرات الثقافية بين السودان الشمالى والجنوبى عن بعضهما ، ولو نحينا جانبا الزواج ونظام ملكية العقارات فى الشعبين ، فان المرء لا يحتاج الا الى أن ينظر الى التأثيرات اللغوية والملابس وغيرها من التأثيرات التى كانت متداولة على طول الحدود ، لكى يدرك فى الواقع انه يوجد هناك مما يوحد فى السودان ثقافيا اكثر مما يفرق ٠

وكما قلنا من قبل ، فان من الصعب تصنيف شعب السودان على اساس عرقى مميز ٠ فالسودان هو افضل برهان حى على حقيقة أن العروبة تضم خليطا زنجيا ٠ ويمكن ملاحظة هذا التقارب فى الثقافة والخليط الجنسى للعرب والافارقة حتى فى أماكن مثل الولايات المتحدة الامريكية بين الامريكيين السود ذوى الاصل الافريقى ٠ ولا بد ان السودانيين هم الذين التقوا بالامريكيين السود فى لحظة انتفاضتهم السياسية فى الولايات المتحدة وخلقوا المشاعر الطيبة السائدة حاليا بينالامريكيين السود والعرب٠وينظر الامريكيون السود الى العرب على انهم انسباؤهم المباشرون ، بل ربما اخوتهم ٠ ويشبه السودانيون العرب الامريكيين السود ٠ ان الامريكيين السود الذين يسافرون الى افريقيا يعودون الى الولايات المتحدة بانطباعات افضل عن الخليط العرقى الافرو عربى ، وذلك عندما يزورون السودان ٠ وقد قال و٠ أ٠ ب٠ ديبوا ، وهو واحد من الآباء الامريكيين السود المؤسسين للافريقية الشاملة ، ذات مرة عن السودان :

« ان اى واحد يسافر الى السودان ، يعرف أن معظم « العرب » الذى التقى بهم ذوو جلود سوداء ، بل سودا بالفعل أحيانا ، ولهم فى الغالب ملامح وشعور شبه زنجية ربما تكون نوعيتها زنجية تقريبا٠فالواضح اذن فى افريقيا

أن تعبير « عرب » غالبا ما يؤدى الى سوء الفهم · لقد كان العرب على درجة من التماثل مع الزنوج بلغت حد رسم خط مطلق للون » ·

وقد توجه سودانى جنوبى الى الولايات المتحدة لاول مرة فى الستينات عندما كانت الحركة السوداء فى أمريكا تحتل رؤوس عناوين صحافة العالم ، وحرص على الذهاب الى حى هارلم فى مدينة نيويورك ليشاهد بعضا من أقربائه المضطهدين المناضلين · واصطحبه البعض الى هناك ، وبعد أن سار فى شوارع هارلم لمدة ساعات دون أن يبدو أنه قابل السود ، التفت الى اصدقائه السودانيين وسألهم :

« أين الزنوج ؟ » فقيل له أن كل الناس الذى كان يقابلهم هم الزنوج · فأجاب بخيبة أمل شديدة « لكن هؤلاء الناس عرب · كيف يمكن لهم أن يسموا أنفسهم زنوجا ؟ » · وكان بالطبع قد ترك وراءه فى السودان أهله ذوى الجلود السوداء يحاربون العرب ذوى الجلود السمراء !!

ويمكننا أن نورد أمثلة لا حصر لها على ذلك النوع من الحيرة التى خلقها هذا الخليط العرقى والثقافى الجيد فى السودان ·

« فى شوارع لوزاكا استوقف أحد أهالى زامبيا واحدا من اصدقائى السودانيين الشماليين ، كان يعرف أنه سودانى لكنه ظنه سودانيا جنوبيا (اسود) · وقال الرجل من زامبيا فى عبارات متعاطفة مليئة بالشفقة « يا أخى ، ان العرب يعاملونك بالفعل بشكل بالغ السوء ــ اليس كذلك ؟ » · وتساءل السودانى الشمالى بكل أدب : « لو انك قابلت سودانيا عربيا ، فكيف تميزه عن السودانى الاسود ؟ » · فأجاب الرجل من زامبيا بكل ثقة أن العربى أبيض ، وهو على درجة من البياض مثل جمال عبد الناصر او بورقيبة · فأجابه السودانى الشمالى بان السودانى العربى على درجة من السواد « مثلى أنا نفسى بل حتى أكثر سودا » ·

ان هذه الامثلة القليلة تبين درجة الارتباك الذى تسببها الحيرة العرقية والخليط الثقافى فى السودان ، للعالم بأسره ·

السودان اليوم

ان السودان الحديث ، باعترافه بحتمية التنوعات فى دولتنا ، يقوم على مبدأ ان الامة أساسية ، لكنها ليست بالضرورة العامل الاسمى فى تحديد شكل

الدولة • ان الدولة السودانية منظمة الان وفقا لنظرية التنوع فى الوحدة والانسجام فى الوحدة ، لا التطابق والالتحام • وهى لا تهدف الى تغيير تعسفى • وإنما الى احترام حذر لظروف الحياة القائمة • إنها تطيع القوانين ونواتج التاريخ لا التطلعات نحو مستقبل مثالى •

ان نظريات وممارسات ثورة السودان الحديثة تنظر الى الدولة على اعتبار انها حصن للحكم الذاتى لا مصدرا للطغيان • ويقوم تنظيم الدولة على تحقيق توازن المصالح ، ومضاعفة المساهمات والعطاء للناس ، وعلى قيود ومساندة رأى مشترك ومتحد • وهى تسعى الى منح الحرية للناس ، لانها تعلم أن الحرية تحصن على التنوع وان التنوع يحفظ الحرية بتقديم وسائل التنظيم •

ان كل السودانيين المستنيرين الذين رعوا وتابعوا الاخطار التى تعين علينا قهرها ، والتضحيات التى تحتم علينا تقديمها ، لكى نحفظ وحدة بلدنا ، يشعرون أن تعايش ثقافاتنا المتعددة تحت لواء نفس الدولة ، يعد من ناحية اختبارا لهذه الوحدة ، كما انه أفضل تأمين لحريتنا •

مواقف أخرى

لو اننا نظرنا الى المواقف الثقافية فى أماكن أخرى من العالم الثالث ، فلن يتكرر بالضرورة فى كل الحالات ذلك الوضع المشوه • فسوف نجد فى الشرق الاوسط مثلاتفسيرات سهلة للصراع تتمثل فى احتلال عسكرى بحث من جانب شعب لشعب آخر • ولا يلعب الصراع الثقافى أى دور فى هذا الصدد •

ونجد فى الموقف الشرق الاوسط • ان الفلسطينيين يتحدون اسرائيل باستمرار فى منافسة ثقافية سلمية بعرضهم على الاسرائيليين فرصة لان يقيموا ـ بالاشتراك مع الفلسطينيين ـ دولة ديمقراطية ثنائية القومية ، ثنائية الثقافة ، فى فلسطين ، يستطيع فيها كل من العرب واليهود ـ كجماعات ثقافية ـ أن يعيشوا فى انسجام وان يسمحوا لثقافاتهم المتعددة بالتعايش والتنافس السلمى فى اثراء نوعية الحياة فى الدولة الجديدة • وترفض اسرائيل هذا التحدى السلمى من اجل التعايش •

وفى افريقيا الجنوبية ، فان المادية والعرقية هما اسباب صراع المجتمع هناك • فالبعض فى افريقيا الجنوبية لا يبذلون الا جهدا قليلا لاخفاء موقفهم المادى والعرقى تجاه جماعات الاغلبية فى المنطقة •

ولم يكن الامر فى افريقيا الجنوبية يحتاج الى ذكاء كبير من جانب الاقلية البيضاء لادراك ان التطورات السياسية السريعة التى تحدث فى افريقيا شمالى نهر زامبيزى فى أوائل وأواخر الستينات ، لم تكن لتترك افريقيا الجنوبيـة دون ان تمسها • ان اطلاق البيض للنار على الافارقة فى شاربفيل فى شهر مارس 1960 واندلاع الثورة فى انجولا فى شهر فبراير 1961 أمور كان يجب أن توضح للاقلية البيضاء فى افريقيا الجنوبية ان التغير السياسـى محـدق وحتمى •

وعلى الرغم من كل هذه التحذيرات الواضحة والمعلنة فى افريقيا الجنوبية ، فان اذلال الثقافة الافريقية والافريقى نفسه ، استمر طيلة السنوات الخمـس عشرة الماضية عماد سياسة البيض وعلاقاتهم مع السود •

خـــاتمة

لقد رأينا أن التنوع الثقافى فى السودان ، مقبول كأساس للوحدة الوطنية لانه يتوازن مع الاحترام المتبادل للمواقف الثقافية الخاصة بكل جماعة ، على أساس النظر الى هذه المواقف على انها اثراء لحياة الامة ، هذا بالاضافة الى السماح بالمشاركة المتساوية بين الجميع فى حياة الامـة الماديـة والسياسيـة والاجتماعية والاقتصادية • والخلاصة التى توصلنا اليها فى القضية السودانية هى أن التنوع الثقافى يضمن الوحدة القومية القوية ولا يعوقها • انها قضية أناس من أمة واحدة يقبلون ويفعلون ما قال عنه الرئيس السنغالى سنجـور ذات مرة :

« يجب على كل شعب أن يقيم نظامه الخاص فى الحرية السياسية والثقافية والاجتماعية بواسطة قواه الخلاقة الذاتية » •

ولكننا نجد أن هذه الخلاصة ، فى الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبيـة ، سلبية للاسف ، فالعلاقة فى هذين المكانين لم تقم على أسـاس المنـافسات الايجابية الثقافية والمادية • لقد قامت على اساس التشريد الطويل لجماعات بواسطة جماعة أخرى من خلال استعمال القوة ، أو من خلال الحرمان المـادى والسياسى•وفى كلتا هاتين الحالتين ، فان العلاقة قامت على أساس أن جماعة واحدة تعامل باحتقار من جانب الاخرى ، ويتم تذكيرها يوميا بوضعها الادنى •

وعلى الرغم من أنه قد جرت محاولات مؤخرا لنزع فتيل هذين الموقفين فى الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية ، فاننا لا يمكننا التوصل الى خـلاصة أن

الظروف الضرورية من اجل التعايش الثقافى والسياسى قد تم تقديمها لخلق وحدة وطنية فى هاتين المنطقتين • ان أولئك الذين لهم دور فى امكانيات تسوية هذين الموقفين من بين العرب فى الشرق الاوسط والافارقة السود فى افريقيا الجنوبية ، تملؤهم ذكريات اذلالهم الشخصى ناهيك عن القصص التى نقلت اليهم أثناء نضوجهم عن اذلال آبائهم وأهلهم • ان تجاربهم هذه هامة للغاية فى صياغة مواقفهم تجاه اية تسويات قد تعرض لهذين الموقفين •

وفى رأيى المتواضع فيما يتعلق بالمواقف فى الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية ، فانه لا النجاح الذى حققه العرب ضد اسرائيل فى حرب 1973 ولا التغيرات التحويلية فى الاقاليم البرتغالية فى افريقيا الجنوبية ، كلاهما لم يخلق لنا الجو الكفيل بأن نأمل أن يكون الانسجام الثقافى فى هاتين المنطقتين قد تم تزويده بالظروف اللازمة له لكى يخلق وحدة وطنية •

وفى الوقت الحاضر ، والى ان تتاح للمرء الارضية الكافية لان يعتقد أن المواءمة بين الجماعات أمر ممكن ، وخاصة فى افريقيا الجنوبية فان الامل الوحيد هو أن يكون ما قاله ذات مرة الرئيس الراحل الدكتور كوامى نكروما عن افريقيا الجنوبية ما زال يثبت صلاحيته :

« ليس هناك حادث فى التاريخ •• يمكن ان ينجح فى تحويل بوصة واحدة من التراب الافريقى الى امتداد لاية قارة أخرى » •

وكان الدكتور نكروما يشير الى سياسات الضم الفرنسية فى الجزائر والادعاءات البرتغالية القائلة بأن أنجولا وموزنبيق كانتا جزءا من البرتغال • وكان الدكتور نكروما على حق فيما يتعلق بالجزائر ، اذ ان الفرنسيين اعترفوا فيما بعد بان الجزائر كانت عربية وافريقية وليست فرنسية • كما أنه أيضا — كما ثبت — على حق فيما يتعلق بالاقاليم البرتغالية فى افريقيا •

ان سيادة الشعب ، فى فلسطين كما فى افريقيا الجنوبية ، معزولة ومحطوط من قدرها • وما زالت شعوب فلسطين وجنوب افريقيا تقاوم الادارات الاجنبية • والحركة ضد هاذين النظامين شعبية ، وتلقائية ، وقومية • وهى موجهة ضد مؤسسات اجنبية • وقد أخذت شعوب فلسطين وافريقيا الجنوبية على عاتقها طرد جيوش الدخلاء الاجانب وأفكارهم • وتلك حركات ثورية وطنية • وهى ليست حالات تنوع ثقافى فى أمة واحدة كما شاهدنا فى المثال السودانى •

ان شعوب فلسطين وافريقيا الجنوبية لا يرفضون التنوع الثقافى • فقد هبوا ضد غزاتهم دفاعا عن أراضيهم وحقوقهم الشرعية فى حكم أنفسهم • انهم يرفضون أن يحكمهم مغتصبو أرضهم وسلطتهم • وذلك نضال من أجل الشرعية لا من اجل التوفيق الثقافى والوحدة الوطنية • وواجبنا هو دعمهم وأن نأخذ بيدهم الى النجاح •

أما فيما يتعلق بمثلنا الاساسى ، وهو السودان ، فنحن نجد أن تعدد الثقافة والتجمعات العرقية فى السودان ، لم ينتج عنه مجتمع ثقافى منسجم التوازن فحسب بل انه قدم ايضا مجتمعا معتدلا من الناحية السياسية من ذلك النوع الذى سوف تحتاجه شعوب المنطقة • ان نظم الحكم السودانية ، مهما كان تشكيلها وقيادتها ، لا يمكن ان تصل فى تشددها الى ذلك النوع من نظم الحكم الفاشية أو الاستبدادية الذى نجده فى أماكن أخرى • كما أن المرء لا يجد حقيقة أية أمثلة تفسخ فيها المجتمع السودانى الى فوضى الفساد الذى نراه متاحا فى عدة ارجاء من الكون • ولا بد أن أسباب هذا الاعتدال تكمن فى المزيج الثقافى والثراء الذى وهب اياه المجتمع السودانى والذى ينتج آثارا متزنة على شخصية الافراد الاعضاء فيه •

ولو اننا قلنا ان عالم التكنولوجيا والاتصالات السهلة هذا يجب أن يحاول ان يحيا سويا كلما زاد اقترابه من بعضه ، فانه يتعين علينا أن نصل الى خلاصة مجملها أن السودان فى تلك العبارات المحددة للتوافق والانسجام الثقافى هو اليوم أقرب الى الكمال الذى نتطلع اليه • فهو يضم جماعات عرقية وثقافية متعددة دون ان يضطهدها كذلك فانه يمكننا ان نصل الى خلاصة أخرى هى أن أولئك الذين لم يحدث لديهم خليط عرقى أو ثقافى ، لم يصلوا بعد الى درجة الكمال•ووفقا لما يذهب اليه قول قديم ، فان الدولة غير القادرة على ارضاء الاجناس المختلفة والثقافات المختلفة ، تحكم على نفسها بالفناء • والدولة التى تعمل على طردها أو استيعابها أو تحييدها انما تدمر حيويتها•ان الدولة التى لا تضمها اليها ، تفتقر الى الاسس الرئيسية للثروة الانسانية •

التحرر العربي - الافريقي في عالم الغد

د. أحمد صدقي الدجاني

الأستاذ في معهد البحوث والدراسات العربية وعضو المجلس المركزي بمنظمة التحرير الفلسطينية

كيف نرى حركة التحرر العربى ـ الافريقى فى عالم الغد ؟

ما هى المهام الملقاة على عاتقها ؟

لقد برزت هذه الحركة كحقيقة هامة من حقائق عالمنا المعاصر ، وكان لها دور مؤثر على سير الاحداث فيه • ومطلوب كما هو متوقع أن يتعاظم دورها ويقوى تأثيره مع استمرارها ونموها وتطورها فى عالم الغد • ومن هنا يثور هذان السؤالان ويأتى انشغالنا فى الاجابة عليهما ومعالجة موضوع مستقبل حركة التحرر العربى ـ الافريقى ضمن « الحوار العربى ـ الافريقى حول قضايا التحرر والتنمية » •

* * *

لا بد لنا ونحن فى معرض النظر فى مستقبل هذه الحركة من نظرة نلقيها بداية على نشأتها والواقع الراهن الذى تعيشه • وفى هذا الصدد نلاحظ أن بروزها جاء فى عالمنا المعاصر كجزء من ثورة التحرر التى تفجرت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ومثلث اعظم حقائق عصرنا • وقد ثورت ثورة التحرير هذه المناخ السياسى فى العالم وظهرت فعاليتها على مدى عقدين من السنين حين انحسر الاستعمار عن أوطان كثيرة فى آسيا وافريقيا ، وانكمشت رقعته التى كانت تغطى 35٪ من مساحة العالم عام 1945 م • واصبحت عام 1965 لا تتجاوز 4٪ وصار التحرر بفعلها عقيدة الشعوب التى طال التحكم فيها وروح العصر فى العالم أجمع •

ومن بين موجات ثلاثة تتالت فى ثورة التحرير صنعت حركة التحرر العربى ـ الافريقى موجتين وشاركت فى الثالثة • فقد ظهرت هذه الثورة أول ما ظهرت فى أجزاء من الوطن العربى فى آسيا وسرعان ما تدفقت موجة التحرير

الآسيوية • ثم ما أسرع ما تلتها فى الخمسينات موجة التحرير العربية ، وفى الستينات موجة التحرير فى افريقيا المدارية •

والناظر فى هذه الموجات يرى مبلغ تداخلها ومدى الترابط وتبادل التأثير فيما بينها • ويتضح هذا التداخل والترابط فى حركة التحرر العربى ـ الافريقى على الخصوص التى هى جماع الموجتين الثانية والثالثة • فجزء من حركة التحرر العربى كان افريقيا بحكم أن الوطن العربى يشغل شمال افريقيا واجزاء من شمالها الشرقى ويمثل امتداد القارة فى آسيا•وقد ساهم هذا الجزء فى تفجير وتحريك الثورة التحررية على تخومه الجنوبية وبقية القارة الافريقية عموما •

ومن الواضح أن حرب السويس الفاصلة عام 1956 كانت نقطة تحول فى حركةالتحرير العربية واشارة بدء بالانطلاق نحو التحرير فى افريقيا المدارية • وهكذا فاننا ان مثلنا كلا من الحركتين بدائرة نجد أن هاتين الدائرتين ليستا منفصلتين عن بعضهما وانما هما متقاطعتان وتقعان معا ضمن دائرة واحدة اكبر تمثل ثورة التحرير العالمية •

ولقد اقترنت ثورة التحرير هذه فى السياسة الدولية المعاصرة بفكرة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، التى هى ظاهرة سياسية انبثقت فى عالمنا المعاصر بفعل التحرير والانقلاب النووى اللذين تميز بها • فالتحرير اوجد الدول المستقلة حديثا التى شكلت « العالم الثالث » وبحثت لنفسها عن مكان لها فى عالم اليوم • والانقلاب النووى غير موازين الاستراتيجية الدولية وفرض على كل الدول البحث عن حلول لابعاد خطر الافناء عن العالم •

وواضح أن « العالم الثالث » جمع بين دول تعيش ظروفا متشابهة ، فهى دول خرجت بثورة التحرير من الاستعمار القديم الذى كان لا يزال يتسلط ويستعمر أقطارا مجاورة لها • وهى تستشعر خطره عليها وعلى جيرانها فتعلن حربها عليه ، وتستشعر فى الوقت نفسه خطرا أكبر يتمثل فى الاستعمار الجديد وسط حرصها على حماية استقلالها الذى بذلت الكثير فى سبيله • وهى ترى نفسها قد تخلفت ـ بفعل عوامل عدة من بينها استنزاف الاستعمار لمواردها ـ عن ركب التقدم والعلم فتحاول أن تغذ السير فى طريق التقدم • وفى محاولتها هذه عليها أن تحذر محاولات الاستعمار الجديد احتواءها بالمساعدات • وهى أخيرا تعيش فى عالمها الذى يعانى من مشكلة أزمة التقسيم فيه وخطر الفناء بالحرب النووية • ولقد بلورت هذه الظروف القضايا التى يناضل العالم الثالث فى سبيلها ، وهى قضية القضاء على الاستعمار واستكمال التحرير ،

وقضية استتباب السلام القائم على العدل وابعاد خطر الفناء الذى يتهدد العالم ، وقضية التقدم والتعاون الدولى من أجل الرخاء • ونشطت حركة التحرير العربى – الافريقى فى نضالها لبلوغ هذه الاهداف كجزء من ثورة التحرير فى العالم الثالث •

لم يكن قليلا ما تحقق بفعل هذا النضال فى الوطن العربى وفى افريقيا • فعلى صعيد التحرير انحسر الاستعمار وانكمش ، وعلى صعيد السلام كان هناك اسهام ملموس فى المساعى الدولية التى تعمل لاستتبابه ، وعلى صعيد التقدم بذلت جهود كبيرة • وشتان بين الصورة التى كان عليها الوطن العربى وافريقيا قبل ثورة التحرير والصورة التى أصبحت عليها بعدها•ولقد اشتد بفعل هذا الذى تحقق عداء قوى الاستعمار لحركة التحرر العربى – الافريقى ولفكرة عدم الانحياز والحياد الايجابى • ونجحت هذه القوى فى توجيه ضربات لهذه الحركة كان من أخطرها عدوان اسرائيل فى يونيو 1967 على الوطن العربى ومجموعة أعمال تخريبية فى أجزاء مختلفة من افريقيا خلال العقد الاخير من السنين •

وحين ننظر فى الواقع الراهن الذى تعيشه حركة التحرر العربى – الافريقى اليوم نجد أن هذه الضربات لم تنجح فى القضاء عليها ، وانها ما تزال تشق طريقها لبلوغ أهدافها ويمكننا أن نحدد فى هذا الواقع الراهن ثلاثة أهداف ملحة تتطلب جهدا خاصا من حركة التحرر العربى – الافريقى •

هناك أولا هدف القضاء على بقايا الاستعمار فى الوطن العربى وافريقيا وتحرير البقية الباقية من الاجزاء التى ما تزال تحت نير الاستعمار • ويلفت النظر أن الوطن العربى وافريقيا يشتركان فى بقاء أسافين وجيوب محلية استعمارية تخلفت منذ عهد الاستعمار ولم تصلها بعد موجة التحرير• ففى الوطن العربى هناك الاستعمار الصهيونى فى فلسطين المحتلة واحتلاله ايضا لاراضى عربية فى سيناء والجولان ، وهناك أيضا جيوب سبتة ومليلة ، وفى افريقيا هناك على الخصوص كتلة افريقيا الجنوبية فضلا عن جيوب هنا وهناك •

ويلفت النظر ايضا أن بقايا الاستعمار هذه تتسم بالعنصرية الاستعمارية التى تمارسها روديسيا وجنوب افريقيا واسرائيل •

هناك ثانيا هدف مقاومة أطماع الاستعمار وخطر الاستقطاب فى الوطن العربى وافريقيا • وواضح أن هذه الاطماع تأخذ بعين الاعتبار الموقع الاستراتيجى الهام للوطن العربى وافريقيا والثروات الهائلة فيهما • ويمكننا أن

نتعرف على هذه الاطماع من خلال ما يصدر من دراسات وما لا تخفيه مخططات السياسات الخارجية للدول الاستعمارية • ولقد عبر بالدوين فى كتابه « الاستراتيجية للغد » عن هذه الاطماع وهويسجل عن افريقيا أن « الاهتمام الاستراتيجى بها زاد » وان افريقيا الوسطى اقليم غنى بالمواد الخام ولكنه قليل السكان ، « وهو فراغ جزئى من السلطة » • وهو ينقل عن هنرى وولف قوله عن افريقيا « هى غنيمة اقتصادية كبرى تستحق النضال من اجلها•• لثرائها بالمواد الخام » ويتابع مثبتا احصاءات عما فيها من نسب المواد الخام • ومثل ذلك يتردد عن المركز الاستراتيجى للوطن العربى وللثروات فيه وعلى رأسها ثروة النفط • وتتحدث هذه الاطماع الاستعمارية بصراحة ووضوح عن خطر اتحاد اغلب دول القارة ووحدة الوطن العربى على مصالحها ، وتسعى فى مخططاتها لمنع العرب والافارقة من بلوغ أهدافهم •

هناك ثالثا هدف القضاء على التخلف الذى عانى منه الوطن العربى وافريقيا وتجاوز رواسبه وتحقيق التقدم اللازم للحاق بالعصر • ويلفت النظر من بين رواسب التخلف التى حرص الاستعمار على تكريسها تجزئة الوطن العربى وافريقيا الى وحدات سياسية فتتت الكيانات وقسمت ما لا يجوز أن يقسم وأقامت بين أجزائه الحدود والسدود •

وعالم الغد الذى ننظر فيه ونتطلع الى صنعه هو امتداد لعالمنا المعاصر •• عالم اليوم ، الذى اصطلح على أن تكون بدايته هى تفجير القنبلة الذرية الامريكية على مدينة هيروشيما اليابانية فى نهاية الحرب العالمية الثانية • وقد تحقق فيه انتقال البشرية الى عصر جديد من عصور تاريخها هو العصر الذرى ، وتميز هذا العصر « بانطلاق الطاقات فى عالمنا وتفجر الحياة البشرية المعاصرة فى شتى الجوانب ومختلف الميادين » • وكان أبرز هذه التفجيرات تفجر العلم والمعرفة ضمن الثورة العلمية الثانية التى امتازت بالشمول وعمق فعلها النظرى وسعة فعلها التطبيقى وتزايد سرعتها وتفجر السكان الذى بلغ حدا لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، وتفجر الحاجات والآمال الوثيق الصلة بتفجر العلم •

وهكذا اجتمع فى عالمنا المعاصر ثورة التحرير التى كانت احدى صور تفجر الحاجات والآمال والانقلاب النووى الذى قلب قوانين الاستراتيجية الكونية رأسا على عقب • ولقد أثار هذا التفجر الهائل مشكلات عديدة لكل الشعوب وللانسانية جمعاء وما زال الانشغال بها قائما •

لقد تغيرت صورة العالم بفعل الاحداث التى شهدها عصرنا • فبفعل الحرب العالمية الثانية حدث تغير وبرزت الكتلتان الشرقية والغربية ـ ولكل منهما عقيدتها ـ ضمن الحضارة الغربية الواحدة • وتزعم الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة هاتين الكتلتين • وبفعل ثورة التحرير العالمية تغيرت الصورة فبرزت مجموعة العالم الثالث فى آسيا وافريقيا ، وبدا بوضوح انقسام العالم حضاريا فى مستويين ، مستوى الدول المتقدمة ومستوى الدول النامية المتخلفة وهو انقسام رسمت خطوطه الثورة العلمية • وتغيرت صورة العالم بفعل الانقلاب النووى أحد آثار الثورة العلمية فحدثت انقسامات فى كل من الكتلتين عبرت عن نفسها « عقيديا » فبرزت الصين فى المعسكر الشرقى وبدت بوضوح آسيويتها • وبرزت فرنسا فى المعسكر الغربى وأعلنت أوربيتها وشرعت مع دول أوربية أخرى فى بناء أوروبا الجديدة • وبرزت الى جانب ذلك عقيدة ثورات العالم الثالث وطرحت فكرة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ونادت بتحرير الشعوب من بقايا الاستعمار وبالسلام القائم على العدل والتعاون الدولى من أجل الرخاء • وهكذا لم يعد يحكم عالمنا المعاصر تقسيم واحد سياسيا كان أو عقيديا أو حضاريا ،وانما تحكمه تقسيمات عدة تتداخل خطوطها أحيانا •

ومن المتوقع أن تبدو هذه التقسيمات بشكل أوضح فى عالم الغد مع ما نضج من تغيرات فى العلاقات بين كتله ومجموعاته ، ومع ما وصلت اليه محاولات حل مشكلات عالمنا • ولنا أن نتوقع استمرار المتغيرات ما دامت الثورة العلمية مستمرة ومثلها محاولات حل المشكلات • وما يهمنا كثيرا هو أن نعرف اتجاهات التغيير ••

ان استمرار الثورة العلمية فى أبعادها الثلاث •• تقصير المسافات فى كوكبنا ، واكتشاف أعماق بحاره ، واختراق الفضاء المحيط به ، سيوصل الى مزيد من ترابط شعوب العالم وتبادل الافكار فيما بينهم • وسيوصل بالتالى الى عالمية أية مشكلة ، والى احساس بالوحدة فى المشكلات العامة ومن أجل مجابهة تحديات الكشوفات الجديدة • وهذا الاحساس العام بالوحدة لا يعنى الغاء تمايز شعوب العالم لان ثورة المواصلات وتبادل الافكار فيما بينها بفعل هذه الثورة ستبرز بقوة الشخصية القومية المتميزة الى جانب الاحساس العام بالوحدة الانسانية • أى أنه احساس بالوحدة من خلال التنوع •

واستمرار الثورة العلمية ، وما يعنيه ذلك من تطوير الاسلحة النووية والاسلحة الفتاكة عموما ، وما ينتج عن ذلك من بروز شبح الفناء وتسلط خطر

الحرب النووية التى لا تبقى ولا تذر سيفرض فى عالم الغد ـ استمرارا لما حدث فى عالمنا المعاصر ـ تراجع فكرة الحرب العالمية وتزايد قوة الردع النووى وحصر المشكلات العالمية والاقليمية ومحاولة التفاهم عليها والوصول الى حلول لها تبعد أخطار التوتر على الاقل • ومعلوم أن الانقلاب النووى فرض نوعا من التوازن الاستراتيجى • وقد دخل هذا التوازن فى السبعينات مرحلة جديدة بعد أن مر بثلاث مراحل منذ الحرب العالمية الثانية • فبعد الحرب كان التوازن مختلا مع انفراد الولايات المتحدة بالسلاح النووى فبرزت بالتفاعل مع عوامل اخرى سياسية حافة الحرب وفكرة الحرب الصليبية الشيوعية فى الغرب وبالمقابل كانت فكرة انتشار الثورة الشيوعية تسيطر على الاتحاد السوفياتى • وفى الخمسينات ومع امتلاك الاتحاد السوفياتى للسلاح النووى تحقق التوازن فى كل المخاوف المتبادلة فسادت سياسة الردع الشامل بين المعسكرين • ومع تطور السلاح النووى فى الستينات فضلا عن تغيرات اخرى أخذ التوازن صورة اكثر دقة وأوصل الى سياسة التعايش السلمى بحكم « ميزان الرعب النووى » •

وهكذا تراجعت الحرب الذرية الشاملة لتترك الباب مفتوحا للحرب المحدودة • وتقاربت الدولتان الكبيرتان تدريجيا ، وحدث فى داخل كل من الكتلتين تفكك وتباعد • وأوصل ذلك كله الى المرحلة الرابعة التى بدأت بدخول السبعينات ، وتضافرت فيها الجهود لتحقيق توازن مستقر من خلال سياسة التفاهم بين الدولتين الكبيرتين وحدوث الانفراج الدولى • ومن خلال قبول الولايات المتحدة للمتغيرات الاساسية فى الصورة الدولية ، وتسليمها بوجود الصين والعالم الثالث •

من المتوقع ان يرث عالم الغد من عالمنا المعاصر مشكلاته التى لم يتم التوصل الى الحلول الكلية لها ما دام هو استمرار له • وانسان الغد حين يتصدى لهذه المشكلات لا يبدأ من فراغ ، وانما يتابع محاولات الحلول التى جهد انسان عالم اليوم فى طرحها مستفيدا من حصيلة التجربة وما وصلت اليه المحاولات • وهكذا فان « المعاصرة » شرط لازم « للمستقبلية » •

وفى مقدمة المشكلات الموروثة التى ستشغل عالم الغد تأتى مشكلة «أزمة القيم» فى عالمنا • فهذه المشكلة تلقى بظلها الثقيل على جميع المشكلات الاخرى وتؤثر على محاولات ايجاد حلول لها • وهى تهدد وجود ومصير الانسان بعد ان اكتوى الانسان المعاصر وعانى أشد المعاناة من نتائجها وويلاتها • ويكفى أن نشير من بين هذه النتائج التى ظهرت فى هذا القرن الى الحربين العالميتين اللتين نشبتا

والى حروب محدودة لمدة اخرى ، والى المجاعات والقحط والمسغبة والمرض والجهل التى ما تزال تطحن ملايين البشر على الرغم من كل التقدم الذى حققه الانسان ، والى الاستغلال والتسلط والعنصرية والفوارق الضخمة بين سكان كوكبنا الارضى ، والى شبح الفناء بالسلاح النووى فى الافق لا يكاد يغيب ويشتد وطؤه مع ازدياد التوتر • وأخبار ذلك كله تصل الانسان المعاصر من مختلف انحاء عالمنا الصغير الموحد وتضغط بثقلها عليه ان لم يعشها بنفسه •

وقد تجلت أزمة القيم هذه فى سيطرة منطق « القوة الغاشمة والمصلحة » على الحضارة الغربية الحديثة التى فرضته بدورها على العالم اجمع بعد ان تسلطت عليه • وجسدت هذه الازمة الانظمة الاخلاقية والاجتماعية والسياسية التى ظهرت فى هذه الحضارة وحكمت بها علاقات شعوب الغرب بعضهم ببعض وعلاقاتهم مجتمعين بأمم العالم الاخرى • واشتد خطر أزمة القيم هذه مع ما حققته الحضارة الغربية الحديثة من تقدم علمي مادى قام على بعض القيم السليمة ، فقدم لمنطق القوة الغاشمة والمصلحة ما يمكنه من التحكم • وكانت نتيجة ذلك وبالا على الغرب نفسه وعلى العالم فى وقت واحد • وهكذا اقترنت الكشوف الجغرافية والثورة الصناعية بالاستعمار وويلاته ، ومن ثم التنافس الاستعمارى ، وأوصلت الى نشوب عدد من الحروب التى تضاعفت ويلاتها مرات بفعل التقدم حتى بلغت ذروتها فى عالمنا المعاصر ، ونجمت عن ذلك مشكلات كثيرة •

ألحت هذه المشكلات على الغرب فى القرن العشرين ، فجدت دوله فى محاولة ايجاد حلول لها ، وتابعت محاولات اوربية سابقة بلورت فكرة التوازن الدولى وفكرة الحكومة العالمية وفكرة حل المشكلات بالطرق السلمية • ونلاحظ أن هذه المحاولات تصدت للمشكلات العارضة ولم تلتفت فى أغلب الاحيان للمشكلة الاصل ، وهكذا جسدت هى بنفسها أزمة القيم • كما اقتصرت على أوربا ضمن حدود الجغرافيا والحضارة • فمفهوم التوازن الدولى كان على عكس ما يوحى به الاسم مقتصرا على التوازن بين دول أوروبا الكبرى ، وبقى كذلك طوال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين حين فرض مؤتمر باندونج عام 1955 تغيرا فيه • ولا يزال الغرب فى عالمنا المعاصر متأثرا بالمفهوم الاصلى ، وسيبقى كذلك جزئيا فى عالم الغد بسبب الميراث الحضارى على الرغم من تجاوز حدود الجغرافيا • وما قلناه عن التوازن الدولى يصدق على مفهوم الحكومة العالمية ومحاولات ايجادها منذ مؤتمر فينا عام 1815 الى عصبة الامم عام 1919 • فالحكومة العالمية هنا تشمل أوروبا القرن التاسع عشر

ويضاف اليها الولايات المتحدة فى القرن العشرين ، وانشغالها هو فى الحفاظ على الاوضاع الراهنة التى تعبر عن مصالح الدول الكبرى والتفاهم على استغلال الاخرين تجنبا لنشوب حروب بين هذه الدول بسبب تنافسها • وعلى الرغم من فشل عصبة الامم مع بداية الحرب العالمية الثانية فان المحاولة الجديدة التى ظهرت فى أعقاب هذه الحرب وهى تجربة الامم المتحدة تأثرت الى حد كبير بهذا المفهوم ، وان كانت متغيرات العصر الذرى وتفجراته قد فرضت عليه تغييرا محدودا • ومجمل القول أن الغرب سيبقى فى عالم الغد متأثرا الى حد معين بهذا المفهوم الذى يعانى من أزمة القيم • وسيتوقف هذا الحد ايضا على جهود العالم فى طرح القيم الجديدة وتبنيها •

والمتأمل فى تاريخ العالم المعاصر ليقف أمام دورة هذه المحاولات الغربية لحل المشكلات الدولية ويلفت نظره أن تفاقم المشكلات كان يفرض استمرار محاولات تظهر بدورها مشكلات جديدة لانها تركز على معالجة الاعراض بمنطق القوة الغاشمة والمصلحة • كما يلفت نظره أن التقدم العلمى الذى طرح معطيات جديدة عارضت بشدة المفاهيم الغربية فى العلاقات الدولية ففرض اعادة النظر ، وكما يقول مالك بن نبى فى فكرة الافريقية الآسيوية « فقد سيطرت على الحياة الدولية — بكل أسف — ارادة القوة التى لا تفارق حضارة القرن العشرين ، فهى قانون للنفسية الغربية يسجل التأخر الخلقى لانسان الغرب حتى كأنه يعيش فى القرن التاسع عشر » • ولقد حاولت الدول الكبرى تعطيل حركة التاريخ حين كانت المعطيات الجديدة تفرض اعادة النظر • ولما كان التاريخ لا يمكن تعطيل حركته فان الاحداث تتراكم وتفرض اعادة النظر والا حدث الانفجار • وهكذا نجد أن محاولات الغرب حل مشكلاته وصلت فى عالمنا المعاصر الى تحول هام وانعطاف خطير• فقد انتبه الغرب الى المشكلة الاصل•• مشكلة أزمة القيم • وبدأت أوروبا التى حكمت العالم وغيرته تسىء الظن بنفسها • وأصبحت المشكلة فى صورتها العالمية تعنى مساعدة الحضارة الغربية على أزمة الضمير فيها وتلك مهمة يمكن لحركة التحرر فى العالم الثالث أن تنهض بها •

ان هذا التحول الهام فى الحضارة الغربية الحديثة تزايد خلال العقدين الماضيين بفعل انتشار ثورة التحرير • وكما كان لثورة الجزائر وثورات افريقيا اثرها الكبير على الضمير الاوروبى فى الخمسينات ، فقد كان لحرب فيتنام والثورة الفلسطينية أثرها الكبير على الضمير الامريكى والعالمى فى الستينات والسبعينات • وتزايد هذا التحول أيضا بفعل استمرار الثورة العلمية واشتداد

أخطار الاسلحة النووية ، وبدأت آثاره فى الظهور داخل المجتمعات الغربية نفسها وكان منها ثورة الشباب وحركات الرفض عامة ٠

لقد اعطينا الحضارة الغربية اهتماما خاصا فى الحديث عن أزمة القيم لان هذه الحضارة حكمت العالم وغيرته ٠ وما تزال مفاهيمها تؤثر عليه ٠ ولنا أن نتوقع ظهور آثار هذا التحول بوضوح أعظم فى عالم الغد الذى سيشتد الصراع فيه بين منطق الحق والعدل ومنطق القوة الغاشمة والمصلحة ٠ ونتوقع أن يقوى تأثير منطق الحق والعدل وما يتصل به من معان انسانية فى عالم الغد خصوصا اذا قام العالم الثالث بدوره كاملا لان تلك هى حركة التاريخ ٠ وهكذا سيكون لهذه المعانى الانسانية اثرها فى احداث المستقبل ٠ كما ستظهر اللغة الجديدة التى تعبر عن هذه المعانى الانسانية وعن منطق الحق والعدل ، وستتصارع مع اللغة القديمة التى تعبر عن منطق القوة الغاشمة والمصلحة ٠ ولقد رأينا مثلا على ذلك فى صدى خطاب فلسطين فى الامم المتحدة يوم 13 نوفمبر 1974 الذى سجل ان هيئة الامم اليوم ليست هيئة الامم بالامس ذلك أن عالم اليوم ليس هو عالم الامس ، وأعلن « اننا نعيش فى عالم يطمح للسلام والعدل والمساواة والحرية ٠ يطمح الى ان يرى الامم المظلومة الرازحة تحت الاستعمار والاضطهاد العنصرى وهى تمارس حريتها وحقها فى تقرير المصير ٠ يطمح الى أن يرى العلاقات الدولية بين الدول كافة تقوم على اساس المساواة والتعايش السلمى وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية ، وتأمين السيادة الوطنية والاستقلال ووحدة الاراضى الاقليمية لكل دولة ٠ واقامة علاقات اقتصادية على أساس العدل والتكافؤ والمنافع المتبادلة ، يطمح لان تنصب الجهود الانسانية على مكافحة الفقر والمجاعة والامراض والكوارث الطبيعية ، وعلى تطوير القدرات الانتاجية والعلمية والتقنية للبشر لزيادة الثروات وتضييق الفروق بن الدول النامية والدول المتطورة ، ولكن ذلك كله يصطدم بواقع عالمى ما يزال يسوده الاضطراب والظلم والاضطهاد والاستغلال ، وما زال مهددا بالكوارث الاقتصادية والحروب والأزمات » ٠

على ضوء ما سبق ، وبعد أن تعرفنا على نشوء حركة التحرير العربى ـ الافريقى وواقعها الراهن ، وبعد أن نظرنا فى عالم الغد يمكننا أن نتحدث عن رؤيتنا لمستقبل حركة التحرر العربى الافريقى ٠

بداية تؤكد أن مستقبلها هو جزء من مستقبل ثورة التحرير العالمية والعالم الثالث ٠ والعالم الثالث مصطلح له دلالات حضارية واقتصادية وسياسية

وجغرافية وعقيدية • فهو العالم النامى الذى فجر ثولة التحرير ليغذ السير فى طريق التقدم • وهو العالم الذى يسعى لطرح مثل حضارية جديدة تعالج مشكلة أزمة القيم فى حضارة الغرب ، وقد استوحى هذه المثل من حضاراته القديمة ومن تجاربه النضالية • وهو عالم المواد الاولية والفقر ، كما انه عالم عدم الانحياز والحياد الايجابى • وقد بدأ التعبير عنه منذ مؤتمر باندونج 1955 واستمر فى صورة مؤتمرات التضامن الافريقى الآسيوى ومؤتمرات عدم الانحياز والحياد الايجابى ومؤتمرات الوحدة الافريقية ومؤتمرات العالم الاسلامى • وواضح أن التعبير عن فكرة العالم الثالث لا يزال فى بداياته ، وأمامه أن يحقق تصفية بقايا الاستعمار فيه ويستكمل قوته الاقتصادية بالتنمية الكثيفة والسريعة فى كافة مجالاتها ويلحق بركب التقدم العلمى • ولقد تنوسيت أهمية العالم الثالث خلال عقدين من السنين بشكل ملحوظ ، ومن المتوقع أن تتناسى باستمرار فى عالم الغد مع ازدياد الحاجة العالمية الى ما فيه من مواد أولية وطاقة ، ومن خلال مساهمته فى طرح مثل حضارية جديدة تشتد حاجة العالم بها • وقد ظهرت أهمية هذه المثل وفعاليتها حين برز العالم الثالث باعتباره ضمير العالم وصمام أمنه وباعتباره جسرا يصل بين قوى الارتطام وهمزة وصل لا كتلة جديدة تزيد فى تقسيم العالم • ونلاحظ ان العالم الثالث مستمر فى التعبير عن نفسه على الرغم مما أصابه من عداء الاستعمار • وواضح أن هناك صعوبات كثيرة فى طريق قيامه بدوره ، ولكن من المؤكد أن المستقبل أمامه • وهو اذا كان اليوم فقيرا متخلفا فانما هو كذلك بالواقع لا بالامكانيات ، بالفعل لا بالقوة ، فامكانياته الطبيعية ضخمة ورصيده المادى شبه بكر ولديه ما يسهم به فى الحضارة الانسانية •

وتتحدد على ضوء هذه الرؤية المجملة لمستقبل العالم الثالث المهام الملقاة على عاتق حركة التحرر العربى الافريقى فى المرحلة القادمة • وهى وثيقة الصلة بالاهداف التى برزت فى واقع الحركة الراهن •

فالمهمة الاولى هى استكمال تحرير الوطن العربى وافريقيا والقضاء على بقايا الاستعمار وأسافينه وجيوبه ولا يمكن لحركة التحرر العربى – الافريقى ان تسكت عن الوجود الاستعمارى فى أوطانها بعد أن أصبح التحرر روح العصر ، وبعد أن آذنت انتصارات ثورة التحرير فى جنوب شرق آسيا بعصر جديد •

ولقد اوضح خطاب فليسطين فى الامم المتحدة وهو يرفع صوت الثورة الفلسطينية انه مازالت شعوب كثيرة منها زمبابوى وناميبيا وجنوب افريقيا

وفلسطين وغيرها ضحية للعدوان والقهر والبطش وتشهد تلك المناطق من العالم صراعا مسلحا فرضته قوى الاستعمار والتمييز العنصرى ظلما وارهابا ، فاضطرت الشعوب المضطهدة الى التصدى له ، وكان تصديها عادلا ومشروعا ٠ وأهاب الخطاب بالمجموعة الدولية « أن تسهم فى دعم هذه الشعوب ومساعدتها على انتصار قضاياها العادلة ونيلها حقها فى تقرير مصيرها » ٠

طبيعى اذن ان تركز حركة التحرر العربى الافريقى جهدها وتنشغل أول ما تنشغل بتحرير هذه الاوطان وهذا يعنى أن تشن حربا شعواء على الوجود الاستعمارى فيها ٠

وتقترن هذه الحرب الشعواء على الوجود الاستعمارى فى الوطن العربى وافريقيا بالحرب ضد التمييز العنصرى الذى يمارسه هذا الوجود ، والذى تعانى منه على الخصوص جنوب افريقيا وفلسطين ٠ وواضح أن نضال حركة التحرر العربى ـ الافريقى ضد العنصرية واجب انسانى عظيم يتجاوب معه الضمير العالمى خصوصا بعد ان نجح العالم الثالث فى تعرية الانظمة العنصرية فى جنوب افريقيا والصهيونية فى فلسطين أمام الاسرة الدولية فى الامم المتحدة ٠

كما يقترن النضال من اجل التحرر وهزيمة العنصرية بالحرص على محاربة اشكال النفوذ المختلفة وحماية الوطن العربى وافريقيا من الوقوع فى استقطاب دولة كبرى ٠

واضح أن هذه المهمة الاولى تعنى انشغال حركة التحرير العربى ـ الافريقى على الخصوص بتحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى العنصرى الذى يجمع بين كونه استعمارا أو كونه نظاما عنصريا وكونه أداة للاستعمار العالمى ٠ ونلاحظ أن التحالف الاستعمارى الصهيونى من موقع وعيه لاهمية القارة ولمكان الوطن العربى فيها عمل على تمكين اسرائيل من التغلغل فيها لتكون ذاته فى استغلالها وليقفز بها من فوق الحصار العربى فيمكن لها من الاستمرار ٠ واذا كان قد نجح فى ذلك خلال الستينات فان مخططاته لم تلبث أن أصيبت بضربة فى السبعينات مع انكشاف طبيعة التغلغل الاسرائيلى للافريقيين ومع تنامى العلاقات العربية الافريقية ٠ وقد وقفت دول القارة وقفة واحدة فى حرب رمضان وقطعت علاقاتها باسرائيل ٠

لا بد أن نتوقع أن تحاول السياسة الاسرائيلية على الرغم من الصدمة الكبيرة التى تلقتها فى افريقيا معاودة الكرة لتتغلغل من جديد • وقد كشفت المناقشات التى دارت فى الأوساط الاسرائيلية عن اهتمام كبير بالقارة البكر لما فيها من ثروات ، ولما لها من أهمية استراتيجية كعمق للوطن العربى • وأوضحت أسباب الفشل الذى أصاب السياسة الاسرائيلية ، ومن أهمها أن المساعدات الاسرائيلية كانت استعراضية ، وكانت مساعدة رجل أوروبى أبيض ، وارتبطت بالوجود الغربى فى القارة ، ويبدو أن تواجد اسرائيل سيأخذ هذه المرة بعين الاعتبار بقايا البناء ، وسيركز على البحث عن حلفاء أوربيين وسيهتم بالشباب والاعلام • ولكن سيضع فى الاعتبار الاول توثيق علاقات اسرائيل بالكيانات العنصرية الشبيه بها فى افريقيا وخصوصا جنوب افريقيا وروديسيا لان ذلك على حد قول هرتزوج السبيل الى كسر العزلة فى افريقيا • ومعلوم أن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا قوية جدا وهى تشمل تعاونا وسعا فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، وتعبر عن طبيعة التكوين الواحد كوجود استعمارى استيطانى أوروبى •

من هنا فان المعركة القادمة لحركة التحرر العربى ـ الافريقى ضد الصهيونية فى فلسطين وضد الانظمة العنصرية فى جنوب افريقيا ستكون حاسمة • وهى تقع ضمن المعادلة التى تختزل أساسيات الصراع فى المستقبل والتى تقول أن مصير الامبريالية العالمية يتوقف على مصير العالم الثالث • ومصير العالم الثالث يتأثر الى حد كبير بمصير الوطن العربى • ومصير الوطن العربى يتوقف على مصير فلسطين • ومما لا شك فيه أن مصير الصهيونية سيحدد فى نهاية المطاف مصير الامبريالية العالمية فى كل من الوطن العربى وافريقيا • ومن هنا يتحدد دور الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربى ـ الافريقى بصورة عامة •

المهمة الثانية هى السير فى طريق الوحدة لتحقيق وحدة الوطن العربى والتقدم على طريق الوحدة فى افريقيا • والصلة وثيقة بين النضال من أجل التحرير والنضال من أجل الوحدة ، وكل منهما يدعم الآخر • كما ان هذا النضال من اجل الوحدة هو الذى سيمكن من التغلب على واقع التجزئة الذى حرص الاستعمار قبل خروجه أن يكرسه ، وسيقضى على ظاهرة تفتتت الكيانات •

وتحقيق الوحدة أو التقدم على طريقها فى الوطن العربى وافريقيا فضلا عن حيويته من أجل التحرير فهو السبيل لتحقيق التقدم واللحاق بالعصر • فعالمنا المعاصر هو عالم الكتل الكبيرة ، والتنمية فيه وثيقة الصلة بالمشروعات الكبيرة ، ولا مجال لاى كيان صغير أن يحقق تقدما ان بقى فى عزلة • واذا كان كل من الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة قد حققا تقدما كبيرا بعد التوحيد فان أوروبا سرعان ما حذت حذوها وكذلك الصين •

والنضال من اجل الوحدة ضمن حركة التحرر العربى الافريقى يعنى المباشرة فى ايجاد الحقائق الوحدوية ويستلزم الانطلاق فى التخطيط للمستقبل فى الوطن العربى وافريقيا من نظرة وحدوية تعى حقائق واقع التجزئة وتدرك أبعاد عالم الغد وتسعى للوحدة • وان غياب هذه النظرة عن التخطيط المستقبلى سيؤدى الى بروز مشكلات التضارب والتراكم • كما أن هذا النضال سيستلزم تقوية المؤسسات الوحدوية واستكمالها لتكون قادرة على النهوض بمسؤولياتها • ولا بد أن تخطط هذه المؤسسات لبناء هياكل متكاملة للبنى الاساسية فى الوطن العربى وافريقيا وللاتفاق على خطط مشتركة للتصنيع الثقيل والمتوسط والخفيف وللتعاون المالى والتجارى والعلمى والتقنى • وقبل ذلك كله لتطوير الزراعة فى الوطن العربى وافريقيا •

ان هذا النضال سيقتضى أن تغذ حركة التحرر العربى ـ الافريقى السير لاستكمال الحوار العربى ـ الافريقى بهدف الوصول الى التعاون الكامل • ولا بد أن يكون واضحا أن تعبير « الحوار » هنا يحمل مدلولا يختلف عن مدلول كتلة واحدة هى كتلة العالم الثالث وتشترك فى الانتماء لاصول حضارية واحدة وتمر فى طور واحد من النمو ومصيرها واحد ومستقبلها مشترك • بينما الحوار العربى ـ الاوروبى يتم بين كتلتين وحضارتين وعالمين •

وطبيعى أن يركز التعاون العربى الافريقى على كل مجالات التنمية • ولكن عليه بداية أن يركز على التعاون الثقافى للنهوض بالثقافة العربية ـ الافريقية ولتأصيل القيم الحضارية التى تحكمها ولدفع حركة اليقظة التى بدأت مع ثورة التحرير • وسيتطلب هذا الامر تحقيق الاتصال الوثيق بين قادة الفكر وبين مراكزه فى الوطن العربى وافريقيا •

المهمة الثالثة هى قيام حركة التحرر العربى ـ الافريقى بدور عالمى عن طريق الاسهام فى حل المشكلات العالمية ، وبلوغ السلام القائم على العدل وتحقيق التعاون الدولى من أجل الرخاء •

وواضح أن القيام بهذا الدور يقع ضمن حقيقة أن هذه الحركة جزء من ثورة التصحيح وجزء من العالم الثالث . وان القيام بها مقترن بالنضال من اجل التحرير ومن أجل الوحدة والتقدم . وأن القيام به مرتبط بتحقيق التقدم الثقافى . وهو نابع أيضا من حاجة العالم لمعالجة أزمة القيم التى عانت منها البشرية كما أوضحنا .

ولقد استطاعت حركة التحرر العربى ـ الافريقى والعالم الثالث عامة أن تقدم الكثير فى هذا المجال منذ الستينات . وفرضت على الحضارة الغربية مفاهيم جديدة وقيما جديدة بدأت الدول الغربية تتنبه لها . ويلفت النظر ما صرح به وزير الخارجية الامريكى فى ربيع 1975 من انه أدرك من خلال عمله السياسى « ان العالم الثالث يتخذ مواقفه وفقا لاعتبارات فلسفية وليس وفقا لاعتبارات اقتصادية كما هو الحال فى الغرب » . وقد حققت الحركة انتصار اعلان كلمة فلسطين فى الامم المتحدة وانتصار بحث المواد الاولية وانتصار ادانة العنصرية وبالتالى الصهيونية كحركة عنصرية . ولا يزال أمامها الكثير لتحققه فى عالم يعانى الكثير من أزمة القيم .

وبعد ..

فان القيام بهذه المهام يعنى فى حد ذاته صنع مستقبل الوطن العربى وافريقيا ويعنى الاسهام العربى ـ الافريقى فى صنع عالم الغد . وهو يقتضى كما هو واضح ان يأخذ التعاون العربى ـ الافريقى من اجل التحرر والتنمية مداه . ويشغل المكان الاول من اهتمامات الوطن العربى وافريقيا ، ويكون واعيا لكل المحاولات التى تحاول التفريق بين امتداد جغرافى واحد واصحاب تاريخ مشترك . ويكون واعيا لمحاولات الاغراء للانسياق وراء الارتباط بقوى خارجية كبديل عن هذا الارتباط المصيرى .

ا. ص. د.

دور الاذاعة والتليفزيون
في تقوية الروابط العربية الافريقية

بقلم : صلاح عبد القادر

الامين العام لاتحاد اذاعات الدول العربية

تقديـــم :

الروابط العربية الافريقية قديمة منذ مئات السنين ، وهي روابط سياسية وثقافية واقتصادية بل روابط حضارية بالدرجة الاولى ربطت بين الشعوب العربية والافريقية كان عمادها الانسان ذاته ، وامتزجت الحضارات القديمة اخذا وعطاء فكان هناك تدفق في الفكر من كلا الجانبين لا يحده حدود ولا عوائق ولا اطماع . وشهدت بلدان العالم العربي والافريقي رواجا تجاريا متبادلا منذ اقدم العصور وأدى هذا التبادل الى توطن عدد لا يحصى من العرب في افريقيا وعدد مماثل من افريقيا في البلاد العربية ، وادت هذه الحركات بين الشعوب الافريقية والعربية الى امتزاجها برابطة الدم فانهارت كافة الحواجز التي كانت قائمة على التباعد والجهل بثروات هذه البلدان وعادات شعوبها .

الى ان غزا الاستعمار القارة الافريقية من اقصى شمالها الى اقصى جنوبها فتقطعت اسباب هذه الروابط وفرضت على القارة الافريقية سنوات طويلة من الاستغلال الرهيب لثرواتها ولفكرها ، وفرضت على شعوبها عزلة تامة عن كافة اقطار العالم الاخرى وفي مقدمتها العالم العربي ، بل كان الوطن العربي ذاته ايضا يخضع لنفس الالوان من الاستعمار الاجنبي يطبق فيها نفس السياسة التي يطبقها في افريقيا .

وغني عن البيان الاساليب التي كان يتبعها الاستعمار في افريقيا والعالم العربي ، اساليب القمع والاضطهاد والاستغلال ونهب الثروات وفرض العزلة على الشعوب والافراد ، ولكن اقسى هذه الاساليب كان اسلوب كبت الحريات والقمع الفكري .

وادت هذه الاساليب التى تدهور البلدان العربية والافريقية وتخلفها ، وتفاقمت مشكلاتها اقتصاديا وثقافيا وسياسيا وفكريا ، وتركها الاستعمار بعد ان كافحت شعوبها لنيل استقلالها واسترجاع حقوقها ـ تركها وهى على تلك الحال من التخلف ، وكان عليها ان تستعيد ماضيها وان تسترد ازدهارها وروابطها الفكرية والاقتصادية ٠

وربما كانت الشعوب الافريقية والعربية اكثر الشعوب تماثلا فى مشكلاتها ، وربما كانت مشكلات التنمية فيها متشابهة الى الحد الذى قد يدعو احيانا الى اتباع اسلوب عمل مشترك لحل تلك المشكلات ٠

ودون شك تتعدد اساليب التنمية طبقا لنوع المشكلة وحجمها وطبقا للاهداف المقررة فى خطط التنمية وطبقا للبيئة والظروف الاقتصادية والسياسية التى تحيط بكل دولة ٠٠ الخ ، الا انه دون هذه الاساليب جميعا هناك اسلوب واحد مشترك لا يمكن الاختلاف عليه هو اسلوب الاعلام ـ الاعلام من اجل التنمية ٠ والاعلام من اجل التنمية له عديد من الادوار يستطيع ان يؤديها ولا نستطيع نحن من جانبنا ان نضع حصرا تفصيليا فى هذا المجال ولكن نستطيع ان نقول بصفة عامة ان الاعلام يستطيع ان :

1) يقرب بين وجهات النظر المتباعدة

2) يؤدى دورا بارزا فى الاعلام عن مشكلات البعض

3) اعادة واحياء التراث الحضارى القديم القائم على الروابط المشتركة

4) التأكيد على قيمة الانسان افريقيا كان او عربيا

5) انشاء الجسور بين افريقيا والبلدان العربية ودعمها بما يضمن التدفق الدائم للتعاون بينها (ويشمل هذا التعاون الفكر والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع ٠٠ الخ)

ولكن يبدو ان هناك ما يشوب هذه الجسور ـ ان كانت قد قامت حتى الآن ـ بحيث لا تؤدى دورها الهام والمطلوب ، ولذلك فان امامنا اليوم مهام تقوم اساسا على فتح باب الحوار لنتغلب معا على ما يصادفنا من صعاب ، ولنتخطى ما فرض علينا من تباعد ، ولنصل الى انسب وافضل الاساليب التى نستطيع بمقتضاها ان نعيد للانسان العربى والافريقى مجده ولنرسم له المستقبل اللائق به ٠

ولا نتعرض فى هذه الورقة الا لوسيلتين تعدان عصب الاعلام فى العصر الحديث هما الاذاعة والتليفزيون ٠ وغنى عن البيان التحدث عن قيمتهما فى ميدان الاعلام وفى ميدان التنمية بصفة عامة ٠

* * *

أولا : الوضع الراهن للاذاعات :

اذا القينا نظرة عابرة على هيئات الاذاعة والتليفزيون فى افريقيا والعالم العربى لوجدنا ان 95٪ منها او اكثر مملوكة للدولة وتابعة لها ٠ ويعنى ذلك أنها هيئات تنفذ سياسات وخطط الدول ، ويعنى ذلك ايضا ان هذا الوضع يساعد كثيرا على انشاء الجسور الاذاعية والتليفزيونية بين الدول المختلفة وشعوبها ٠

ان القرار السياسى فى جميع البلدان العربية والافريقية ينعكس دون ريب - ازاء هذا الوضع - على صنع القرار الاذاعى او التليفزيونى ، وبالتالى على جميع البرامج الاذاعية والتليفزيونية الموجهة الى جماهير الشعب ، وذلك على خلاف كثير من البلدان الاوروبية او الامريكية التى تقوم فيها شركات اذاعية مستقلة لها مصالحها الخاصة وعلى الاخص المصالح التجارية حيث لا يكون هناك ثمة الزام بتنفيذ سياسة معينة ٠

ومن هذا المنطلق ، وازاء الاهداف المحددة للدول النامية فى العالم العربى والافريقى ، نجد هناك تقاربا شديدا يكاد يبلغ مرتبة الوحدة فى حل مشاكل التنمية وفى الاساليب التى تتبع فى هذه الحلول ٠

ولذلك فان هيئات الاذاعة والتليفزيون باعتبارها الوسيلة النفاذة والفعالة من وسائل الاتصال الجماهيرى فى تحقيق اهداف التنمية والاعلام عنها والاعلان عنها ايضا ، هى التى يقع عليها العبء الاكبر فى توجيه الجماهير والربط بين الشعوب الافريقية والعربية ٠

والدليل على ذلك انه ما من اتفاق ثقافى او اعلامى يعقد بين بلدين الا ويضم بين بنوده المختلفة بندا ينص على التعاون الاعلامى عن طريق الاذاعة والتليفزيون ٠

والذى يدعو ايضا الى تحمل هيئات الاذاعة والتليفزيون للنصيب الاكبر من هذا العبء هو تشابه المشكلات الخاصة بالتنمية فى العالمين الافريقى والعربى • هناك مشكلات التربية والتعليم ونسبة الامية الكبيرة المتفشية فى البلدان العربية والافريقية • هناك مشكلات الصحة والتغذية • هناك أيضا مشكلات التنمية الاقتصادية والخبرات والمهارات الواجب توافرها لتحقيق هذه التنمية • الى جانب ذلك كله توجد مشكلات اجتماعية متخلفة من اثار الاستعمار القديم بشكله التقليدى والاستعمار الجديد بشكله العصرى المتطور • وهى كلها مشاكل لن تحل جذريا الا اذا اخذت هيئات الاذاعة والتليفزيون زمام المبادرة فى التوعية من اجلها على النطاق المحلى وعلى النطاق الاقليمى باقامة جسور للتعاون بين العالمين العربى والافريقى •

واذا تطرقنا قليلا فى نطاق الوضع القائم للاذاعات ، الى النظر فيما تعانيه هيئات الاذاعة والتليفزيون من مشاكل داخلية لوجدنا ايضا تماثلا وتشابها يكاد يصل ايضا الى مرتبة الاجماع •

وفى عجالة نستطيع أن نعدد عددا من رؤوس الموضوعات التى تندرج تحتها هذه المشكلات :

أ) التمويل : لما كانت هيئات الاذاعة والتليفزيون تخضع لسيطرة الدول وملكيتها ، فانها محكومة بميزانيات معينة محدودة قد تعوق انطلاقها فى سبيل تحقيق اهداف التنمية •

ب) الاجهزة والمعدات : كثير من هيئات الاذاعة والتليفزيون تعانى من نقص فى المعدات والاجهزة ، واذا كانت تكاد تبلغ حد الاكتفاء فانه ليس لهذه الاجهزة بدائل او قطع الغيار اللازمة •

ج) التدريب : النقص الواضح فى الكفاءات والمهارات اللازمة وعدم وجود خطة تدريب متكاملة •

د) التخطيط والبحوث : تحتاج العديد من هيئات الاذاعة والتليفزيون الى تخطيط علمى قائم على الجمع بين الامكانات المتاحة والاهداف المطلوبة ، واجراء البحوث النظرية والميدانية •

هـ) اللغات : تتعدد اللغات فى افريقيا والعالم العربى ، ومع كل فتوجد لغات ثلاث سائدة هى الانجليزية والفرنسية والعربية •

و) فى الجانب الفنى : قوة الارسال ومداه بالنسبة لهيئات الاذاعة والتليفزيون . ذلك ان كثيرا من هيئات الاذاعة والتليفزيون تعانى من ضعف ارسالها بحيث لا يتعدى نطاق دولتها ، اما بالنسبة للتليفزيون فان الارسال قد لا يغطى كافة اراضى الدولة .

تلك نماذج من المشكلات وليست كل المشكلات على سبيل الحصر .

ثانيا : التعاون العربى الافريقى

واذا اردنا اليوم ان نفتح حوارا عربيا افريقيا لاقامة جسور التعاون فى ميدان الاذاعة والتليفزيون ، ففى تصورى ان هناك عددا من النقاط الرئيسية والاساسية تصلح منطلقا لهذا التعاون .

أود الاشارة الى أن هذا التعاون لا ينشأ من فراغ . فهناك ارضية ممهدة ، وظروف مهيأة لهذا التعاون خلقها وجود اتحادين متشابهين فى الاغراض والاهداف هما اتحاد اذاعات الدول العربية واتحاد الاذاعات الافريقية ، وهما الاتحادان اللذان يستطيعان القيام بعمل مشترك وانشاء جسور تعاونية بين الاذاعات العربية والاذاعات الافريقية ، فضلا عما يمكن ان يثمره هذا التعاون من توسيع لنطاق الخدمات التى يؤديها كل اتحاد الى مجموعة الدول التى تنتمى اليه .

التعاون بين الاتحادين :

منذ انشاء اتحاد اذاعات الدول العربية واتحاد المنظمات الوطنية للاذاعة والتليفزيون فى افريقيا منذ اكثر من خمس سنوات والتعاون قائم بينهما فى العديد من المجالات :

أ) فقد اعد الاتحادان مشروع اتفاقية خاصة بالتعاون فيما بينهما فى مجالات الخدمة الاذاعية والتليفزيونية على الصعيدين الاقليمى والدولى .

ب) كما عقد الاتحادان بروتوكول تعليمى بينهما فى مجال البرامج التعليمية وتبادل الزيارات .

ج) وعقدت بينهما عدة اجتماعات من اهمها الاجتماع الخاص بالتبادل الاخبارى بين الاتحادين ، والاجتماع الخاص بتنشيط التبادل فى مجال البرامج التعليمية والفضاء والبرامج الرياضية .

د) كما اشترك اعضاء ممثلين لكل منهما ـ وذلك بالتنسيق بين الاتحادين ـ فى بعض المؤتمرات الدولية ومنها على سبيل المثال مؤتمر تخصيص ترددات الفضاء عام 1971 ومؤتمر تعديل اتفاقيتى برن الخاصة بحقوق الملكية الادبية والفنية .

هـ) كذلك اتفق الاتحادان على تنسيق المواقف بينهما واتخاذ مواقف موحدة فى الموضوعات الهامة التى تعرض عليهما .

و) هذا فضلا عن تبادل بعض البرامج الاذاعية والتليفزيونية بينهما على نطاق ضيق جدا .

وبالاضافة الى ما عرضنا له من امثلة لاوجه التعاون بين الاتحادين ، فان العلاقات الرسمية بينهما تؤكد مدى الارتباط الذى يجمع بينهما .

أ) فاتحاد المنظمات الوطنية للاذاعة والتليفزيون فى افريقيا يضم مجموعة اعضاء من الدول العربية يبلغ عددها 8 وهى (مصر ـ ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ السودان ـ موريتانيا ـ الصومال) .

ب) كما ان اتحاد اذاعات الدول العربية يضم هذه المجموعة من الدول ، ومن الممكن ان تكون هذه الدول المنضمة الى الاتحادين حلقة الارتباط بينهما .

جـ) يتبادل الاتحادان (العربى والافريقى) التمثيل فيما بينهما فى المؤتمرات والجمعيات العمومية لكل منهما ، مما يخلق درجة كبيرة من الفهم المشترك للجهود التى يبذلها كل اتحاد ، وللمشكلات والصعوبات التى تصادفه فى سبيل تحقيق اهدافه ، كما انها تسهم فى تيسير امكانيات التعاون فيما بينهما فى بعض مجالات الخدمة المشتركة .

وفى اطار هذا التعاون بين الاتحادين يمكن الرجوع الى النقاط التى يمكن ان تصلح منطلقا للتعاون ، وان نضع مجموعة من الخطوط الرئيسية التى تمثل الاطار العام لامكانيات زيادة التعاون بين الاتحادين وتنشيط العمل بينهما :

١ ـ التبادل البرامجى بين الاتحادين :

تمثل عملية التبادل البرامجى بين الاتحادين حجر الزاوية فى التعاون بينهما نظرا لما تستهدفه من تبادل تقديم الخدمات الاساسية المتخصصة لجميع الهيئات الاذاعية العربية والافريقية ، فضلا عما يمكن ان تخلقه من مجالات الفهم

والمعرفة المشتركة فى البلدان العربية والافريقية ، وتتمثل أهم مجالات التبادل البرامجي فيما يلي :

1) تبادل الاخبار والبرامج الاخبارية بين كل من البلاد العربية والافريقية الاعضاء فى الاتحادين • وقد انشىء فى نطاق اتحاد اذاعات الدول العربية جهاز خاص لتبادل الاخبار هو « الجهاز العربي لتبادل الاخبار التليفزيونية » ولهذا الجهاز مراكز ثلاثة رئيسية فى الخليج والجزيرة العربية والمشرق العربى والمغرب العربى ويضم كل مركز مجموعة من الدول تنتمى اليه حسب الوضع الجغرافى لهذه البلدان • وقد اثبت هذا الجهاز قدرته على أن يكون عند مستوى الاحداث فيغطيها لجميع الدول العربية والاجنبية ، الامر الذى ادى الى سيولة الاخبار وتدفقها من مكان الى آخر •

وفى استطاعة هذا الجهاز ان يكون ايضا هو همزة الوصل ـ بمراكزه الثلاثة ـ بين البلدان الافريقية والعربية ـ ارسالا واستقبالا •

وكان اخر اجتماع لهذا الجهاز فى شهر نوفمبر الماضى حيث اصدر توصية بان « يثير وفد اتحاد اذاعات الدول العربية الى الجمعية العمومية لاتحاد الاذاعات الافريقية ، وكذلك الدول العربية الاعضاء فى هذا الاتحاد موضوع التبادل الاخبارى لامكان التوصل الى هذا التبادل » •

2) تبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية التى تستهدف التعريف بالبلدان العربية والافريقية ، ولتكن هذه البرامج على شكل ريبورتاجات او تحقيقات تتناول الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية •• الخ ، وهى برامج لا ترتبط بزمن معين أو حدث معين ، ولا يضير فيها تاخر الارسال ، ويمكن ان يتم ذلك عن طريق الاتحادين باعتبارهما مراكز خدمة لجميع الهيئات الاذاعية والتليفزيونية •

3) تبادل البرامج الاذاعية التى تأخذ شكل المجلة فى المجال الرياضى ، وهى مجلات تبرز النشاط الرياضى فى بلدان افريقيا والعالم العربى •

تلك أمثلة من البرامج التى تصلح للتبادل ويمكن أن تمتد بكثير الى ما وراء هذه البرامج مثل تبادل المعلومات والمطبوعات الصادرة عن هيئات الاذاعة والتليفزيون ومواعيد الارسال الاذاعى والتليفزيونى •• الخ •

ب ـ التعاون في مجال التدريب وخلق الكوادر المتخصصة :

لما كان التدريب يمثل احد العناصر الرئيسية في عملية التنمية المهنية سواء في مجال الخدمة البرامجية او الهندسية ، ولما كانت معظم الهيئات الاذاعية العربية والافريقية في حاجة ماسة الى توافر العدد الكبير من العاملين المعدين مهنيا لتقنيات العمل الاذاعي والتليفزيوني ، ومع النقص الواضح في الكفاءات التي يمكن أن تصلح للقيام بالخدمات الاذاعية على المستوى المطلوب ، فان هناك حاجة ماسة الى جهود مشتركة بين الاتحادين في هذا المجال ، ويمكن ان تثمر هذه الجهود عن تقديم الخدمة التدريبية الاذاعية للعاملين في الهيئات الاذاعية العربية والافريقية المنضمة لكل من الاتحادين ، وتوفير بعض المنح التدريبية والدراسية لبعض العاملين في هذه الهيئات ٠

وفي هذا الصدد فان اتحاد اذاعات الدول العربية قد بدا في انشاء مركز عربي اقليمي للتدريب الاذاعي والتليفزيوني في دمشق ـ وهو جهاز من اجهزة اتحاد اذاعات الدول العربية ، ويؤمل ان يتم الانتهاء من انشائه وتجهيزه في اقرب وقت ممكن ، وسوف يكون هذا المركز على استعداد لاستقبال الاخوة من البلدان الافريقية ٠

ج ـ التعاون في استخدام الاذاعة والتليفزيون في الميدان التربوي والتعليمي :

لا شك ان البرامج التربوية والتعليمية تحظى باهتمام بالغ من كافة هيئات الاذاعة والتليفزيون في كل من افريقيا والوطن العربي ٠ ولا يمكن بطبيعة الحال القول بتبادل البرامج التعليمية ولكن يمكن القول ان مشاكل التربية والتعليم ذات طابع مشترك في البلدان العربية والافريقية ٠ هناك تقنيات عالمية لاستخدام الاذاعة والتليفزيون في هذا الميدان ، وتلك هي الزاوية التي يمكن ان يقوم فيها التعاون بين افريقيا والعالم العربي ٠

وفي نطاق التعاون العالمي قررت الاتحادات الاذاعية مجتمعة اقامة سلسلة من المؤتمرات التعليمية الاقليمية بحيث تضم هذه المؤتمرات ممثلين لكافة الاتحادات الاذاعية لدراسة المشكلات التربوية والتعلمية ووضع خطة للتعاون فيما بين الاتحادات ، وقد عقدت بالفعل المؤتمرات الخاصة باتحاد الاذاعات العربية واتحاد الاذاعات الافريقية ٠ وقد تعرضت قرارات كل من المؤتمرين للتعاون الفعال المثمر بينهما ويمكن أن تكون قرارات كل من المؤتمرين منطلقا للتنسيق وركيزة للعمل المشترك في هذا الميدان ٠

د ـ استخدام الاقمار الصناعية :

سوف تكون الاقمار الصناعية فى المستقبل القريب الفرصة المؤكدة لانشاء الجسور الاذاعية والتليفزيونية بين افريقيا والعالم العربى .

مع نهاية عام 1976 سوف تكون معظم البلدان العربية مجهزة بمحطات ارضية ، وحتى الان هناك فى افريقيا عدد قليل من المحطات الارضية ، الا انه فى عام 1976 سوف يتزايد هذا العدد .

وتمثل هذه المحطات فى العالم العربى والافريقى واسطة اتصال فورية ومثلى فى عمليات التبادل والربط بين البلدان وعلى الاخص فى الاحداث الكبرى .

وسوف يتم فى القريب ايضا اطلاق قمر صناعى عربى يغطى المنطقة العربية وجزءا من المنطقة الافريقية .

وهناك ايضا مشروعات لاقمار صناعية تجريبية سوف تطلق مع عام 76 ومن امثلتها مشروع « سيمفونى » .

كل هذه الوسائط كفيلة بان تربط بين البلدان الافريقية والعربية ، ولكن يبقى اجراء الحوار اللازم بين هيئات الاذاعة الافريقية والعربية لكيفية الافادة من هذه الوسائط المتاحة ، والا يتم الانتظار حتى تطلق الاقمار وتقام المحطات الارضية ثم نفكر فى وضع خطة التعاون بين افريقيا والعالم العربى . يجب منذ الان وضع المخطط اللازم لهذا التعاون واسسه .

هـ ـ البرامج الموجهة :

لدى الكثير من هيئات الاذاعة (الراديو) ، برامج موجهة . والتنسيق امر لازم بشأن هذه البرامج ، لازم بين المرسل والمستقبل . وفى هذا الميدان لا بد من التعاون بين الاتحادين فى اجراء البحوث واستطلاع آراء المستمعين بحيث تؤدى البرامج الموجهة هدفها وربط المستمعين فى العالم العربى وافريقيا .

و ـ نوادى الاستماع والمشاهدة الجماعية :

ان تبادل الخبرات بين البلدان العربية والبلدان الافريقية فى مجال اقامة نوادى استماع ومشاهدة جماعية امر حيوى لنجاح اى تجربة تقام . اتصور

أضواء الفكر

• عقد اتحاد الكتاب التونسيين ندوة بناديه يوم السبت 14 فيفري الماضي ، جمعت كافة أعضائه العاملين ، الغرض منها وضع برنامج عمل لفترة السنتين القادمتين 76 ـ 77 • وكانت لجنة مختصرة قد أعدت وثيقة عمل وأرسلتها الى الاعضاء قبل انعقاد الجلسة لابداء الرأى • هذا وقد تم الاتفاق على تبنى مشروع الوثيقة المقدمة بعد نقاش مثمر شارك فيه جل الحاضرين •

ونذكر أن الاتحاد احتفى فى نفس المناسبة بتكريم أعضائه الذين صدرت لهم كتب خلال الستة أشهر الماضية جريا على عادته وهم السادة : محمد الصالح الجابرى ، سمير العيادى ، أحمد بكير محمود ، التهامى نفرة ، الهادى المدنى •

• الاستاذ جمال محمد أحمد عرف فى تونس أنه وزير للخارجية فى حكومة السودان الشقيق ، الا أنه أيضا ـ وقبل ذلك ـ رجل فكر وأدب ، إذ نشر كتبا عدة من تاليفه أو ترجمته • وقد أهدانا منها مشكورا : « إفريقيا تحت أضواء جديدة » ، « فى المسرحية الافريقية » ، « وجدان إفريقيا » ، « سالى فو حمر » • وقد ازدانت مكتبة الفكر بهذه المؤلفات القيمة فلمؤلفها عميق امتناننا •

• من الكتب التى وصلتنا كتابان للشاعر التونسى الراحل أبى القاسم الشابى : « الخيال الشعرى عند العرب » و « أغانى الحياة » فى طبعة جديدة أنجزتها الدار التونسية للنشر بالاشتراك مع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر •

• أقيم بالكويت الشقيق فى نهاية الشهر الماضى أسبوع ثقافى تونسى يشتمل على معارض فنية ومحاضرات علمية أدبية ، وعروض فنية مختلفة • وفى الاسبوع الاول من هذا الشهر يقام أسبوع مماثل ببغداد • وقد علمنا أن من بين من أوفدتهم وزارة الشؤون الثقافية للاسهام فى هذين الاسبوعين زملاءنا : الجابرى وشبوح والدولاتلى وأبو قمرة • رجاؤنا الاكيد أن يزيد مثل هذا التبادل فى تعريف أشقائنا فى المشرق بالحركة الثقافية والفكرية بتونس وأن يزيد عرى الاخوة والتعارف بين شقى الوطن العربى •